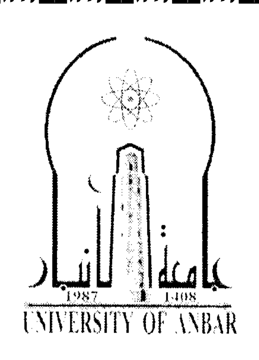
جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار /كلية الآداب
قسم التاريخ



مدينة تونس
دراسة في أحوالها السياسية والحضارية
(296-981هـ/908-1572م)

إطروحة مقدمة من الطالب

منذر عطا الله شيحان الدليمي

إلى مجلس كلية الآداب - جامعة الأنبار - وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه
فلسفة في التاريخ الاسلامي

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

بديع محمد إبراهيم الكربولي

جمادي الاخرة
*1436*هـ

اذار
*2015*م

Π

[وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً]

صدق الله العظيم

﴿سورة الاسراء- الآية **85**﴾

إقـــرار المشـــرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة (مدينة تونس- دراسة في أحوالها السياسية والحضارية-296-981ه/908-1572م) التي تقدم بها الطالب (**منذر عطاالله شيحان الدليمي**) تحت إشرافي في كلية الآداب، جامعة الأنبار، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي.

التوقيع:
المشرف: أ.م د. بديع محمد إبراهيم الكربولي
التاريخ: / 3 /2015

بناء على هذه التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع:
رئيس قسم التاريخ: أ.م.د **زياد عويد سويدان**
التاريخ: / 3 /2015

شكر وتقدير

بعد الإنهاء-بعون الله تعالى- من إعداد هذه الدراسة، أتقدم بشكري وامتناني الى أستاذي الفاضل الدكتور بديع محمد إبراهيم الكربولي، الذي تفضل بالاشراف على هذه الاطروحة والتي كانت لتوجيهاته القيمة الأثر الكبير في إخراجها بهذه الصورة، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والعرفان الى أساتذتي الأجّلاء الذي درسوني في السنة التحضيرية، واخص منهم الأستاذ الدكتور عبد الستار مطلك درويش والأستاذ الدكتور كريم عجيل والأستاذ الدكتور فاروق عبد الرزاق الآلوسي والأستاذ الدكتور عبد الهادي محمد عباس والاستاذ الدكتور جهاد عبد حسين العلواني والدكتور شيبان الراوي.

وأتوجه بالشكر والثناء إلى موظفي مكتبة جامعة الأنبار، والمكتبة المركزية في

جامعة بغداد، والمكتبة الوطنية في بغداد، ومكتبة كلية الآداب-جامعة بغداد، لما بذلوه من جهود كبيرة وخدمات طيلة مدة إعداد الدراسة.
واخيراً أتوجه بالشكر الى كل الخيّرين الذين كان لهم دور في إتمام هذا الجهد المتواضع، والى كل من اسدى لي معروفاً ومد يد العون، فجزى الله الجميع عنّي خير الجزاء.

ومن الله التوفيق

الاهـــداء

الى الرحمة المهداة ... الرسول الكريم محمد (ρ)

إلـــى مـــن أمـــدّني بالحـــب والحنـــان ...والـــدي العزيز(رحمه الله)

إلى مَن حرمت نفسها وأعطتني

وبحبها وحنانها وعطفها غمرتني ...والدتي العزيزة اطال الله في عمرها

إلـى سندي وأملـي ومَـن أَشـدد بهـم أزري ...إخـوتي الأعزّاء

إلى مَن شاركتني آلامي وآمالي ...زوجتي

إلى الذين ينتظرون ثمرة هذا الجهد ...أولادي محمد ومصطفى وأحمد وسارة

إلى كلٌّ مَن أحبّني في الله وأحببته فيه .

✍ **الباحث**

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على الأطروحة المقدمة من الطالب منذر عطا الله شيحان الدليمي الموسومة بـ (مدينة تونس - دراسة في احوالها السياسية والحضارية - 296 – 981هـ /908-1572م) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفي كل ما له علاقة بها ، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي بتقدير (   ) .

التوقيع :
الاسم : أ. م . د . عثمان عبد العزيز صالح
عضواً
التاريخ :   / 10 / 2015

التوقيع :
الاسم : أ. د . كريم عجيل حسين
رئيساً
التاريخ :   / 10 / 2015

التوقيع :
الاسم : أ.م.د. علي عطية شرقي الكعبي
عضواً
التاريخ :   / 10 / 2015

التوقيع :
الاسم : أ.م.د ماهر صبري كاظم
عضواً
التاريخ :   / 10 / 2015

التوقيع :
الاسم : أ.م.د ايمان محمود حمادي
عضواً
التاريخ :   / 10 /2015

التوقيع :
الاسم : أ. م . د . بديع محمد ابراهيم الكربولي
عضواً ومشرفاً
التاريخ :   / 10 / 2015

صدقت من قبل مجلس كلية الاداب - جامعة الأنبار

الأستاذ المساعد الدكتور
عارف عبد صايل
العميد وكالة
/   / 2015

المحتويات

المقدمة

أولاً : نطاق الدراسة

لقد حظيت مدينة تونس بمكانة كبيرة منذ تأسيسها سنة 84ه/703م، على يد حسان بن النعمان الغساني وما لبثت هذه المكانة أنْ إزدادت حتى تبوّأت مدينة تونس مركز الصدارة والريادة، لكونها أصبحت حاضرة البلاد، لقد أُريدَ من المدينة أنْ تكون مركزاً دفاعيّاً يمكّنها من مواجهة الخطر البيزنطي فكانت السد المنيع أمام هجمات الأعداء في البحر، إذ جعل منها نقطة انطلاق للجيوش العربية الإسلامية لمتابعة الفتوحات الإسلامية لاسيما منها البحرية، وبذلك أصبحت المدينة معسكراً ساحلياً للجيوش الإسلامية، فكانت بحق قاعدة للأسطول العربي في شمال افريقيا، كما أصبحت مدينة تونس ميناءاً بحرياً للقوات العربية الإسلامية وأساطيلها، وبرزت هذه الأهمية عندما كانت تنطلق منها هذه الحملات البحرية.

وبعد التوكل على الله سبحانه وتعالى إرتأينا دراسة هذه المدينة من جوانبها السياسية والحضارية، لكي نعطي صورة متواضعة عن هذه المدينة، التي كانت ثاني مدينة عربية إسلامية في المغرب العربي بعد مدينة القيروان، والتي أصبحت في يوم من الأيام مقراً وحاضرة للخلافة الإسلامية بعد سقوط الخلافة في بغداد على أيدي المغول سنة 656ه/1258م.

إقتضت طبيعة موضوع هذه الدراسة أنْ تنقسم على خمسة فصول سبقها تمهيد تحدثت فيه عن تسمية المدينة وموقعها الجغرافي والعوامل التي أدّت إلى تأسيسها وما كانت عليه المدينة خلال عصري الولاة والأغالبة.

تناول الفصل الأول من الدراسة الحياة السياسية في مدينة تونس من سنة 296-981ه/908-1572م والذي تم تقسيمه إلى أربعة مباحث، ففي المبحث الأول منه تحدثت عن الحياة السياسية في مدينة تونس خلال العصر الفاطمي 296-362ه/908-972م. وكذلك عن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي(336-333ه/944-948م) وتأثيرها على مدينة تونس، وكان المبحث الثاني الذي خُصّص

لدراسة المدينة في العصر الصنهاجي (450-362ه /972-1059م) متضمناً الظروف التي مرت بها المدينة خلال غزو قبائل بني هلال وبني سليم، ثم اتبعتها بالحديث عن الحياة السياسية في عصر بني خراسان (555-450ه/1059-1160م) والذي كان لهم الدور الكبير في أنْ تكون مدينة تونس إمارة مستقلة في ذلك العهد، بعد التطورات التي شهدتها منطقة الشمال الأفريقي في تلك الحقبة، أما المبحث الثالث فقد تضمن إستيلاء الموحدين على مدينة تونس (625-555ه/1160-1248م) وما شهدته المدينة من أحداث كان أبرزها ثورة بني غانية، والذي كان لها دور كبير على مدينة تونس، واحتلالهم للمدينة سنة 600-602ه/ 1203-1205م. أما المبحث الرابع الأخير فقد خُصص للحديث عن مدينة تونس في العصر الحفصي(625-981ه/1228-1572م) وكيفية إستقلال الحفصيين بعد أنْ كانوا تابعين للدولة الموحدية، وأصبحت مدينة تونس في زمن الحفصيين مقراً للخلافة بعد سقوط الخلافة في بغداد على أيدي

المغول، وتناول هذا المبحث أوضاع المدينة بمراحلها المختلفة من الإستقلال وإعلان الخلافة إلى الإزدهار ثم إلى الفوضى والتدهور والسقوط، وكان الحديث عن أبرز الأحداث التي شهدتها تلك الحقبة والتي كان في مقدمتها الحملة الصليبية الثامنة على تونس سنة 668-669هـ/1270-1271م، وكذلك خضوع المدينة لسلطان بني مرين 748-750هـ/1347-1350م .

وركز الفصل الثاني على دراسة الحياة الاجتماعية في مدينة تونس، فتم تقسيمه إلى أربعة مباحث ، ففي المبحث الأول تم الحديث عن مكونات المجتمع في المدينة، من عرب المغرب(البربر) وعرب المشرق والأفارقة والروم واليهود والنصارى والأندلسيين والاقباط ومسلمو صقلية . وخصص المبحث الثاني للحديث عن دور الفقهاء والقضاة في الحياة الإجتماعية، أما المبحث الثالث فقد تضمن دور المرأة في الاسرة والمجتمع، وفي المبحث الرابع كان الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة تونس والذي يشمل السكن والبيوت ومياه الشرب وطعام السكان وملابس أهل المدينة والأعياد والأحتفالات وكذلك عاداتهم وتقاليدهم .

وخُصّص الفصل الثالث لدراسة الحياة الإقتصادية في المدينة، وقسم إلى خمسة مباحث كان المبحث الأول يركز على سياسة الولاة والأمراء والخلفاء في إنعاش الحياة الإقتصادية ، وتضمن المبحث الثاني الزراعة فذكرت أنواع المحاصيل الزراعية التي تشمل زراعة الحبوب والفواكه والزيتون ومحاصيل أخرى، وكذلك تم الحديث عن نظام الري . أما المبحث الثالث فقد تضمن الحديث عن أبرز الصناعات الرائجة فيها ، فمنها صناعة المنسوجات التي إشتهرت بها المدينة وكذلك صناعة الزيوت النباتية والصناعات الخزفية والجلدية والخشبية وصناعة العطور وبعض الصناعات الاخرى التي كانت في المدينة، أما المبحث الرابع فقد خصص للحديث عن التجارة، فتحدثت عن أسواقها ودورها الكبير في الحياة الإقتصادية، وكذلك عن التعاملات النقدية والتي شملت الأسعار والسكة والأوزان والمكاييل والمقاييس التي تستخدم في أسواقها، وكذلك عن الطرق التجارية والمسافات التي تفصلها عن المدن الأخرى لما لها من أهمية في التجارة، وتناولت في هذا المبحث الحديث عن علاقات مدينة تونس التجارية بالمدن المجاورة لها في الشمال الأفريقي، وعن علاقتها مع مصر والسودان الغربي والأندلس، وكذلك عن علاقاتها مع صقلية وعن علاقاتها التجارية مع المدن الايطالية، وعن صادراتها إلى المشرق والواردات من المدن الأخرى اليها . أما المبحث الخامس والأخير فقد خصص للحديث عن الثروة الحيوانية وأنواع الحيوانات لما لها من أهمية كبيرة في الحياة الإقتصادية للمدينة .

وتضمن الفصل الرابع المظاهر العمرانية في المدينة، وتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول يشمل المساجد والجوامع والزوايا في المدينة، والتي كان لجامع الزيتونة والمساجد الأخرى مساحة واسعة فيه نظراً لما لها من دور كبير في حياة المدينة، وفي المبحث الثاني كان الحديث عن المباني الإدارية وملحقات المدينة، فشملت المباني الإدارية دار الإمارة أو ما تسمى (بالقصبة) عند أهل المغرب ودار الضرب الذي كان موجوداً في المدينة، وشمل الحديث عن ملحقاتها الاخرى مثل

الأبواب والأسوار والأرباض، وأما المبحث الثالث فقد خصص للحديث عن المباني والخدمات العامة فيها والتي تشمل الحمامات والفنادق والبيمارستانات والمقابر الموجودة في المدينة .

أما الفصل الخامس والأخير فقد تم تخصيصه للحياة الفكرية في المدينة، وشمل ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول يتناول الحديث عن عوامل تنشيط الحركة الفكرية ودور الأمراء والخلفاء في تنشيط الحركة الفكرية للمدينة، وكذلك الرحلة في طلب العلم ودورها في هذا المجال وذكر أبرز من رحل اليها لتلقي العلم والمعرفة، وفي المبحث الثاني تحدثت عن المؤسسات التعليمية وأثرها في الحركة الفكرية، ومساهمتها في نهضة المدينة في هذا الجانب وكان أولها الكتاتيب ثم المساجد والجوامع والمدارس التي أُسّست فيها مع العلم أنَّ أول مدرسة أُسّست في المغرب الأدنى كانت في مدينة تونس، وما قدمه الأمراء والأميرات الحفصيات عن طريق تأسيس المدارس ، اذ كان له دور كبير في تطور وإزدهار الحركة الفكرية، وثم الحديث عن المكتبات الموجودة فيها التي تم توفيرها من خلال الأمراء والسلاطين لطلبة العلم، وكانت لها أوقات معلومة وتدار من قبل أُمناء لهم معرفة في هذا الجانب، وأما المبحث الثالث والأخير فقد خصص للحديث عن أبرز العلوم والمعارف في المدينة إذ كان في مقدمتها علوم القرآن الكريم والتفسير وعلوم الحديث النبوي الشريف والفقه وما كان لها من دور في الحياة الفكرية في المدينة، وقد برز علماء وفقهاء أكفّاء في هذا المجال أخذوا على عاتقهم تدريس هذه العلوم، وكان الحديث عن الشعر والنثر ثم علوم التاريخ والجغرافية .

وتم ختم الدراسة بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي أمكن التوصل اليها عن طريق تلك الدراسة، وبعض الملاحق وَثُبت بالمصادر والمراجع.

ثانياً: تحليل المصادر

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع كان بعضها ذا فائدة كبيرة، ولاسيما المصادر المغربية التي أفادة الدراسة بمادة علمية سياسية وحضارية وبعضها كان معاصراً للأحداث، مما كان له الدور الكبير في الكشف عن الكثير من الأحداث السياسية والحضارية، فتنوعت هذه المصادر منها المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات، فضلاً عن المراجع الحديثة مقسمة كالاتي:

1- كتب الحوادث

- كتاب البيان المغرب لإبن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي(كان حياً 712ه) ، لاسيما الجزء الأول منه وكذلك القسم الخاص بالموحدين، أفاد الدراسة بمعلومات قيمة، وانفرد عن الكثير من المصادر بذكر شيء من التفصيل عن قيام إمارة بني خراسان وامرائهم, وفي القسم الخاص بالموحدين يتكلم عن ثورة بني غانية ومقاومة الموحدين لهم بزعامة إبن أبي حفص الهنتاتي ومن ثم انفصال بني حفص عن الموحدين.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى بتاريخ إبن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي(ت808ه/1406م) وكتابه يعد من المصادر المهمة في تاريخ المغرب بل إنّ الباحث في الشمال الافريقي لا غنى له عن تاريخ إبن خلدون، اعتمدتُ في دراستي على الجزء السادس من تاريخ إبن خلدون، والذي أفاد الدراسة بأغلب فصولها، وعرض الدول والأمارات التي قامت في المغرب الإسلامي وقد أفاد الدراسة بمدة بني خراسان، والدولة الموحدية وكذلك الدولة الحفصية التي كان إبن خلدون معاصراً لمدة من عمر هذه الدولة، بل وتولى بعض المناصب في تونس، وأغنى الدراسة بحديثه عن الحملة الصليبية الثامنة، وينفرد إبن خلدون بذكر شيوخ وفقهاء تونس الذين وقّعوا اتفاقية الصلح مع الصليبيين ، بناءً على أوامر الخليفة المستنصر بالله (647-675ه/1249-1277م).

وكانت لمقدمة إبن خلدون فائدة كبيرة للدراسة لاسيما في الفصل الخامس في الحياة الفكرية، ورفد الدراسة بذكر علوم القران والتفسير والحديث النبوي الشريف، والشعر والنثر.

- كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لإبن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت810ه/1407م) إذ فرغ من كتابه سنة 806ه وأهميته تكمن في أنه من معاصري الدولة الحفصية بل أنه تولى بعض الأعمال بها، ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التي رفدت الدراسة بمعلومات قيمة لاسيما في العهد الحفصي وقد امدنا بمعلومات مهمة عن بني حفص، ولا يكاد يخلو الكتاب من إشارات أفادت الدراسة في الجانبين الاقتصادي والفكري. وإنّ إبن القنفذ ألف كتابه هذا للسلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز(796-839ه/1396-1434م) واليه يرجع تسمية هذا الكتاب بالفارسية.

- كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لإبن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد إبن الشماع (ت861ه/1457م) تناول فيه تاريخ الدولة الحفصية، وألفهُ للخليفة الحفصي أبو عمرو عثمان(839-893ه). أفاد الدراسة إلى جانب المعلومات السياسية في العهد الحفصي، بكثير من الجوانب الحضارية، مثل المدارس والمقابر والزوايا والمكتبات والأعمال الخيرية الأخرى. وانفرد إبن الشماع ببعض الروايات دون غيره من المؤرخين، فعلى سبيل المثال لا الحصر انفرد بذكر عدد بيوت تونس، وحدّدها بنحو سبعة الآف منزل، وحدّد لنا تأسيس أول مدرسة مع ذكر مؤسِسها، وتزداد أهميته في أنه عاش في كنف الدولة الحفصية.

- كتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي، أبي عبد الله محمد بن ابراهيم (ت932ه/1526م) وهو عبارة عن تاريخ موحد لأحداث المغرب العربي من القرن السادس الهجري إلى التاسع الهجري ، للدولتين الموحدية والحفصية، وإن كان التركيز اكثر على الدولة الحفصية في تونس، وأنّه كان معاصراً للأحداث، التي ذكرها، وكان لهذا المصدر فائدة كبيرة في اغلب فصول الدراسة، وتزداد أهمية الكتاب لاسيما بعد وفاة إبن خلدون وإبن القنفذ، فكان الزركشي يدون أحداث الدولة الحفصية، وكان تدوينه للأحداث حتى سنة 882ه/1478م .
- كتاب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس لإبن أبي دينار، (1110ه/1698م) اسم هذا الكتاب يغني عن التعريف به، فقد كانت له فائدة كبيرة في مختلف فصول الدراسة. قسّم إبن أبي دينار كتابه إلى فصول فجعل منها فصلاً للتعريف بتونس، وعن الدولة الفاطمية والصنهاجية وخصّص أحد فصول الكتاب إلى الدولة الحفصية، وكذلك خصّص الآخر إلى العادات والتقاليد التونسية والأحتفالات.

2- كتب التراجم

لقد كان لكتب التراجم أهمية كبيرة في هذه الدراسة ذلك لإنها أعطت صورة واضحة لمختلف نواحي الحياة سواء الاجتماعية أو الإقتصادية أو الفكرية من خلال تراجم علماء وفقهاء وادباء مدينة تونس:

- كتاب طبقات علماء أفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، (ت333ه/944م)، والذي أفاد الدراسة بتراجم لبعض علماء وفقهاء مدينة تونس، إذ أعطى إشارات واضحة للأسواق والحرف الموجودة فيها، وكذلك إلى بداية التعليم في جامع الزيتونة من خلال تراجم بعض الفقهاء.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، أبو الفضل عياض بن

موسى اليحصبي(ت544ه/1149م)، والذي أفاد الدراسة من خلال تراجم العلماء والفقهاء المالكية وعن دخول موطأ الامام مالك إلى تونس، وكذلك انفرد بنشر رسالة الفقيه محرز بن خلف إلى أمير أفريقية باديس بن المعز

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، للغبريني، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي(ت714ه/1315م)، وهذا الكتاب يعد من كتب التراجم المهمة التي رفدت الدراسة بمعلومات حول تراجم بعض العلماء والفقهاء، وتميز هذا الكتاب بالشمول وتسجيله بعض الأحداث التاريخية.

3- كتب الجغرافية

لقد قدمت الكتب الجغرافية فائدة كبيرة للدراسة، فالباحث الذي يكتب عن أي مدينة من المدن لابد من الرجوع إلى المصادر الجغرافية التي تحتوي على معلومات جغرافية ذات أهمية تاريخية تفيد الدراسة ومن أهم هذه المصادر:

- كتاب صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل النصيبي(ت367ه/977م) تكمن أهمية كتاب إبن حوقل، صورة الأرض بأنه جمع مادته العلمية خلال رحلته إلى المغرب العربي، فقد أفادت الدراسة لاسيما في المجال الاقتصادي متحدثاً عن خصوبة تربة مدينة تونس، وعن كثرة الفواكه والمحاصيل الزراعية، وزراعة القطن الذي يتم تصدير الفائض منه إلى القيروان وقد ذكر الحيوانات الموجودة في المدينة وفي مجال الصناعة. أفادنا إبن حوقل بالصناعات الخزفية التي تشتهر بها المدينة.
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك للبكري أبو عبيد الله البكري (ت487ه/1094م). ويعد هذا الكتاب من المصادر الجغرافية المهمة، وقد رفد الدراسة في اغلب فصولها، فقد وصف مدينة تونس وصفاً دقيقاً . إذ وصف جامع الزيتونة، وكذلك أبواب المدينة، وموقعها، ووصف أسواق وفنادق وحمامات المدينة، وتناول أيضاً بالتفصيل وصف دار الصناعة. وفي الصناعة يذكر الصناعات الخزفية، ووصف فواكه مدينة تونس التي تشتهر بها.
- وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية للأدريسي (ت 548ه/1154م) وهو مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق. الذي أفاد الدراسة لاسيما الفصل الثالث منها، الحياة الإقتصادية في تونس، إذ يذكر المزارع في تونس ومدى تأثرها من خلال غزو قبائل بني هلال وبني سليم على المدينة، ويتحدث عن الصادرات والواردات مع مناطق الشمال الأفريقي، وكذلك عن المسافات والطرق التجارية.
- كتاب وصف أفريقية لليون الأفريقي، أبو الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـ ليون الافريقي(957ه/1550م)، وهذا الكتاب من جزئيين، فكانت الإفادة من الجزء الثاني، إذ قدم هذا الكتاب معلومات دقيقة أفادت الدراسة لاسيما في الفصل الثاني المتعلق بالحياة الاجتماعية وكذلك في الفصل الثالث المتعلق بالحياة الإقتصادية، وقد تحدث عن سكان مدينة تونس وعاداتهم

وتقاليدهم، والسكن، والطعام، وكذلك عن الأرباض، والفنادق، والحمامات، وأمّا ما يتعلق بالحياة الإقتصادية، فكان يتحدث عن أسواق المدينة وصناعة النسيج.

4- كتب الرحلات

كان لكتب الرحلات فائدة كبيرة أفادت الدراسة من خلال ما قدمه اصحابها من معلومات دقيقة، خلال زياراتهم إلى مدينة تونس، ومنها:

- رحلة العبدري، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن سعود العبدري (ت بعد 700ه/1200م). والذي قدم معلومات دقيقة ومهمة أفادت الدراسة من خلال زيارته إلى تونس سنة 688ه/1289م. قدم العبدري وصفاً دقيقاً لجامع الزيتونة وعن أبواب المدينة ووصف سقاية الماء المجلوب من زغوان.
وقد قدم معلومات مفيدة للدراسة في الحياة الفكرية عن طريق مجالسته ولقائه لبعض الفقهاء والعلماء، وذكر العلوم التي كانت تُدرّس في جامع الزيتونة أو في المدارس الأخرى.

- رحلة التجاني، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت717ه/1217م).
تعد رحلة التجاني من المصادر المهمة التي تخص مدة العهد الحفصي والذي قدم لنا وصفاً لمدينة تونس ووصف جامع الزيتونة وكذلك قدم معلومات مهمة عن دخول الموحدين إلى تونس وذكر شيوخ تونس الذين ذهبوا للقاء عبد المؤمن بن علي الموحدي من اجل طلب السلم اثناء حصاره لمدينة تونس وكذلك أفادت الدراسة في الحياة الفكرية لذكره الكتب النفيسة في مكتبة الأمير أبي زكريا بتونس وكذلك عن تعيين امناء لهذه المكتبة.
- رحلة القلصادي، لأبي الحسن علي القلصادي (ت891ه/1486م).
أفادت رحلة القلصادي الدراسة من خلال وصفه لمدينة تونس عند زيارته لها وقد ذكر المدارس التي إستقر بها لطلب العلم وكذلك مجالسته ودراسته على يد بعض العلماء والفقهاء إذ رفدت الدراسة بالمواد الدراسية التي كانت تُدرّس بتونس.

5- المراجع الحديثة

هناك مجموعة كبيرة من المراجع الحديثة التي رفدت الدراسة بمعلومات قيمة إلاّ إنها لم تعطي صورة واضحة وشاملة عن الموضوع، فمن المراجع التي أفادت الدراسة منها مؤلفات حسن حسني عبد الوهاب وياتي في مقدمتها كتاب ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، وكتابه الشهيرات التونسيات، وخلاصة تاريخ تونس، وكتاب العمر الذي يعنى بالتراجم إذ قدم معلومات قيمة حول تراجم الفقهاء والعلماء.

كان لمؤلفات محمد بن الخوجة والتي ابرزها تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد وكتاب صفحات من تاريخ تونس والذي أفاد الدراسة من خلال حديثه عن المساجد والجوامع والمدارس في مدينة تونس . ومن المؤلفات الأخرى التي أفادت الدراسة كتاب تاريخ أفريقية في العهد الحفصي لروبار برنشفيك والذي ترجمه عن

الفرنسية حمادي الساحلي إذ قدّم فيه معلومات قيّمة للدراسة وبخاصة خلال العهد الحفصي.

كذلك عبد العزيز الدولاتلي وكتابه مدينة تونس في العهد الحفصي والذي ترجمه محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، وهو من الكتب المعربة، والذي قدم فيه معلومات مهمة أفادت الدراسة خلال العهد الحفصي.

ومن الكتب الأخرى، مؤلفات سليمان مصطفى زبيس، ومنها كتابه حول مدينة تونس العتيقة، وبين الآثار الاسلامية، والذي رفد الدراسة بمعلومات مهمة.

وهناك مراجع أخرى لا تقل أهمية من حيث الفائدة، مثل كتاب الدولة الصنهاجية للمؤلف الهادي روجي ادريس، الذي نقله إلى العربية حمادي الساحلي، والذي رفد الدراسة بمعلومات قيمة لاسيما عن العهد الصنهاجي. اما عن الدراسات السابقة فكانت اطروحة دكتوراه تحت عنوان تونس من الفتح الاسلامي حتى سقوط دولة الاغالبة للطالب ابراهيم فرغلي في أحدى الجامعات المصرية .

ولا ننسى الصعوبات الكبيرة التي واجهتنا في دراسة البحث . إذ تمثلت بالظروف الامنية التي تشهدها المحافظة ، وصعوبة التواصل مع المكتبات وقلة المصادر .

وفي الختام لابد من القول أن هناك الكثير من المصادر والمراجع والدوريات والاطاريح الجامعية التي أفادت الدراسة بتقديمها معلومات مهمة، ليس هذا مكان ذكرها بل في قائمة المصادر والمراجع. ومن الله التوفيق

واسأل الله تعالى أنْ اكون قد وفقت فيما قدمت وأنْ تكون خطوة على طريق البحث في تاريخ الاسلام وحضارته، فإن أصبتُ فبتوفيقٍ من الباري عزّ وجل، وإنْ قصرتُ فحسبي لم أتعمّد التقصير، إذ أنَ الكمال لله وحده يؤتي الفضل من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وفي الختام أطلب من الباري عزّ وجل أنْ يجعل هذا العمل خالصاً لوجهة الكريم، وأنْ ينفعنا به، إنّه نعم المولى ونعم النصير، ومن الله التوفيق.

التمهيـــد

أولاً : التسمية والموقع
ثانياً: تونس في عصر الفتح والولاة
ثالثاً: تونس في عصر الأغالبة

أولاً : التسمية والموقع:

اختلفت المصادر التاريخية حول تسمية مدينة تونس، فمنهم من ذكر أن اسم مدينة تونس قرطاجنة[1]، ويبدو أن اسم قرطاجنة مستبعد لأن مدينة تونس مدينة محدثة بأفريقية ((على ساحل البحر عمرت من أنقاض قرطاجنة وهي على ميلين منها، وكان إسمها ترشيش)) [2]، في حين ذكر آخرون أن إسمها في قديم الزمان ترشيش، فلما أحدث فيها المسلمون البناء سميت تونس[3]، وذكر مؤرخ آخر أن إسمها ترسيس[4]، وكان ((بقرب ترشيش هذه صومعة راهب فكانت سرايا المسلمين تنزل بإزاء تلك الصومعة وتأنس بصوت الراهب، فيقولون هذه الصومعة تؤنس فلزمها هذا الاسم فسميت تونس))[5]، وذكر أحد المؤرخين التونسين((أن لها خمسة اسماء، ترشيش وتونس وقيل تانس والحضراء والخضراء، والدرجة العليا، فترشيش إسمها في القديم، وتونس حادث لها واشتقاقه من التأنيس، والحضراء لأنها حضرت السلاطين من بني حفص، والخضراء لكثرة زيتونها والزيتون لايزال أخضر طول الزمان وهو الشجرة المباركة... والدرجة العليا قيل لأن بها الجامع الأعظم وقيل لارتفاعها عن غيرها من البلدان وارتفاع صيتها كل أوآن))[6].

---

(1) إبن خرداذبة، أبو القاسم عبيد بن عبد الله(ت في حدود 300ه/912م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1889، ص87 ؛ إبن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن بن محمد الهمداني(ت365ه/975م)، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996 ، ص132 .

(2) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله(ت626ه)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، بلا. ت)، 60/2 ؛ إبن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن(ت739ه)، مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1 ، (دار الجيل، بيروت)، 1992، 282/1 .

(3) إبن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي(ت367ه)، صورة الارض(بيروت ، لبنان)، 1962، ص73 ؛ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز(ت487ه)، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (بلا. ت)، ص37 ؛ الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس(ت نحو548ه)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط1، عالم الكتب بيروت، 1409ه، 285/1 ؛ إبن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني(ت1110ه)، المؤنس في اخبار أفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1289ه، ص6 .

(4) ليون الافريقي، الحسن بن محمد الوزان(ت بعد 957ه)، وصف افريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1983 ، 70/2 .

(5) مؤلف مجهول،(كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، ص121 .

(6) إبن أبي دينار، المؤنس، ص9 .

وتقع مدينة تونس في الأقليم الثالث، إذ الطول اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، العرض ثلاث وثلاثون درجة وأحدى وثلاثون دقيقة, وهي على بحيرة مالحة خارجة من البحر الرومي، طولها عشرة أميال، وتونس على آخرها[1]، ((وهي على ساحل البحر))[2]، وذكر آخرون بأن ((مدينة تونس في وسط جوف خارج عن البحر وهي على بحيرة محتفرة وعرضها اكثر من طولها وذلك أن طولها ستة أميال وعرضها ثمانية أميال ولها فم يتصل بالبحر وهو المسمى فم الوادي))[3]، وقد ذكر بأن مدينة تونس ((في سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو))[4]، ودور مدينة تونس أربعة وعشرون الف ذراع[5].

وقد ذكر أحد المؤرخين المحدثين بأنه ((من خاصيات موقع مدينة تونس أنها تمتد بين بحيرتين، السبخة من الجهة الغربية والبحيرة من الجهة الشرقية))[6]، فهي تبعد عن قرطاجنة عشرة أميال[7]، او اثنتي عشر ميلاً [8]، وعن مدينة القيروان مرحلتين[9]، وقيل ثلاثة أيام[10]، ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك يسمى مرساها رادس[11]، وكان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(136-158ه/753-774م) إذا قدم عليه رسول صاحب القيروان يقول له: ما فعلت إحدى القيروانين، يعني تونس تعظيماً لها[12].

---

(1) القلقشندي، أبي العباس أحمد(ت821ه)، صبح الاعشى، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915 ، 102/5 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص6 .
(2) إبن خرداذبة، المسالك والممالك، ص87 ؛ إبن الفقيه، البلدان، ص132 .
(3) الادريسي، نزهة المشتاق، 285/1 ؛ إبن أبي دينار ، المؤنس، ص6 .
(4) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص39 ؛ إبن فضل الله العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد (ت749ه)، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001، 89/4 ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، 102/5 .
(5) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص37 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص7 .
(6) الدولاتلي، عبد العزيز، اضواء تاريخية على بحيرة تونس، المجلة التاريخية المغربية، (العدد3 ، يناير، 1975 ، تونس) ، ص30 .
(7) مجهول، الاستبصار، ص120؛إبن الشماع،أبوعبدالله محمد بن أحمد (ت861ه/1457م) ، الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص36 .
(8) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص41 ؛ إبن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي(كان حياً سنة 712ه)، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س كولان و إ. ليفي بروفنسال، (دار الثقافة، بيروت، بلا. ت)، 34/1 .
(9) الادريسي، نزهة المشتاق، 284/1 .
(10) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت682ه)، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر بيروت، ص174 .
(11) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص37 .
(12) إبن الشماع، الادلة البينة، ص36 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص6 .

ثانياً : تونس في عصر الفتح والولاة

ذكر البلاذري دون غيره بأن زهير بن قيس البلوي(74-69ه/688-693م) فتح مدينة تونس دون تحديد تاريخ لذلك [1]، وتكاد تجمع المصادر التاريخية على أن فاتح مدينة تونس هو القائد حسان بن النعمان الغساني [2]. الذي بعد أنتصاره على الكاهنة وقتلها سنة 82ه/701م رجع إلى القيروان ليعيد تنظيم قواته لكي يحرر مدينة قرطاجنة بعد أن تمكن البيزنطيين من احتلالها نتيجة لأنسحاب العرب المسلمين إلى طرابلس [3]، وغيابتهم عن مسرح الأحداث مدة تقرب من خمس سنوات [4]، ويذكر الدباغ[5]، بأن حسان بن النعمان أمر بتجديد بناء المسجد الجامع في القيروان ((في شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثمانين من الهجرة ثم رحل يريد قرطاجنة))، فنزل بموضع دار الصناعة[6] ، وبعد ذلك توجه نحو قرطاجنة لإعادة تطهيرها من البيزنطين الذين هربوا من أمامه إلى البحر واستعاد حسان المدينة [7]، وفي ذلك يقول الدباغ[8]: ((وملك حسان رضي الله عنه فحص تونس وقرطاجنة)) ، ويتضح من خلال هذا أن حسان بن النعمان افتتح مدينة تونس سنة 84ه/703م.

أما بالنسبة لإجراءات حسان لصد خطر البيزنطين ومقاومة أي اعتداء يقومون به

---

(1) أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت279ه)، فتوح البلدان، وضع حواشيه عبد القادر محمد علي، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 ، ص140 .

(2) المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد(ت بعد 453ه)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، تح بشير البكوش، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1994 ، 1/ 57 ؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص37 ؛ الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت696ه)، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ، اكمله وعلق عليه إبن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، ط2 ، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1968 ، 68/1 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص13 .

(3) إبن عذاري ، البيان المغرب ، 38/1 ؛ طه ، عبد الواحد ذنون، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004، ص51 ؛ الحفناوي، أحمد، تونس في عصرها الإسلامي ،مجلة الاديب، العدد 7 و 8، بيروت، 1980، ص32 .

(4) الرقيق القيرواني، أبو اسحاق بن إبراهيم(ت417ه)، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، القاهرة، 1994 ، ص48 ؛ طه ، الفتح والاستقرار ، ص135 .

(5) معالم الأيمان، 67/1 .

(6) الدباغ، معالم الأيمان، 68/1 .

(7) المالكي، رياض النفوس، 57/1 ؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص37 ، الحفناوي، تونس في عصرها الإسلامي، ص33 .

(8) معالم الأيمان، 68/1 .

على الساحل فقد عمد أن ينشئ بالقرب من قرطاجنة مدينة تونس لتكون قاعدة للأسطول العربي الإسلامي في شمال افريقيا [1]. ووجد أن سقوط قرطاجنة بيده لا يمنع الروم البيزنطين من الإغارة عليها من البحر[2] ، فكتب حسان إلى الخليفة عبد الملك إبن مروان(65-86ه/685-706م) يستشيره بذلك، ((فكتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز وهو وال مصر أن يوجه إلى معسكر تونس الف قبطي بأهله وولده، وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى ترشيش وهي تونس، وكتب إلى إبن النعمان يأمره أن يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر وأن يجعل على البربر جر الخشب لأنشاء المراكب)) [3]، فوصل القبط إلى حسان وهو مقيم في تونس، فأجرا البحر من مرسى رادس إلى دار الصناعة، وقام البربر بجر الخشب وأمر القبط بعمارتها [4]. وحسان هو الذي خرق البحر اليها (أي تونس) وجعلها دار صناعة [5]. وقد تطلب ذلك من حسان حفر قناة وسط البحيرة لغرض تأمين سير المراكب وكذلك تأمين الاتصال بين دار الصناعة في المدينة والميناء او المرسى في رادس،[6] ((فأصبحت دار الصناعة في تونس متصلة بالميناء والميناء متصل بالبحيرة والبحيرة متصلة بالبحر)) [7].

وقد عمل القائد حسان بن النعمان في سنة 84ه/703م على تعمير مدينة تونس لتكون مركزاً دفاعياً يمكنها من مواجهة الخطر البيزنطي، فكانت السد المنيع أمام هجمات الاعداء في البحر، وكذلك جعل منها نقطة الإنطلاق للجيوش الإسلامية [8]، وقد عمرت مدينة تونس، واتسع عمرانها وأصبحت مصراً واهتم الولاة المسلمون بعد حسان بن النعمان بالقاعدة البحرية وبدار الصناعة فحصنوها وجددوا مبانيها [9].

وينسب بعض المؤرخين بناء دار الصناعة في تونس إلى موسى بن نصير (85-96 ه /705-714م) او عبيد الله بن الحبحاب(116-123ه/733-740م)[10]. ويبدو أن

---

(1) طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ص52 .

(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص37 ؛ مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، القاهرة، 1947، ص260 .

(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص38 .

(4) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص38-39 .

(5) الدباغ، معالم الأيمان، 68/1 .

(6) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص38 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص33 .

(7) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص39 .

(8) بن مامي، محمد الباجي، لمحة تاريخية حول مدينة تونس، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد5 ، لسنة 1998، ص2 .

(9) إبن أبي دينار، المؤنس، ص6 ؛ موسى، لقبال ، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرم حتى إنتهاء ثورات الخوارج، ط1، مط البعث، قسنطينة ، 1969 ، ص93 .

(10) إبن قتيبة الدنيوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت276ه)، الأمامة والسياسة المنسوب لإبن قتيبة، تحقيق علي شيري، بيروت، 1990، 80/2 ؛ إبن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت658ه)، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، ط2، مصر، 1985، 337/2؛ النويري، شهاب الدين أحمد (ت733ه)، نهاية الارب في فنون الادب، تح عبد المجيد

هذا الإختلاف يعود إلى إسهام هؤلاء الولاة في البناء، إذ أن حسان إبن النعمان هو الذي بدأ في بنائها سنة 84ه/703م ثم نمت وازدهرت في عهد موسى إبن نصير وعبيد الله بن الحبحاب، فأصبحت مدينة تونس ثاني مدينة عربية إسلامية في المغرب العربي بعد مدينة القيروان.

أما عن الأسباب التي أدت إلى بنائها، فاراد لها أن تكون محرساً لأفريقية الإسلامية من الروم البيزنطيين الذين كانوا يشكلون خطراً على المسلمين ويهددون المنطقة بين مدة وأخرى وكذلك لتكون ميناءً جديداً لتحل محل مدينة قرطاجنة [1]. ولتكون معسكراً ساحلياً للجيوش الإسلامية، وقاعدة إنطلاق لمتابعة الفتوحات الإسلامية وفي هذا السياق يذكر البكري[2] ((فلم تزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمين بلاد الروم، ويكثرون فيهم النكاية ولهم الأذاية))، فأصبحت مدينة تونس ميناءاً بحرياً للقوات العربية الإسلامية واساطيلها، وبرزت أهميتها اكثر عندما بدأت الحملات البحرية تنطلق منها باتجاه، جزر البحر المتوسط (صقلية وسردينيا) [3].

بعد عزل حسان بن النعمان الغساني عن ولاية أفريقية سنة (85ه/704م) وتولية موسى بن نصير خلفاً عنه[4] ، وخلال ولايته لأفريقية فقد تابع الاهتمام بالأسطول العربي في تونس لتأمين المنطقة الساحلية من هجمات الروم، وكذلك للأعداد لفتح الجزر القريبة من هذه المنطقة[5] . وأن قول إبن قتيبة[6]: ((أن موسى بن نصير أمر بدار صناعة تونس)) ، لعله يريد أن يذكر أن موسى بن نصير قام بتوسيع دار الصناعة، وكانت أولى الحملات الموجهة من قاعدة تونس نحو صقلية سنة 85ه/704م بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير، فحققت هذه الحملة اهدافها المرسومة وعادت بغنائم كثيرة [7]. وخلال مدة ولاية عبيد الله بن الحبحاب (116-123ه/733-740م) للمغرب وسع من بناء جامع الزيتونة في مدينة تونس وعمل على تجديد دار الصناعة فيها [8].

ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، (بلا. ت)، 31/24 .

(1) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص260 ؛ طه ، الفتح والاستقرار ، ص 136 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص39 .

(3) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص263 ؛ طه ، الفتح والاستقرار ، ص 136 .

(4) إبن عذاري، البيان المغرب، 41/1 .

(5) إبن أبي دينار، المؤنس، ص33 ؛ فرغلي، إبراهيم، تونس من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة الأغالبة، ط1،العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص62 .

(6) الأمامة والسياسة، 80/2 .

(7) أحمد، نهلة شهاب، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2009، ص11 .

(8) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص39 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص13-14 .

ثالثاً: تونس في عصر الأغالبة:

في نهاية القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي، ظهرت في بلاد المغرب العربي مجموعة من الدويلات التي استقلت في سائر اجزاء المغرب عن الخلافة العباسية ومنها دولة الأغالبة في المغرب الادنى (184-296ه/799-908م) [1]، مستقلة استقلال ذاتياً مع الاعتراف بدولة الخلافة واستمرار الخطبة للخليفة [2].

والتي تبدأ بولاية إبراهيم بن الأغلب (184-196ه /799-812 م) عندما ولاهُ الخليفة العباسي هارون الرشيد(170-193ه/785-809م) على أفريقية أميراً، وكان آخر أمرائها هو زيادة الله الثالث بن الأغلب سنة (296ه/908م)[3] .

أما عن كيفية بروز إبراهيم بن الأغلب على مسرح الأحداث وتوليته الإمارة يذكر إبن عذاري، أنه في سنة 183ه/798م زحف تمام بن تميم التميمي عامل تونس على محمد بن مقاتل العكي(181-184ه/796-799م) والي أفريقية، وخرج من تونس مع جماعة من الجند من أهل الشام وخراسان متوجهاً إلى القيروان وخرج اليه العكي فتقاتلا وأنهزم العكي راجعاً إلى القيروان، ودخل تمام إلى القيروان فأمنه تمام بالخروج منها، ثم تولى أمر أفريقية تمام بن تميم التميمي وكان ثائراً متغلباً من غير عهد من الخليفة هارون الرشيد[4].

في هذه الاثناء كان إبراهيم بن الأغلب أميراً على ولاية الزاب، فلما بلغ تمام اقباله اليه رجع تمام إلى تونس، فدخل إبن الأغلب إلى االقيروان وعمل على إعادة الوالي محمد بن مقاتل العكي[5]، وفي سنة 184ه/800م خرج العسكر من القيروان إلى مدينة تونس لمحاربة تمام بن تميم، وعندما علم بالأمر طلب الأمان من إبراهيم بن الأغلب فأمنه واقبل به إلى القيروان [6].

كان إبراهيم بن الأغلب (184-196ه /799-812م) ((فقيهاً عالمــاً وخطيبــاً وشاعـراً ، ذا رأي وبأس وحـزم وعلم الحروب ومكائدها، حسن السيرة)) [7]، ولما تم

---

(1) فرغلي، تونس، ص136 .

(2) إبن عذاري ،البيان المغرب ، 92/1 ؛ جوهر، حسن محمد، تونس، دار المعارف، مصر، 1961، ص41 .

(3) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح(ت292ه)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، ط1، مط مهر، 1425ه، 289/2 ؛ النويري، نهاية الارب، 54/24 ؛ إبن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص53-62 .

(4) البيان المغرب، 90/1 .

(5) إبن عذاري، البيان المغرب، 90/1 ؛ الباجي، أبي عبد الله الشيخ محمد (ت1297ه)، الخلاصة النقية في أمراء أفريقية، ط2، تونس، 1323ه , ص23 .

(6) إبن عذاري، البيان المغرب، 91/1-92 .

(7) النويري، نهاية الارب، 56/24 ؛ لسان الدين إبن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله

((أمر العكي كرهه العامة، وداخلوا إبراهيم في طلب الإمارة من الرشيد)) [1]، وبذلك تسلم إبراهيم بن الأغلب إمارة أفريقية إذ عهد اليه الخليفة هارون الرشيد بالإمارة (184-196ه/799-812م) واخذ يستعد لمواجهة المعارضين له بالحكم فحدثت في سنة 186ه/802م أول هذه الثورات بقيادة حمديس بن عبد الرحمن الكندي في مدينة تونس إذ التف حوله أهل مدينة تونس من العرب والبربر، فارسل اليه الأمير إبراهيم بن الأغلب جيشاً بقيادة عمران بن مجالد فالتقوا بسبخة تونس واقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل حمديس في هذه المعركة ودخل عمران بن مجالد إلى مدينة تونس [2].

خلال إمارة زيادة الله الأول(201-223ه/816-837م) الذي واجه ثورة منصور بن نصر الطنبذي سنة 209ه/824م [3]. وكانت من أشد الثورات التي قامت ضده ففي سنة 209ه/824م ثار منصور الطنبذي بتونس فارسل له الأمير زيادة الله الأول قوة بقيادة أبي محمد حمزة، فسار إبن حمزة إلى تونس، فكان منصور يقيم في قصره بطنبذة فنزل أبي محمد إلى دار الصناعة بتونس ووجه إلى منصور القاضي شجرة بن عيسى ومعه أربعون شيخاً من شيوخ تونس من أجل اقناعه بالرجوع تحت طاعة الأمير زيادة الله الأول[4]. لكنه رفض ذلك.

ولشدة الثورة واتساعها يذكر النويري[5] أنه: ((لم يبقى في يد زيادة الله من أفريقية كلها الا الساحل وقابس))، ودخل منصور إلى القيروان واحتلها وعمل على اصلاح سورها فعمل الأمير زيادة الله على تجهيز الجيوش فدامت الحرب بين الطرفين أربعين يوماً إنتهت بهزيمة منصور الطنبذي، واستطاع الأمير زيادة الله السيطرة على مقاليد الأمور [6].

في حين ذكر إبن أبي دينار[7]: ((واتخذ بني الأغلب تونس لمتنزهاتهم))، ومن الأمراء الذين اتخذوا مدينة تونس سكناً لهم، فقد ذكر أن الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (261-289ه/874-901م) انتقل في سنة 281ه/893م لسكن مدينة تونس واستوطنها ((وكان يكثر الاقامة في تونس فبنى بها جامع)) [8]، لعله يريد هنا أن يذكر بأنه قام بعمل توسعة او ترميم في الجامع.

(ت776هـ)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، من كتاب اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ق3 ، ص14 .

(1) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص127 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص24 .

(2) النويري، نهاية الارب، 55/24 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 93/1 .

(3) إبن الاثير، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم(ت630ه)، الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط3 ، دار المعرفة، لبنان، 2011، 388/5 .

(4) إبن عذاري، البيان المغرب، 98/1-99 .

(5) نهاية الارب، 60/24 .

(6) إبن عذاري، البيان المغرب، 100/1 .

(7) إبن أبي دينار، المؤنس، ص14 .

(8) إبن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص61 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص31 .

أما الأمير أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد الأغلبي (289-290ه/901-902م) فجلس بتونس لمظالم الرعية ، ولبس الصوف واظهر العدل، ولم يسكن في قصر أبيه، ولكنه اشترى داراً مبنيه من الطوب فكان ساكناً بها إلى أن هلك[1] . وبعد مقتله دفن بمدينة تونس [2].

وكان آخر أمراء الأغالبة زيادة الله بن أبي العباس بن إبراهيم بن الأغلب(290-296ه/902-908م) عندما أدرك قوة أبي عبيد الله الشيعي ترك مدينة تونس وانتقل إلى مدينة رقادة[3] .

وفي سنة 296ه/908م حصلت معارك عنيفة بين أبو عبيد الله الشيعي، وجيش زيادة الله فكانت هزيمة زيادة الله واستطاع الهرب إلى مصر ودخول أبو عبيد الله الشيعي إلى مدينة رقادة سنة 296ه/908م واستولى على ملك أفريقية[4] ، وسقطت دولة الأغالبة، وليبدأ عهد جديد في ولاية أفريقية بسيطرة الدولة الفاطمية على مقاليد الحكم.

---

(1) لسان الدين إبن الخطيب، اعمال الأعلام، ق36/3 ؛ إبن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص62

(2) إبن أبي دينار، المؤنس، ص14 ؛ إبن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص62 .

(3) إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت808هـ)، تاريخ إبن خلدون، طبعة جديدة مصححة ومنقحة تصحيح وتعليق تركي فرحأن المصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (بلا. ت)، 37/4 .

(4) إبن عذاري ، البيان المغرب ، 146/1-148 ؛ لسان الدين إبن الخطيب ، اعمال الأعلام، ق42/3-45 ؛ إبن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص63-64 ؛ الباجي، الخلاصة النقية،ص34 .

الفصــل الاول

الحيـــاة السياسية في مدينة تونس

❖ المبحث الأول:

أولاً: مدينة تونس في العصر الفاطمي (362-296ه/809-972م)
ثانياً: ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد (336-333ه/944-947م)

❖ المبحث الثاني:

أولاً: مدينة تونس في العصر الصنهاجي (450-362ه/972-1059م)
ثانياً: مدينة تونس في عصر بني خراسان (555-450ه/1059-1160م)

❖ المبحث الثالث:

أولاً: مدينة تونس في عصر الموحدين (625-555ه/1160-1228م)
ثانياً: ثورة بني غانية واثرها على مدينة تونس (602-600ه/1203-1205م)

❖ المبحث الرابع:

أولاً: مدينة تونس في العصر الحفصي (981-625ه/1228-1572م)
ثانياً: الحملة الصليبية الثامنة على مدينة تونس (669-668ه/1270-1271م)
ثالثاً: سيطرة بني مرين على مدينة تونس (750-748ه/1347-1350م)

❖ المبحث الأول:

أولاً: مدينة تونس في العصر الفاطمي (296-362هـ/909-972م)

لم يكن دخول الفاطميين إلى المغرب وليدة الصدفة وانما كان له تخطيط مسبق ودعوة سرية تمكن فيها الدعاة الفاطميين من بث ارائهم وكسب التأييد لفكرهم ودعوتهم بين سكان أفريقية ولاسيما بين أبناء قبيلة كتامة [1]، التي وصلها الداعي أبو عبد الله سنة 280هـ/892م وإسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، واصله من الكوفة، وذكر انه كان محتسباً بسوق الغزل في البصرة، وقيل انما المحتسب اخوهُ أبو العباس محمد [2]. واشتهر كذلك باسم المعلم [3]، ويسميه أهل كتامة أبا عبد الله المشرقي [4]. فقد إستطاع ان يستميل إليه قبيلة كتامة التي يصفها إبن عذاري[5] بقوله: ((ليس في قبائل أفريقية أكثر عدداً، ولا أشد ولا أصعب مراماً على السلطان من كتامة)).

---

(1) القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي (ت363هـ/973م) ، إفتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، ط2، تونس، 1986، ص47؛ الداعي ادريس، عماد الدين(ت872هـ/1488م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب–القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص86؛ العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية،، بيروت، (بلا.ت)، ص225–226 .

(2) إبن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي(ت628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة(بلا. ت)، ص36؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ/1455م)، إتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تح جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1916، 51/1 .

(3) إبن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص37؛ الخربوطلي، علي حسني، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، 1973، ص14 .

(4) إبن الأثير، الكامل في التاريخ، 229/6 .

(5) البيان المغرب، 125/1 .

وأصبحت هذه القبيلة تشكل القوة الرئيسة التي اعتمد عليها الداعي في حروبه مع الأغالبة [1]. ومع اتساع نفوذ الداعي أبي عبد الله والجهر بدعوته، لم يكن الأغالبة على علم بأشتداد أمره، وعندما عرف بذلك الأمير إبراهيم بن محمد بن الأغلب (261-289هـ/874-901م) أرسل إليه إبن المعتصم المنجم يحمل إليه رسالة منها: ((ما حملك على تعرض سخطي والتوثب على مملكتي وافساد رعيتي والخروج عَليَّ....)) [2]، وكان رد الداعي أبو عبد الله لرسول الأمير الأغلبي بالأصرار على محاربتهم ومن هنا بدأ الأستعداد للصراع المسلح بين الطرفين [3]. وعين أبو عبد الله الداعي، الحسن بن هارون قائداً للجيش، وعندما احتل مدينة ميلة[4] وبلغ الخبر إلى الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب(261-289هـ) [5]، وكان حينها في تونس إذ سكنها منذ عام 281هـ/897م واتخذها مستقراً له [6]، أرسل ولدهُ الأحول سنة 289هـ/901م من مدينة تونس، في أربع وعشرين ألف مقاتل ودار القتال وانهزمت قوات أبي عبدالله الداعي، وكثر القتل في أصحابه فاضطرهُ إلى التحصن في جبل

---

(1) إبن عذاري ، البيان المغرب ، 126/1 ؛ الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1994، ص112 .

(2) القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، نص الرسالة ص56-58؛ لسان الدين إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ق38/3-39؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية،ص93-94 .

(3) إبن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص37 ؛ الحرير، د.صالح ادريس، الفاطميون في تونس 296-362هـ، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة العاشرة، جامعة ألفاتح، ليبيا، 1988، ص83 .

(4) ميلة : وهي مدينة صغيرة باقصى أفريقية ، بينها وبين مدينة بجاية ثلاثة أيام ، قليلة الماء ، لها سور وسوق وحمامات ، وهي من مدن الزاب ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 244/5 .

(5) إبن الأثير، الكامل، 229/6؛ جمال الدين، عبدالله محمد، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، دار الثقافة، مصر، 1991، ص45 .

(6) النويري، نهاية الأرب، 72/24 .

إيكجان[1]. عندما توفى الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب (261-289هـ/874-901م) في مدينة تونس، واستلم الإمارة من بعده الأمير أبي العباس عبدالله بن إبراهيم بن أحمد الأغلب(289-290هـ/901-902م) الذي قتل على يد إبنه زيادة الله الثالث(290-296هـ/902-908م) وكانت هذه الأحداث قد افرحت الداعي أبو عبدالله [2]. وقد وصف زيادة الله الثالث بسوء السيرة، وانه عكف على ملذاته، وأهمل أحوال الرعية، وقتل من أعمامه وأهل بيته من قدر عليه[3]. وعند استلامه للإمارة بعث خمسين فارساً إلى أخيه الأحول بكتاب على لسان أبيه أبي العباس يأمرهُ فيه بالقدوم عليه ولا يتخلف، فرجع الأحول ولما وصل أمر زيادة الله بقتله فقُتل،((فكان هذا اعظم فتح عند الشيعي))[4]، وتم قتله في شهر رمضان سنة 290هـ/902م [5]، وترك زيادة الله مدينة تونس وذهب إلى مدينة رقادة[6]، ونزلها خوفاً من الداعي أبي عبد الله، وحصنها وأصلح أسوارها وأقام بها [7].

---

(1) إبن الأثير، الكامل، 220/6 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 134/1 ؛ الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص110 ويسميه (أبا حوال).

(2) إبن الأثير، الكامل، 220/6؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 134/1 .

(3) إبن خلدون، التاريخ، 37/4 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص50 .

(4) إبن الأثير، الكامل، 230/6 ؛ النويري، نهاية الأرب، 79/24 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 136/1 .

(5) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص114 .

(6) رقادة : وهي مدينة بأفريقية بينها وبين مدينة القيروان أربعة أيام ، تكثر فيها البساتين ولم يكن بأفريقية اطيب هواء ولا اعدل نسيماً وارق تربة منها ، تم بناؤها من قبل الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد بن الأغلب ، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصوراً عجيبة وجامعاً ، وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق وكانت دار ملك لبني الأغلب ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 55/3 .

(7) الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى(ت458هـ/1067م)، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ او تيخا، تح عمر عبد السلام تدمري، لبنان، 1990، ص61 ؛ النويري، نهاية الأرب، 80/24؛ إبن خلدون، التاريخ، 37/4 ؛ الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص115

ومن نتائج هذا الصراع الذي حصل داخل اسرة الأغالبة انه مهد الطريق إلى الداعي أبي عبدالله باقتحام مدن الأغالبة الواحدة تلو الأخرى، وربما كان لمعركة كينونة سنة 292هـ/903م بين جيوش الداعي أبي عبدالله وبين الأغالبة بقيادة إبراهيم بن حبشي أمير الجيش الأغلبي أثر كبير في حسم الصراع إذ حققت فيها قوات الداعي نصراً كبيراً على الأغالبة [1]. وفي سنة 296هـ/908م جمع الداعي عساكره فكانت مائتي ألف فارس وراجل والتقت مع عساكر زيادة الله في مدينة الأربس[2] في أول/ جمادي الآخر سنة 296هـ /908م ، وأشتد القتال في هذه المعركة الحاسمة وطالت مدته، وأنتهت بانتصار عساكر الداعي أبو عبدالله وهروب الأمير زيادة الله الثالث إلى مصر، ودخول أبي عبدالله الداعي إلى مدينة رقادة يوم السبت مستهل رجب سنة 296هـ/908م[3]. لتنتهي بذلك دولة الأغالبة، التي حكمت المغرب الأدنى 184-296هـ/799-908م ويبدأ عصر جديد هو عصر الدولة الفاطمية (296-362هـ/908-973م).

ما ان استقر الداعي أبو عبدالله في رقادة، حتى اقبل على اصلاح الأوضاع ، وأمن أهلها وأمر بضرب السكة [4].

---

(1) إبن عذاري، البيان المغرب، 138/1 .

(2) مدينة الأربس : مدينة بأفريقية ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب ، أكثر غلتها الزعفران وبها معدن الحديد ، لها سور وربض كبير وتعرف ببلد العنبر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 136/1 .

(3) إبن الأثير، الكامل، 236/6-237 ؛ إبن الأبار، الحلة السيراء، 191/1 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 146/1-147 ؛ النويري، نهاية الأرب، 80/24 ؛ (دخوله رقادة في جمادي الآخر)، إبن خلدون، التاريخ، 39/4-40 ؛ الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص115-138.

(4) إبن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص38 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 40/4 .

ثم توجه في رمضان من سنة296هـ/908م إلى مدينة سجلماسة[1] ومعهُ اعداد كبيرة من الخيل والرجال، لانقاذ إمامهم عبيد الله المهدي وإبنه أبا القاسم الذينِ كانا محبوسين فيها [2]. وأستطاع من إخراجهما بعد اقتحام المدينة، ((وأظهر أمر المهدي ذلك اليوم، وهو يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين، واعلم جماعتهم انه صاحبهم الذي يدعوا إليه)) [3]، ورجع إلى رقادة ودعى له بالخلافة يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة 297هـ/909م [4]، وأمر بذكر إسمه في الخطبة وتلقب المهدي بأمير المؤمنين [5].

لما استقام سلطان عبيد الله المهدي بأفريقية، إستبد برأيه، وكفَ أبا عبد الله الداعي وأخاه أبا العباس عن الأستبداد عليه، والتحكم في أمره، فعظم عليهما ذلك [6]. وكان عبيد الله المهدي قد قرر التخلص منهما، فأمر عروبة بن يوسف الملوسي وجبر بن نماسب الميلي، أن يكمنا لهما، خلف القصر، وإذا مرا بهما أبو عبد الله الداعي واخيه أبو العباس طعنوهما بالرماح حتى يموتا، فعندما جاءا من الموضع الذي فيه الكمين خرجا عليهما، فصاح أبو عبدالله الداعي على عروبة لا تفعل يا ولدي، فقال له عروبة: ((أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته)) [7]، فقتلا ودفنا في بستان القصر[8].

---

(1) مدينة سجلماسة : وهي مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان ، بينها وبين مدينة فاس عشرة أيام اتجاه الجنوب ، تشتهر بكثرة التمر وصناعة غزل الصوف ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 192/3 .

(2) إبن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص40 ؛ إبن الأثير، الكامل، 237/6 .

(3) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص64 .

(4) القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص299 ؛ إبن الأبار، الحلة السيراء، 191/1 .

(5) إبن الأثير، الكامل، 238/6 .

(6) إبن خلدون، التاريخ، 41/4 .

(7) إبن عذاري، البيان المغرب، 164/1؛ لسان الدين إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ق51/3 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 41/4 .

(8) إبن عذاري، البيان المغرب، 164/1.

وكان مقتلهما في منتصف جمادي الآخر من سنة 298هـ/911م [1].

وكذلك كان مقتل أبي زاكي تمام بن معارك الأجاني، أحد شيوخ قبيلة كتامة، عندما بعثه عبيد الله المهدي إلى طرابلس وأمر عامله هناك أبا يوسف ماكنون على قتله [2]، وقد أثار هذا العمل السخط والتذمر في صفوف الكثير من أبناء قبيلة كتامة، مما دفع أكثرهم إلى العودة لأماكنهم السابقة، وبعد مدة قصيرة تم قتل عبد الله بن محمد المعروف بإبن القديم، ومحمد بن أبي سعيد الميلي صاحب السوق وغيرهم من رجال الدولة بأمر المهدي [3]. يبدو من هذه الاجراءات ان عبيد الله المهدي أراد التخلص من اقرب اعوانه حتى لا ينافسوه على السلطة .

بعد كل هذه الأحداث أخذت الثورات والخروج عن سلطان الدولة بالتصاعد، فقد ثار أهل القيروان، وكذلك أهل صقلية وطرابلس، فكانت اشدها ثورة طرابلس سنة 300هـ/912م [4]. وعلى أثر هذه الأحداث أخذ عبيد الله المهدي يفكر ببناء مدينة تكون حصنا له فخرج من مدينة رقادة إلى مدينة تونس ونواحي البحر، يفتش عن موضع جديد، فوقع اختياره على جزيرة جمه فبدأ بنيانها وهي التي تسمى المهدية نسبة إليه [5]. وانتقل للسكن فيها في شوال سنة 308هـ/920م [6]. وجعلها دار ملكه وقرار سلطانه، وقال بعد تحصينها وعند انتقاله لها :((اليوم أمنتُ على الفواطم)) [7]، وفي هذا

---

(1) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص66 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 41/4 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 86/1 ؛ فيما يحدد إبن الأبار، الحلة السيراء، 191/1؛ وإبن عذاري، البيان المغرب، 164/1 ، مقتلهما في أول ذي الحجة من العام نفسه .

(2) القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص316؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 164/1؛ إبن خلدون، التاريخ، 41/4 .

(3) إبن عذاري، البيان المغرب، 167/1 .

(4) القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص320-326 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب،167/1-168 ، الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب وانتقالها إلى مصر، ص191-201 .

(5) إبن عذاري، البيان المغرب، 169/1 .

(6) القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص328 .

(7) إبن الأثير، الكامل، 274/6 ؛ إبن الأبار، الحلة السيراء، 290/1 .

يقول لسان الدين إبن الخطيب[1]: ((وعمل حساب تقلب الزمان، وتعاقب الخوف فيه والأمان، فشرع في بناء المهدية المنسوبة إليه، واتخذها عدة للشدة واستكثر بها من العدة والخزين))، وخلال وصفه لمدينة المهدية يذكر البكري[2] انها ((مرفأ لسفن الأسكندرية والشام وصقلية والأندلس، وغيرها ومرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركباً، ..... ودار الصناعة بشرقي قصر عبيد الله، تسع أكثر من مائتي مركب))، وأقام بها مخازن للطعام، ومصانع للماء وبنى فيها القصور والدور [3].

من خلال هذا العرض البسيط نجد أن مدينة تونس قد تراجعت اهميتها خلال العصر الفاطمي لأن الفاطميين كان اعتمادهم على قبيلة كتامة في تشكيلة هيكلة الدولة الفاطمية الأدارية والعسكرية وهذا أدى إلى تراجع الجند العربي في مدينة تونس لانها كانت مركزاً لتجمع الجند العربي [4]. وكذلك قيام عبيد الله المهدي(297-322هـ/910-934م) ببناء عاصمة جديدة، وهي مدينة المهدية التي أصبحت مرفأ لسفن الأسكندرية والشام وصقلية والأندلس، وبنائه لدار الصناعة فيها.

وفي هذا السياق لا ننسى وصف البكري[5] لمدينة تونس إذ قال: ((هي مخصوصة بالقيام على الأمراء والخلاف للولاة خالفت نحو عشرين مرة، وامتحن أهلها أيام أبي يزيد بالقتل والسبي وذهاب الأموال)) ، وهذا سنلاحظه خلال أحداث ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي في مدينة تونس. لكن هذا لا يمنع مدينة تونس من مواصلة دورها الحضاري، فقد شهد إبن حوقل (ت367هـ) ما كانت عليه مدينة تونس من ازدهار فأشار إلى كثرة غلاتها، وحسن موقعها، وطيب أهلها، وانتاجها الوفير من مختلف المحاصيل [6]. وقد ذكرت المصادر التاريخية إن الخليفة الفاطمي عبيد الله

---

(1) أعمال الأعلام، ق50/3 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص30 .

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 70/1-71 .

(4) إبن عذاري، البيان المغرب، 135/1 .

(5) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 .

(6) صورة الارض، ص75 .

المهدي بعد انتقاله إلى مدينة المهدية سنة 308هـ ((بنى سور تونس واحكم عمارتها وجدد فيها مواضع)) [1]، مما يشير إلى أنه عمل على اصلاح اسوار المدينة.

ثانياً: ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي[2] وأثرها على مدينة تونس:

اعلن أبو يزيد مخلد بن كيداد ثورته في اواخر خلافة القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م)[3]، بعد ان كثر أتباعه وإشتدت شوكته [4]، وعندما رحل إلى مدينة مرماجنه[5] لقيه رجل من أهلها يقال له إبن خلاف، اهدى إليه حماراً أشهب وكان يركب ذلك الحمار وبه سمي صاحب الحمار [6].

بعد انشار دعوته وازدياد أتباعه، اخضع مناطق كثيرة له من أفريقية مما أدى إلى قيام الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م) إلى ارسال الجيوش لمنع أبي يزيد مخلد بن كيداد من التوسع، فأرسل محمد بن علي بن سليمان وتميم الوسفاني إلى رقادة وخليل بن اسحاق التميمي إلى مدينة القيروان في ألف فارس من

---

(1) إبن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ)، وفيات إلاعيان وانباء أبناء الزمان، تح احسان عباس، دار صادر، بيروت (بلا. ت)، 118/3؛ إبن أيبك، أبي بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري(ت736هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تح صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961، 108/6 .

(2) أبو يزيد مخلد بن كيداد، ولد بالسودان نشأ بتوزر وتعلم القران الكريم وأخذ بمبادئ النكارية للخوارج وهم من الصفرية، أقام بتاهرت، وعلم الصبيان فيها، أخذ نفسه بالحسبة على الناس بتغيير المنكر، كثر أتباعه بوفاة الخليفة المهدي، خرج من جبل اوراس، ركب الحمار، وتلقب بشيخ المؤمنين. إبن الأثير، الكامل، 494/6 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 44/4 .

(3) إبن الأبار، الحلة السيراء، 290/1 .

(4) إبن الأثير، الكامل، 493/6 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 75/1 .

(5) مدينة مرماجنة : مدينة بأفريقية تسكنها قبائل هواره البربرية ، بينها وبين مدينة الأربس مرحلة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 109/5 .

(6) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص272 .

العبيد والجند، وأرسل فتاهُ بشري الخادم إلى مدينة باجة [1]، وأستطاع أبو يزيد مخلد بن كيداد ان يهزم جيش بشري الخادم في مدينة باجة واجبره على الهروب إلى تونس فيمن بقي معه من أصحابه [2]. ولما وصل بشري الخادم إلى مدينة تونس لقيه عاملها الحسن بن علي فاكرمه ومن كان معه، وأخرج أبو يزيد جيشاً بقيادة منصور بن منصور الهواري إلى مدينة تونس، بينما أخرج عاملها الحسن بن علي جيشاً بقيادة اخيه عمار بن علي لملاقاة أتباع أبي يزيد مخلد فالتقى الطرفان فتقاتلوا فقتل مجموعة من أتباع أبي يزيد، ورجع عمار بن علي إلى مدينة تونس [3]. وفي هذه الأثناء وقعت فتنة كبيرة في مدينة تونس يصفها إبن الأثير[4] بقوله: ((وقعت فتنة في تونس ونهب أهلها دار عاملها فهرب، وكاتبوا أبا يزيد، فاعطاهم الأمان وولى رجلاً منهم يقال له رحمون))، لقد عهد أبو يزيد مخلد بن كيداد إلى منصور بن منصور الهواري بملاحقة جيش بشري الخادم والهجوم على مدينة تونس التي ذهب إليها بشري ووجدوا فيها المساعدة من عاملها الحسن بن علي الذي تمكن أول الأمر من الحاق الهزيمة بجيش منصور بن منصور، لكنه فقدَ القدرة والسيطرة على الحكم في مدينة تونس بسبب ثورة أهلها الذين خرجوا عن طاعة الفاطميين وفي 24/محرم/333هـ هرب الحسن بن علي واخيه عمار وبشري الخادم إلى مدينة سوسة وعسكروا فيها استجابة لأمر القائم بأمر الله [5].

وبعد محاولات عدة لاقتحام مدينة المهدية وفرض الحصار عليها من قبل أبي يزيد إلا إنه في سنة 333هـ/944م تم فك الحصار عن مدينة المهدية بسبب تحالف الخليفة القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م) مع زيري بن مناد الصنهاجي

---

(1) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص274-276 .

(2) إبن الأثير، الكامل، 494/6؛ إبن خلدون، التاريخ، 45/4 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص55.

(3) إبن الأثير، الكامل، 494/6 ؛ الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص278 .

(4) الكامل في التاريخ، 495/6 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 45/4 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 76/1 .

(5) الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب وانتقالها إلى مصر، ص254 .

زعيم قبائل صنهاجة، وشيوخ كتامة وقبائل أخرى لمقاتلة أبي يزيد مخلد [1]. مما شجع مدينة تونس للخروج عن طاعة أبي يزيد مخلد مما دفعهُ إلى ارسال جيش كبير إلى مدينة تونس بقيادة عياض بن أحمد الهواري ومسنوية بن بكر الكملاني اللذين سبقا جيش الفاطميين بقيادة عمار بن على إلى مدينة تونس وتم احتلالها يوم 10/صفر/334هـ/945م [2]، ونهبوا جميع ما فيها وسبوا النساء والأطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد [3].

وكانت الحرب سجالا في مدينة تونس بين الفاطميين من جهة وبين أتباع أبي يزيد من جهة أخرى، وقد استرد الفاطميون مدينة تونس مرة أخرى، ووجه لهم أبو يزيد مخلد مسنوية الكملاني وعياض الهواري وإبنه ايوب بن مخلد وعلي بن بدر المصري في عسكر كبير، فدخلوا تونس مرة أخرى وقتلوا من بقي فيها وعاثوا خرابا [4]. ويصف إبن أبي دينار[5] هذا قائلاً: ((ونهب مدينة تونس وأخذ منها اثنتي عشر ألف خابية زيتاً غير الأموال والعبيد))، وفي هذه الأثناء توفي الخليفة القائم بأمر الله(322-334هـ/934-945م) وتولى الأمر إبنه اسماعيل وتلقب بالمنصور بالله(334-341هـ/945-952م) وكتم موت أبيه مخافة ان يضعف هذا الأمر قوة جنده وفي الوقت نفسه يعطي العزيمة والقوة في صفوف عدوه، فابقى الأمور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولم يغير السكة ولا الخطبة وبقى على هذا الحال حتى فرغ من أبي يزيد، فلما فرغ منه اظهر موت أبيه وسُميَّ بالخليفة [6].

إذ كان القائد الفاطمي عمار بن علي قد حشد الجيوش من مدينة باجة وصطفورة

---

(1) إبن الأثير، الكامل، 496/6 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص56 .

(2) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص325 ؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب وانتقالها إلى مصر، ص264 .

(3) إبن الأثير، الكامل، 500/6 ؛ الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص326 .

(4) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص326-327 .

(5) المؤنس، ص56 .

(6) إبن الأثير، الكامل، 516/6 ؛ إبن الأبار، الحلة السيراء، 290/2 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 218/1 .

لارجاع مدينة تونس وتم له ذلك في ربيع الأول سنة334هـ/945م ودخلها الحسن بن علي عاملاً عليها من قبل الفاطميين [1]، في أول محرم من سنة 335هـ/947م [2]، لذلك نجد أنه بعد تحالف الفاطميين مع قبائل وشيوخ كتامة تغير الموقف إذ بدأت الهزائم تلاحق جيش أبي يزيد مخلد بن كيداد إلى ان إستطاع الخليفة الفاطمي المنصور بالله(334-341هـ/945-952م) من ايقاع الهزيمة به ببلاد كتامة إذ تم القاء القبض عليه، نتيجة أصابته بجراح وتوفي في محرم سنة 336هـ/948م [3].

وبعد انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وتحقيق النصر عليه قام الخليفة الفاطمي المنصور بالله ببناء مدينة المنصورية سنة 337هـ/ 949م فخرج من المنصورية إلى مدينة تونس فوجه الأساطيل لغزو الروم بقيادة الحسن بن علي عامل تونس [4].

---

(1) الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب وانتقالها إلى مصر، ص265-267 .

(2) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص385 .

(3) إبن عذاري، البيان المغرب، 220/1 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 48/4 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 85/1 .

(4) القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون(ت 363هـ)، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب ألفقي وآخرون، ط1 ،دار المنتظر، بيروت، 1996، ص201 ؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص58 ؛ الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص497-498 .

❖ المبحث الثاني:

أولاً: مدينة تونس في العصر الصنهاجي(362-450هـ /972-1059م)

عندما أراد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله(341-365هـ/952-975م) الرحيل إلى مصر، قام باستدعاء بلكين بن زيري زعيم قبيلة صنهاجة، وفوض إليه أمر المغرب في 23/ذي الحجة/361هـ/971م [1]، دون صقلية وطرابلس [2]، وسماهُ يوسف بدلاً من بلكين، وكناهُ أبا الفتوح، ولقبه سيف الدولة[3].

يبدو أن اختيار بلكين لولاية المغرب جاء نتيجة للدور الكبير الذي لعبهُ والدهُ زيري بن مناد زعيم قبائل صنهاجة حينما تحالف مع الفاطميين خلال ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، والذي إستطاع انقاذ الدولة الفاطمية من السقوط في تلك المدة[4]، وكتب له سجلاً وأمر الناس بالسمع والطاعة له [5]، واوصاهُ بثلاث وصايا :((أن لا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولي أحداً من أهل بيته)) [6]، ورحل الخليفة إلى مصر بعد ان ودعهُ بلكين بن زيري الذي بادر بالرجوع إلى القيروان في 11/ربيع الأول/362هـ/972م [7]، وبعث العمال والولاة إلى جميع

---

(1) إبن أبي دينار، المؤنس، ص74 .

(2) إبن الأثير، الكامل، 64/7 ؛ إبن خلدون، التاريخ ، 156/6 .

(3) لسان الدين إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ق65/3 ؛ ولقبه سيف العزيز بالله، إبن خلدون، التاريخ، 156/6 .

(4) إبن الأثير، الكامل، 496/6 ؛ لسان الدين إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ق64/3 -65 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص56 .

(5) النويري، نهاية الأرب، 93/24 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، 74 .

(6) النويري، نهاية الأرب، 93/24 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 156/6-157 .

(7) إبن خلدون، التاريخ، 157/6 ؛ ادريس، الهادي روجي، الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد بني زيري، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، 81/1 .

البلاد، ونفذت اوامره في أفريقية [1]. وعندما علم أبو الفتوح يوسف، بخروج أهل تاهرت عليه وخروج عامله عليها، رحل إليها وخربها، ونزل على تلمسان وحاصرها، وأراد التوغل أكثر في مناطق المغرب حتى وصله كتاب الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ينهاهُ عن التوغل في المغرب [2]. وفي سنة 367هـ/977م وافق له الخليفة الفاطمي العزيز بالله(365-386هـ/ 975-996م) على ضم ولاية طرابلس وسرت واجدابية وعقد له عليها [3]. وتوفى أبو الفتوح يوسف لسبع بقينَ من ذي الحجة سنة 373هـ/983م وتولى المنصور بن بلكين الحكم خلفاً لأبيه في اوائل سنة 374هـ/984م [4]. ثم سار إلى القيروان، وسكن رقادة، وولي الأعمال واستخلف على جباية الأموال في القيروان والمهدية وجميع أفريقية عبد الله بن الكاتب [5]. وتوفى المنصور في سنة 386هـ/996م وخلفهُ إبنه باديس بن المنصور وكنيته أبو مناد(386-406هـ/996-1016م)[6]، وتلقب بنصير الدولة[7]، وقد حدثت إضطرابات عدة داخل أفريقية في عهده [8].

إن العلاقة بين الصنهاجيين والفاطميين هي نفسها التي تحكمت في هذه الأضطرابات، فقد كان ولاء الصنهاجيين للمذهب الشيعي يتوقف إلى حد كبير على علاقتهم بالخلافة الفاطمية في مصر، فكلما سادت المودة أمعن الصنهاجيون في اخلاصهم وولائهم، وان ساءت العلاقة قَلّ ولاء الصنهاجيين، ولم يشددوا على أهل

---

(1) إبن أبي دينار، المؤنس، ص74 .

(2) إبن خلدون، التاريخ، 157/6 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس،ص 74 .

(3) إبن الأثير، الكامل، 94/7 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 157/6 .

(4) إبن الأثير، الكامل، 150/7؛ لسان الدين إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ق67/3 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 157/6 .

(5) إبن الأثير، الكامل، 150/7 .

(6) إبن أبي دينار، المؤنس، ص78 .

(7) لسان الدين إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ق69/3 .

(8) إبن خلدون، التاريخ،6/ 158-159 .

السنة او يهتموا بنشر المذهب الشيعي كما كانوا يفعلون من قبل [1].

وقد شهدت مدة حكمه فتن وإضطرابات شملت أغلب مدن أفريقية [2]، وبعد وفاة باديس تولى الإمارة إبنه المعز بن باديس(406-454هـ/1016-1062م)[3]، وخلال ولايته سرعان ما انتهت الأضطرابات التي شهدتها مدن أفريقية ومنها تونس وسيطرة الدولة على الأوضاع، واتجهت نحو الأستقرار،((واستمر ملك المعز بأفريقية، والقيروان، وكان اضخم ملك عرف للبربر بأفريقية))[4]، واشتهر المعز بن باديس وذاع صيته وراسلته الملوك، ففي سنة 423هـ/1012م تلقى هدية جليلة من ملك السودان، وفي سنة 426هـ/1024م تلقى هدية من ملك الروم[5]، واستقامت اموره، ولما اشتهرت سلطته وقوى أمرهُ خرج عن طاعة الفاطميين في مصر وخطب لبني العباس [6].

وفي خلافة المستنصر بالله(427-478هـ/1035-1093م) تدهورت العلاقة بين الفاطميين والصنهاجيين بعد ان عمد المعز بن باديس سنة 435هـ/1043م إلى الأنفصال عن الدولة الفاطمية وتحوله إلى الدعوة العباسية وقطع الخطبة للفاطميين واحرقت اعلامهم [7].

---

(1) إبن عذاري ، البيان المغرب ، 277/1-278 ؛ حسن ، حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ط2،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص334 .

(2) القاضي عياض، أبي ألفضل عياض بن موسى اليحصبي(ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، 287/2 ؛ إبن الأثير، الكامل، 347/7؛ إبن عذاري ، البيان المغرب، 268/1 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 155/1-157 .

(3) إبن الأثير الكامل،347/7 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 268/1 .

(4) إبن خلدون، التاريخ، 160/6 .

(5) إبن عذاري، البيان المغرب، 275/1 .

(6) إبن الأثير، الكامل، 85/8-86 ؛ إبن خلدون ، التاريخ، 160/6 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص81 .

(7) إبن الأثير، الكامل، 85/8-86 ؛ النويري، نهاية الأرب، 116/24 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص82 .

في حين يذكر آخرون أن الأنفصال أو قطع الخطبة للفاطميين كان في سنة 440هـ/1048م [1]. وقد ذكر إبن أبي دينار ان بداية الأنفصال عن الفاطميين كان في سنة 435هـ/1043م عندما اظهر الدعوة للعباسيين وفي سنة 440هـ/1048م ((قطع خطبة بني عبيد وقطع بنودهم واحرقها بالنار)) [2].

ومهما يكن من إختلاف فأن القطيعة قد حصلت بين المعز بن باديس والفاطميين في مصر، وكان من اسبابها الخلاف الذي حصل بين المعز بن باديس ووزير الخليفة الفاطمي اليازوري [3]. فبعث الخليفة الفاطمي وزيره اليازوري إلى قبائل بني هلال سنة 441هـ/1049م واجزل لأمراءهم العطاء وقال لهم: ((وقد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الآبق، فلا تفتقرون)) [4]، وبهذا إستطاع اليازوري من اقناع قبائل بني هلال وبني سليم من التوجه إلى المغرب لتحقيق هدفين أولهما التخلص من هؤلاء الأعراب الذين عاثوا فساداً في صعيد مصر، وليضرب بهم دولة بني زيري [5].

---

(1) إبن عذاري، البيان المغرب، 277/1 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 160/1 .

(2) المؤنس، ص82 .

(3) إبن الأثير الكامل،122/8 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 212/2 ؛ السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت 1315هـ/-1897م)، الأستقصا لأخبار دول المغرب إلاقصى، تح، جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ، 148/2.

(4) إبن خلدون، التاريخ، 17/6-18 .

(5) إبن الأثير، الكامل،122/8 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 288/1 ؛ إبن خلدون ، التاريخ، 17/6؛ إبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قدم له محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1992، ص52-53؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص82-83 ؛ السلاوي، الأستقصا، 148/2 ؛ الوزير السراج، أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي(ت1149هـ)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط1، مط الدولة التونسية، تونس، 1287هـ، ص239 .

واما الدافع الآخر هو الأزمة الأقتصادية التي كانت تعيشها مصر في تلك الفترة[1].

دارت الحروب بين المعز والعرب الهلالية سجالا، وتمكن العرب من دخول القيروان سنة 446هـ/1055م بعد حصارها، وأشار المعز على الرعية الأنتقال إلى مدينة المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب الذين شرعوا في هدم الحصون والقصور[2]، والقسم الآخر من سكان القيروان هرب إلى مدينة تونس[3]، وقد أراد المعز بن باديس إبعاد هذا الغزو، حتى انه صاهر ببناته الثلاث من أُمراء العرب، فارس بن أبي الغيث وأخاه عائذ بن أبي الغيث والفضل بن أبي علي المرادي [4]، لكن دون جدوى. لم يتمكن الهلاليون من اعادة السلطة الفاطمية او يمارسوها لذلك فشل الفاطميون في تأسيس دولة تابعة لهم بأفريقية عن طريق الهلاليين[5]. واقتسمت العرب بلاد أفريقية سنة 446هـ/1055م فكان لقبائل بني هلال من تونس إلى الغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجثْم وقرة والأثبج والخلط وسفيان، واستولى عائذ بن أبي الغيث الرياحي على مدينة تونس وسباها سنة 446هـ/1055م[6]، وبقيت مدينة تونس على هذه الحال حتى طلبت الأمان ودخلت في طاعة الناصر الحمادي صاحب القلعة، فأرسل إليها عامله عبد الحق بن خراسان الصنهاجي سنة 450هـ/1058م الذي سرعان ما جاهر باستقلاله، وإعلان مدينة تونس إمارة مستقلة لبني خراسان.[7]

---

(1) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص157؛ المقريزي، تقي الدين إبن العباس أحمد بن علي(ت845هـ)، اغاثة الأمة بكشف الغمة، تح ، كرم حلمي فرحان، ط1، عين للدراسات ، مصر، 2007، ص92-93؛ أبو سماحة، عبد الحميد، رحلة بني هلال إلى الغرب، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2008، 69/1-70 .

(2) إبن الأثير، الكامل، 122/8-124 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص83 .

(3) عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، مطبعة اطلس، القاهرة، 1990، 434/3 .

(4) إبن خلدون، التاريخ، 19/6 .

(5) بو سماحة، رحلة بني هلال،78/1 .

(6) إبن خلدون، التاريخ، 19/6 .

(7) إبن عذاري ، البيان المغرب ، 315/1 ؛ الحفناوي، تونس في عصرها الإسلامي، ص34 .

ثانياً: مدينة تونس في عصر بني خراسان(450-555هـ/ 1058-1160م)

سرعان ما اغتنمت مدينة تونس الفرصة المواتية لقطع علاقاتها مع بني زيري وذلك بسبب الفوضى العامة التي سادت أفريقية على أثر غزو قبائل بني هلال وبني سليم [1]، وفي سنة 450هـ/1058م ذهب وفد من شيوخ مدينة تونس إلى قلعة بني حماد ليطلبوا من الناصر بن علناس أن يرسل والٍ من قبله عليهم، وطلبوا منه الدخول في طاعته [2]. فأمرهم ان يختاروا شيخاً منهم، يقوم بأمرهم، فاختاروا شيخاً منهم غير انه استعفى، فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان فأقام والياً على مدينة تونس من (450–488هـ/1058–1095م) واسس إمارة بني خراسان[3]، في مدينة تونس [4]، ((فقام بأمرهم وشاركهم في أمرهِ وتودد إليهم واحسن السيرة فيهم, وصالح العرب أهل الضاحية, على اتاوة معلومة، لكف عاديتهم)) [5]، وقد قام عبد الحق بامور ولايته على أحسن وجه, فاشرك أهل مدينة تونس معه في تصريف شؤون المدينة , وأستطاع وضع حد لأعمال النهب والسلب التي كان يقوم بها الأعراب الساكنون حول مدينة تونس مقابل اتاوة معلومة [6]. وزحف الأمير تميم بن معز بن باديس الصنهاجي (454–501هـ/1062–1108م) من مدينة المهدية إلى مدينة تونس سنة 458هـ/ 1065م الذي اغتنم هزيمة إبن عمه صاحب القلعة الناصر بن علناس في معركة سبيبة على يد بني رياح, لمحاولة كسر شوكة إبن خراسان التابع للناصر صاحب

---

(1) ادريس، الدولة الصنهاجية، 310/1 .

(2) إبن خلدون، التاريخ، 165/6 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 210/1 .

(3) بني خراسان: ينتسبون إلى عبد الحق بن خراسان, ويقال انه من أهل تونس ومن قبائل صنهاجة تولى إمارة تونس واحسن السير لهم وتعاقب إبنائه على حكم المدينة حتى اخضعها الموحدون لهم, إبن خلدون, التاريخ, 165/6 .

(4) إبن عذاري, البيان المغرب, 315/1 ؛ إبن خلدون, التاريخ, 165/6 .

(5) إبن خلدون, التاريخ، 165/6 .

(6) ادريس, الدولة الصنهاجية,311/1–312 .

القلعة, واسترداد المدن التي خرجت عن طاعة بني زيري, ومعه جيش كبير وبصحبة يبقي بن علي أمير زغبة، وحاصر تونس أربعة عشر شهراً إلى أن صالحه إبن خراسان واستقام على طاعته [1]. وبعد وفاة عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان سنة 488هـ/1095م, خلفه إبنه عبد العزيز(488-500هـ/1095-1107م) في حكم مدينة تونس وخلع طاعة الأمير تميم بن معز، حيث ذكرت المصادر[2]، ان الأمير تميم فتح مدينة تونس سنة 491هـ/1097م. وفي هذه السنة كان بأفريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس[3].

وبعد وفاة الشيخ عبد العزيز سنة 500هـ/1107م، والذي يصفه إبن خلدون[4] انه كان ضعيفاً، تولى إمارة تونس إبنه أحمد بن عبد العزيز(500-522هـ/1107-1129م) فاستبد بالحكم وتخلص من معارضيه، فقتل عمه اسماعيل بن عبد الحق، وكان إسماعيل هذا أحق بالأمر منه، في حين هرب إبنه أبو بكر بن اسماعيل إلى مدينة بنزرت وأقام بها خوفاً منه، كما الغى سلطة الشيوخ التي عمل بها مؤسس الإمارة عبد الحق وأخرج جماعة من أهل تونس وشيوخها ونفاهم إلى المهدية وغيرها، واستبدل لقب شيخ بلقب الأمير [5]. يبدو من هذه الاجراءات التي اتخذها أحمد بن عبد العزيز أنها تعود إلى ضعف السلطة التي كانت قبله حسب وصف إبن خلدون فأراد أن يحد من سلطة شيوخ تونس، ويعتمد على الفقهاء والعلماء إذ يوصف بأنه كان محباً

---

(1) إبن الأثير، الكامل، 227/8 ؛ النويري، نهاية الأرب، 126/24 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 165/6؛ ويذكر فترة الحصار أربعة أشهر-وينفرد بهذا عن بقية المصادر, إبن أبي دينار، المؤنس ، ص84 ؛ ينظر عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، 453/3-456 للمزيد عن معركة سبيبة ونتائجها.

(2) إبن الأثير، الكامل, 402/8 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، 302/1 ؛ النويري, نهاية الأرب، 139/24 .

(3) إبن الأثير، الكامل، 402/8 ؛ النويري، نهاية الأرب، 130/24 .

(4) التاريخ، 165/6 .

(5) إبن عذاري، البيان المغرب، 315/1 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 165/6؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 313/1-314 .

ومجالساً للعلماء [1]. وقد مدحه أحد الشعراء بقصيدة منها [2]:

انـي خبرت الدهرَ خبر مُجربٍ	***وكلمتُ غاربهُ بحملِ قـــتودِ***
فالحظ فيه طوعُ كفّيْ مُظـــلمٍ	***بالجهل من نور العلوم بليدِ***
والحمدُ فـي إلاقوام غير مُسلَّمٍ	***إلا لأحمد العلى والجـــــودِ***

وعلى الرغم من هذا الأزدهار الذي حققته مدينة تونس في عهده إلا أنها تعرضت إلى تدخلات منها في سنة 510هـ/1116م، عندما حاصرها جيش الأمير علي بن يحيى بن تميم(509-515هـ/1115-1121م) وضيق عليها الخناق إلى ان صالحَ أحمد بن خراسان الأمير يحيى على ما أراد [3]. ويبدو من هذه الحملة اخضاع الأمير أحمد بن عبد العزيز أمير تونس للاعتراف بسلطة بني زيري حكام المهدية.

وفي سنة 514هـ/1120م أرسل العزيز بن المنصور(498-515هـ/1014-1121م) صاحب بجاية جيشاً إلى مدينة تونس إستطاع من خلاله ان يعيد أحمد بن عبد العزيز إلى طاعة بني حماد [4]. وعندما استبد أحمد بن عبد العزيز برأيه وأراد خلع طاعته عن بني حماد، إذ لم تكن الظروف ملائمة وعلى أثرها أرسل يحيى بن عبد العزيز في سنة 522هـ/1228م قائدهُ مطرف بن علي بن حمدون على رأس جيش كبير فاخضع مدينة تونس وجرد أميرها أحمد عبد العزيز من سلطانه ونقله إلى بجاية مع أهله وولده [5]. وبهذا عادت سيطرة بني حماد على مدينة تونس فتولاها كرامه بن المنصور من قبل الحمادين، وظل والياً عليها حتى توفى فخلفه اخوهُ أبو الفتوح بن

---

(1) إبن خلدون، التاريخ, 165/1 .

(2) إبن حمديس، أبو محمد عبد الجبار(ت527هـ)، ديوان إبن حمديس، تح، احسان عباس، ط2، دار صادر ، لبنان, 2012, ص129-130 .

(3) إبن الأثير, الكامل، 569/8 ؛ النويري ، نهاية الأرب، 134/24؛ إبن خلدون، التاريخ، 165/6 .

(4) إبن خلدون، التاريخ، 165/6 .

(5) إبن عذاري، البيان المغرب، 315/1؛ إبن خلدون، التاريخ، 165/6 .

المنصور، فتوفى وبعدهُ محمد بن أبي الفتوح فلم تستحسن سيرته فأخرج عنها، وتولى من بعده عمه معد بن المنصور حتى سنة 543هـ/1148م، إذ استولى النورمان على المهدية، فخاف أهل تونس منهم وثاروا على أميرهم معد وقتل عدد كبير من رجاله، وتولى حكم المدينة نائبه إبن دفال أحد وجوه صنهاجة غير انه بقى مدة قصيرة ثم رحل عن تونس [1]. وبعد رحيله أصبحت الأمور بيد العامة فوقعت على أثرها فتنة كبيرة فنشب قتال بين أهل باب السويقة وأهل باب الجزيرة، وكانت الأمور يديرها القاضي أبو محمد عبد المنعم بن إلامام أبي الحسن [2].

وفي ظل هذا الوضع السائد أشار القاضي على أهل تونس بتولية محمد بن زياد العربي ويبدو أن هذا الاجراء لم يلقَ قبولاً لدى عامة أهل تونس فما أن وصل إليها حتى صاح أحد العامة ((لا طاعة لعربي ولا غزي)) [3]، وفي هذه الأثناء استقر رأي أهل تونس على التوجه إلى اعادة أحد أبناء بني خراسان فوجه الدعوة إلى أبي بكر بن اسماعيل بن عبد الحق لاستلامه إمارة تونس، إلا انه غدر به من قبل إبن اخيه عبد الله بن عبد العزيز، بعد ستة أشهر من ولايته لتونس [4]. فتولى عليها عبد الله نحو عشرة سنين [5]. وتخلص من أبرز منافسيه حسب رأي إبن عذاري[6] ((فقتل القاضي أبا الفضل جعفر بن حلوان وقتل معه ولده وولد اخته إبن الباد، لما خشى أن يجمعوا عليه العرب))، والذي بقى حاكماً على مدينة تونس إلى سنة 552هـ/1157م، عندما نازلت عساكر الموحدين المدينة واشترك مع أهل تونس محرز بن زياد وقومه من العرب هزموا الموحدين, وهلك أميرها عبدالله بن خراسان [7]. وخلفه في حكم مدينة

---

(1) إبن عذاري، البيان المغرب، 316/1 ؛ إبن خلدون ، التاريخ، 165/6 ؛ الباجي, الخلاصة النقية، ص54 .

(2) إبن خلدون، التاريخ، 165/6 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 400/1 .

(3) إبن عذاري، البيان المغرب، 314/1 .

(4) إبن خلدون ، التاريخ، 165/6 –166 .

(5) إبن عذاري، البيان المغرب، 316/1 ؛ الباجي, الخلاصة النقية، ص54.

(6) البيان المغرب، 316/1 .

(7) إبن خلدون ، التاريخ، 166/6؛ الباجي, الخلاصة النقية، ص54.

تونس علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق (552-555هـ/1157-1160م) وفي عهده دخلت مدينة تونس تحت حكم الموحدين وانتهت إمارة بني خراسان [1].

❖ المبحث الثالث:

أولاً: مدينة تونس في عصر الموحدين(555-625هـ/1160-1228م)

عندما أراد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-

(1) إبن خلدون ، التاريخ، 166/6 .

1163م) فتح أفريقية في سنة 554هـ/1159م، أرسل حملة استطلاعية في سنة 552هـ /1157م بقيادة قائده عبد الله بن سليمان في قطع من اسطول سبتة، لاستكشاف قوة تونس وقوة المجاورين لها من الأعراب[1]. كذلك عهد إلى إبنه أبي محمد عبد الله والي بجاية ان يشن الغارات على نواحي أفريقية وان يضيق على تونس ((ويمنع عنها المرافق التي تصل إليها عن طريقه ففعل ذلك))[2]، وفي سنة 552هـ/1157م أرسل إبنه عبد الله إلى تونس في جيش كبير لمحاصرة تونس وفتحها وخلال هذا حدث قتال بين أهل تونس وجيش الموحدين ((ومزقوا جيشه وفعلوا فيه الأفاعيل لما وصل إلى محاصرتهم سنة اثنان وخمسين وانفصل عنهم اسوء انفصال)) [3].

ولما طال الحصار على أحمد بن علي بن خراسان صاحب تونس أجمع رأيه ورأي أهلها من الجند على الخروج للقتال والتقى الطرفان ، فانهزم جيش الموحدين وقتل منهم خلق كثير، ورجع عبد الله إلى بجاية مع بقية أصحابه، فكتب إلى أبيه عبد المؤمن يخبره بذلك [4]. وعلى أثر هذه الهزيمة جهز الخليفة الموحدي عبد المؤمن جيشاً كبيراً في شهر صفر من سنة 554هـ/ 1159م وهو بمراكش يطلب أفريقية ، واجتمع معه من العساكر مائة ألف مقاتل، ومن الأتباع والسوقة امثالهم، فلم يزل يسير حتى وصل إلى مدينة تونس في الرابع والعشرين من شهر جمادي الآخر من سنة 554هـ/ 1159م وبها أحمد بن خراسان [5]. في حين ذكر أحد المؤرخين ان عبد المؤمن قطع المسافة من مراكش إلى ان وصل تونس في ستة أشهر وهي مسيرة سبعين يوماً للراكب

---

(1) إبن عذاري، البيان المغرب، 316/1 .

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص160 .

(3) التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد(ت717هـ), رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس،1981، ص345 .

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص160 ؛ إبن خلدون ، التاريخ، 166/6 .

(5) إبن الأثير، الكامل، 137/9–138 .

المجد [1]، ((وعاين أهل تونس أمراً عظيماً وايقنوا بالهلاك)) [2].

ويصف لنا إبن الأثير[3] ذلك بقوله: ((فلما نازلها أرسل إلى أهلها يدعوهم إلى طاعته فامتنعوا، فقاتلهم من الغد أشد قتال، فلم يبقَ إلا أخذها، ودخول الأسطول إليها، فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد...فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلاً من اعيان أهلها إلى عبد المؤمن يسألونه الأمان لأهل بلدهم فأجابهم إلى الأمان لهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم لمبادرتهم إلى الطاعة، وأما من عداهم من أهل البلد فيؤمنهم في أنفسهم وأهاليهم، ويقاسمهم على أموالهم وأملاكهم نصفين، وان يخرج صاحب البلد هو وأهله فأستقر ذلك وتسلم البلد)).

في حين يذكر عدد من المؤرخين، بان عدد الشيوخ الذين ذهبوا إلى عبد المؤمن ليطلب السلم والأمان إلى أهل مدينة تونس، اثنا عشر شخصاً مع ذكر قسم من اسمائهم ومنهم ((بنو عبد السيد عمر ومعاوية وعبد السيد ومنهم أبناء منصور بن اسماعيل وإبن عمه عشيق ومنهم الخارجي محمد وحمزة بن حمزة وعبد العزيز القمودي وغيرهم)) [4]، وذكر أحد المؤرخين بان دخول عبد المؤمن إلى مدينة تونس كان عنوة [5].

يتضح من خلال النصوص أعلاه بأنه تم عقد اتفاق بين عبد المؤمن الموحدي ومن مثَّل أهل تونس لتجنب أهل المدينة اراقة الدماء والخراب. فهذا يدل على ان الموحدين قد دخلوا إلى المدينة صلحاً وفق شروط ((فنازل تونس وأخذها صلحاً، وكانت

---

(1) مؤلف مجهول(من أهل القرن الثامن الهجري)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار وعبد القادر زمانه، طبعة دار الرشاد الحديثة، 1979، ص152 .

(2) التجاني، رحلة التجاني، ص345 ؛ الوزير السراج ، الحلل السندسية، ص250 .

(3) الكامل، 138/9 ؛ وينظر، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص153 ؛ النويري، نهاية الأرب، 171/24 .

(4) التجاني، رحلة التجاني، ص345 ؛ الوزير السراج ، الحلل السندسية، ص250 .

(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص161 .

بيد أحمد بن أبي خراسان)) [1].

وبعد دخوله إلى مدينة تونس سنة 554هـ/1159م عين عبد المؤمن بن علي على رأسها أبا محمد عبد السلام الكومي ومعه اشياخ من الموحدين، وأرسل أمناءهُ ليقاسموا الناس على أموالهم[2]، ((وكانت كلها تحت التقيد وبيعت امتعتهم))[3]، وهذا تطبيقاً لمحتوى الأتفاق الذي جرى بين شيوخ تونس والخليفة الموحدي.

وقد اختلفت المصادر في ذكر من تولى أمر تونس من قبل عبد المؤمن الموحدي فقد ذكر انه عين على رأسها أبا محمد عبد السلام الكومي ومعه اشياخ من الموحدين[4]، وذكر آخر انه ((ولى عليها الشيخ أبا عبد الله بن بوفيان الهرغي))[5]، وذكر غيره انه ((ولى على تونس الشيخ أبا محمد عبد الله إبن أبي يرفيان الهرغي وولى على اعمالها المخزنية أبا حفص عمر بن فاخر العبدري))[6]. ومهما يكن من أمر في إختلاف الشخص فانه تم تعين والي على مدينة تونس ويساعده مجموعة من شيوخ الموحدين ، وأرسل أمناءهُ ليقاسموا الناس على أموالهم[7]. وأقام الخليفة عبد المؤمن بن علي في مدينة تونس ثلاثة أيام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى،

---

(1) إبن الأثير، الكامل، 138/9؛ مخلوف، محمد بن محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1249هـ ، 134/2 .

(2) إبن الأثير، الكامل، 138/9؛ التجاني، رحلة التجاني، ص346؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ص250؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، 134/2 .

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص153 .

(4) التجاني، رحلة التجاني، ص346؛ الوزيرالسراج ، الحلل السندسية، ص250 ؛ عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط3 ، المطبعة العربية الشرقية، تونس، 1332هـ، ص102 .

(5) إبن القنفذ، أبا العباس أحمد القسنطيني(ت810هـ/1047م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر ، 1968، ص102 .

(6) الزركشي، أبي عبدالله محمد بن ابراهيم(ت932هـ/15255م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص13 .

(7) إبن الأثير، الكامل، 138/9؛ النويري، نهاية الأرب، 171/24 .

فمن اسلم سلم ومن امتنع قتل[1]. يبدو ان هذا الاجراء كان لظروف خاصة كانت تمر بها الدولة وبعدها نجد التعايش الديني يسود المدينة ، ثم رحل إلى مدينة المهدية[2]. وقد احاط الخلفاء الموحدون ولاتهم في مدن أفريقية بالشيوخ الموحدين من اجل المشاورة في شؤون البلاد[3].

ثانياً: ثورة بني غانية وأثرها على مدينة تونس (600-602هـ/1203-1205م)

أغلب المصادر التاريخية[4]، تصف العهد الموحدي بأفريقية بكثرة الأضطرابات والثورات، وفي هذا الصدد لا يهمنا سوى التركيز على الأحداث التي جرت في مدينة تونس او كانت لها علاقة بها.

وكانت ثورة بني غانية من أخطر الثورات التي واجهت الموحدين في أفريقية حيث وجدت فيها تربة خصبة لكثرة المعارضين لوجود الموحدين فيها وإنظمامهم إليها، ومن أبرز هؤلاء شرف الدين قراقوش الأرمني، وكان مملوكً للمظفر تقي الدين شاهنشاه بن أيوب بن شادي إبن أخ صلاح الدين الأيوبي، وكانت بينه وبين علي بن اسحاق الميورقي مهادنة ومصالحة، ويقيمان الدعوة العباسية في هذه الجهات[5].

(1) إبن الأثير، الكامل، 138/9؛ التجاني، رحلة التجاني، ص347؛ النويري، نهاية الأرب، 171/24؛ الوزير السراج ، الحلل السندسية، ص251 .

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص161؛ مخلوف ، شجرة النور الزكية، ص134 .

(3) عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص102 .

(4) إبن الأثير، الكامل، 371/9-373؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص178؛ إبن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص243-248؛ التجاني، رحلة التجاني، ص352-363 ؛ النويري، نهاية الأرب، 181/24 .

(5) التجاني، رحلة التجاني، ص103؛ إبن خلدون، التاريخ، 193/6؛ إبن غلبون، أبي عبد الله محمد بن خليل، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، عني بنشره الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص60.

ويحدد إبن الأثير[1] تاريخ خروج قراقوش إلى أفريقية بسنة 568هـ/1173م وكان معه طائفة من الترك من ديار مصر، ونزل على طرابلس الغرب وحاصرها ثم فتحها واستولى عليها، وملك كثيراً من بلاد أفريقية، وصار معه جيش كبير. وهكذا استمر قراقوش في فتح البلاد، فأنظم إليه عرب ذياب بن سليم ، وإستطاع بمساعدتهم السيطرة على جبل نفوسة، كما إنظم إليه عرب رياح بقيادة مسعود بن زمام الذي خرج عن سلطة الموحدين[2]. وكذلك إنظم إلى إبن غانية وقراقوش كافة قبائل بني سليم وما جاورهم ببرقة ومن قبائل بني هلال جثم ورياح والأثبج ماعدا قبيلة زغبة التي ابقت ولائها للموحدين[3]. ومع هذه الأعداد الكبيرة من القبائل التي تحالفت مع إبن غانية اطلق عليه لقب أمير المسلمين[4]. وفي هذا المجال يذكر إبن الأثير[5] قائلاً: ((وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها جميعاً ماعدا تونس والمهدية....وكان الوالي على أفريقية عبد الواحد بن عبد الله الهنتاتي وهو بمدينة تونس فأرسل إلى ملك المغرب يعقوب وهو بمدينة مراكش يعلمه الحال، فقصد الملثم جزيرة باشوا وهي بقرب تونس فنازلها وطلب أهلها الأمان فأمنهم فلما دخلها العسكر، نهبوا جميع ما فيها من الأموال والدواب والغلات ، وامتدت الأيدي إلى النساء والصبيان فقصدوا تونس)) ونزلوا بين أسوارها فدخل عليهم فصل الشتاء، فأهلكهم البرد والماء واحصى من مات منهم فكانوا اثنى عشر ألفاً[6]. وفي سنة 582هـ/1186م سار علي بن غانية إلى قفصة وحاصرها فأخرج جنود الموحدين واستلمها، فرتب فيها جنداً من الملثمين والأتراك وحصنها بالرجال والبناء[7]، وإستطاع السيطرة على اجزاء واسعة من أفريقية ولم يبقى بيد

(1) الكامل، 261/9 .

(2) التجاني، رحلة التجاني، ص313 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 193/6 .

(3) إبن خلدون، التاريخ، 193/6 .

(4) إبن الأثير، الكامل، 371/9 ؛ إبن غلبون، التذكار، ص61 .

(5) الكامل، 371/9 ؛ إبن غلبون، التذكار، ص61 .

(6) إبن الأثير، الكامل، 371/9 ؛ التجاني، رحلة التجاني، ص14 .

(7) إبن الأثير، الكامل، 372/9 .

الموحدين سوى مدينة تونس والمهدية(1). نتيجةً للمقاومة التي لقيها من السكان والموحدون ، بسبب ما قام به إبن غانية في تلك المناطق من اعمال السلب والنهب وعندما علم الخليفة الموحدي المنصور (580-595هـ/1184-1198م) بهذه التطورات خرج على راس جيش كبير يصل إلى عشرين ألف فارس في 3 /شوال/582هـ/1186م(2)، وقيل في شهر صفر 583هـ/1187م, ووصل الجيش إلى مدينة تونس لكي يستريح فيها ويتهيأ لملاقاة إبن غانية(3). وبعد هذا جهز الخليفة المنصور جيشاً عهد بقيادته إلى إبن عمه يعقوب بن أبي حفص، يتألف من ستة الاف مقاتل فسار هذا الجيش لمقاتلة علي بن غانية وحلفائه من الترك بالقرب من قفصة، في موقعة عمرة، وإستطاع إبن غانية الحاق الهزيمة بجيش الموحدين في ربيع الأول من سنة 583هـ/1187م وقتل عدد كبير منهم(4). وذلك لقلة الجيش والأنقسام في صفوفه ، وتحالف قراقوش مع إبن غانية .

وصلت أنباء هذه الهزيمة إلى الخليفة المنصور الموحدي(580-595هـ/1184-1198م) وهو في مدينة تونس إذ بادر في تعبئة الجيش وتنظيمه وخرج بنفسه لقيادة الجيش من مدينة تونس في شهر رجب سنة 583هـ/1187م

(1) إبن الأثير، الكامل، 372/9.

(2) إبن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص185-186؛ إبن أبي زرع، علي بن عبد الله بن أبي زرع ألفاسي(ت726هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972، ص281 .

(3) إبن الأثير، الكامل، 372/9-373 .

(4) إبن الأثير، الكامل، 372/9 ؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص193؛ إبن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص187-188 ؛ التجاني، رحلة التجاني، ص136 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص16 .

فواصل مسيرته حتى وصل إلى حمة مطماطة[1]، على بعد ميلين منها عسكر منصور بقواته وشن الغارات على الأعراب الذين تحالفوا مع إبن غانية، فوجه إليها الفرسان واستولوا على منازلهم وأموالهم [2].

وفي النهاية إستطاع الخليفة من الحاق الهزيمة النكراء بإبن غانية وقراقوش وأتباعهم الذين إستطاعوا الفرار إلى الصحراء بعد إلاشتباك معهم في معركة عنيفة في التاسع من شعبان 583هـ/1187م [3]. وقيل ان علي بن غانية أصابته جروح بليغة في هذه المعركة ومات من جراءها في خيمة عجوز اعرابية [4]. في حين يذكر إبن خلدون ان موت إبن غانية في بعض معاركه مع أهل نفزاوة سنة 584هـ/1188م إذ أصابه سهم هناك وحمل ودفن في ميورقة، وقام بالأمر من بعده اخوهُ يحيى بن اسحاق بن محمد بن غانية [5]. ويبدو ان راي إبن خلدون هو الأرجح .

وقد أعاد الخليفة المنصور الأستقرار إلى أفريقية غير ان هذا الأستقرار لم يدم طويلاً إذ إضطربت الأحوال مرة أخرى، فبعد وفاة الخليفة المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن(580-595هـ/1184-1198م)، واستلام الخليفة الموحدي أبو عبدالله محمد بن يعقوب المنصور بن عبد المؤمن وتلقب بالناصر لدين الله(595-

---

(1) حمة مطماطة: وهي مدينة في جهة قصطيلية بالقرب من مدينة قابس، أهلها موصوفون بالنجدة والشهامة ، تكثر فيها زراعة النخيل ، الحميري، محمد بن عبد المنعم (732هـ/1331م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص200 ؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص194؛ ويسميها حامة دقيوس ، الزركشي، تاريخ الدولتين، ص16 ويسميها الحامة.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص201 .

(3) إبن الأثير، الكامل، 373/9 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص190 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص201 .

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص194 .

(5) التاريخ، 194/6 .

610هـ/1198-1213م)[1]. ويبدو ان الأحوال قد إضطربت من جديد فقد أستطاع يحيى بن غانية اخضاع أكثر مناطق أفريقية تحت سيطرته ومنها طرابلس، قابس، صفاقس، وبلاد الجريد والقيروان، تبسة وبونة، كما افتتح باجة عنوة وقتل واليها الموحدي وأخذ يتطلع إلى الأستيلاء على مدينة تونس[2]. فسار إليها وحاصرها أكثر من أربعة أشهر إلى ان دخلها يوم السبت السابع من ربيع الآخر سنة 600هـ/1203م وقبض على واليها السيد أبي زيد بن أبي حفص وولديه وجماعة من شيوخ الموحدين[3]. وحبسهم بداخل قصبة تونس، وأمن أهل تونس في انفسهم ولكنه فرض عليهم غرامة مالية قدرها مائة ألف دينار، واوعز إلى أبي بكر بن عبد العزيز السكاك وهو من أهل تونس، وإلى كاتبه إبن عصفور بجباية هذه الأموال [4]. ((فارهقوا الناس بالطلب حتى لاذ معظمهم بالموت واستعجل القتل، فيما نقل ان اسماعيل بن عبد الرفيع من بيوتاتها القى بنفسه في بئر فهلك، فرفع الطلب ببقيتها عنهم)) [5]. وبعد استيلاء إبن غانية على أغلب مناطق أفريقية، كان الخليفة الموحدي الناصر لدين الله (595-610هـ/1198-1213م) يرى ان الوقت قد حان لانهاء سلطة إبن غانية في أفريقية وإستعادة سلطة الموحدين والعمل على توطيد هيبتهم في تلك المناطق، ومن اجل هذا شاور الخليفة الناصر لدين الله (595-610هـ/1198-1213م) شيوخ الموحدين في الأمر ورأى أغلبهم ان تتم المسالمة مع إبن غانية والأتفاق معه، لكن الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص أراد وأشار على حرب إبن غانية والسير

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص219 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين ، ص17-19 .

(2) التجاني، رحلة التجاني، ص354؛ إبن خلدون، التاريخ، 195/6-196 .

(3) التجاني، رحلة التجاني، ص355؛ إبن خلدون، التاريخ، 196/6؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ص256؛ السلاوي، الأستقصا، 191/2؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص57 .

(4) التجاني، رحلة التجاني، ص355؛ إبن خلدون، التاريخ، 196/6؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص115 .

(5) إبن خلدون، التاريخ، 196/6 .

إلى أفريقية ووافقه الخليفة الناصر على هذا الرأي [1]. فلذلك اعدّ الخليفة الناصر حملة كبيرة بقيادته سنة 601هـ/1204م معززة بأسطول بحري قوي عهد بقيادته إلى يحيى بن أبي زكريا الهزرجي[2]، وعندما بلغ خبر توجه الخليفة الناصر لدين الله (595-610هـ/1198-1213م) إلى إبن غانية، خرج من مدينة تونس إلى القيروان ثم إلى قفصة، لانه لم يستطيع مواجهة هذا الجيش، وقام باستدعاء العرب وبذل لهم العطايا وطلب منهم العهود والمواثيق على مناصرته والقتال معه ضد جيش الناصر لدين الله[3].

وعندما سمع الموحدون إنسحاب إبن غانية من مدينة تونس نزلها الأسطول البحري بقيادة يحيى بن أبي زكريا الهزرجي، وقتلوا كل من وجدوه من أتباع بني غانية، وسيطر الأسطول الموحدي على تونس، وفي الوقت نفسه بعث الناصر لدين الله أربعة الآف فارس بقيادة أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص لمقاتلة إبن غانية الذي تحصن في جبل دمّر، ولما رأى إبن غانية كثرة الجيش أراد الهرب لكن أصحابه شجعوهُ على الثبات والقتال ووقع القتال بين الطرفين في جبل تاجرا من نواحي قابس في 12/ربيع الأول/602هـ/1206م [4]، في معركة قوية فوقعت الهزيمة على إبن غانية وأصحابه فقتل منهم الكثير، وكان من بين القتلى اخوهُ جبار بن اسحاق، وإستطاع يحيى إبن غانية الهرب مع عدد قليل من أتباعه وإستطاع القائد الموحدي

---

(1) السلاوي، الأستقصا، 2/191-192 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص57-58 ؛ الياسري، عبد الكريم خيطان، بنو غانية مصدر قلق للموحدين دراسة تاريخية، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء، المجلد الثالث، العدد 13، كانون الأول، 2005، ص45 .

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص227 ؛ إبن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين، ص243-244 ؛ السلاوي، الأستقصا، 2/192 والذي يذكر ان الحملة كانت سنة 600هـ .

(3) إبن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين، ص243 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 6/196 .

(4) التجاني، رحلة التجاني، ص357-358 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 6/197؛ إبن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص104؛ الوزيرالسراج ، الحلل السندسية، ص257؛ السلاوي، الأستقصا، 2/192 .

الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص ان ينقذ السيد أبا زيد بن أبي حفص والي تونس وأصحابه الذين أَسرهم إبن غانية وقد غنم الموحدون غنائم كثيرة في هذه المعركة [1]. وفي نفس السياق إستطاع الخليفة الناصر لدين الله(595-610هـ/1198-1213م) من فتح مدينة المهدية وولي عليها محمد بن يغمور من الموحدين ورجع إلى مدينة تونس في شهر رجب سنة 602هـ/1206م[2]. ولم يزل الخليفة الناصر لدين الله مقيماً في مدينة تونس يصلح ما افسدهُ إبن غانية إلى ان تم ما أراد له ذلك[3]. وارتحل الخليفة عن مدينة تونس في شهر رمضان من سنة 603هـ/1207م متوجهاً إلى المغرب بعد ان ترك بأفريقية من الموحدين وأصناف الجند، من يقوم بحمايتها، وإستعمل عليها الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي[4]. واسند له الولاية سنة 603هـ/1107م وجعل الشيخ أبو محمد عبد الواحد مدينة تونس دار الإمارة [5]. وظل بنو غانية يقومون بالثورات لكنها كانت أقل تاثير حتى توفى آخر زعيم لهم يحيى بن اسحاق بن غانية سنة 633هـ/1236م، وبموته انتهى دور بنو غانية واسرتهم الذين قضوا معظم حياتهم في صراع مع الموحدين [6].

❖ المبحث الرابع:

أولاً: مدينة تونس في العصر الحفصي(625- 981هـ / 1288 – 1572 م)

---

(1) إبن خلدون، التاريخ، 197/6؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص17؛ السلاوي، الأستقصا، 192/2 .

(2) التجاني، رحلة التجاني، ص360 ؛ إبن خلدون، التاريخ، 197/6 .

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص227 .

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص228 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص18

(5) إبن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين، ص249 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص117 .

(6) إبن أبي دينار، المؤنس، ص115 .

لقد عرفت الدولة الحفصية فترات من السلم والأستقرار والأزدهار لحقبة من الزمن عاشت فيها مدينة تونس التي أصبحت مقر الولاية , وبعدها حاضرة الخلافة وما لبثت في الأنحدار نتيجة ما وقع في البلاد من إضطرابات وانحرافات وثورات[1] وعلى هذا الأساس ومن خلال المصادر التي بين أيدينا نستطيع تقسيم عصر الدولة الحفصية إلى مراحل وهي[2] :

أ- مرحلة الأستقلال والخلافة (625 – 675 هـ / 1228 – 1277 م)

ب- مرحلة الأضطرابات والعنف (675 – 772 هـ / 1277 – 1370 م)

ج- مرحلة الأزدهار (772- 893 هـ / 1370 – 1488 م)

د- مرحلة التدهور والسقوط (893 – 981 هـ / 1488 – 1572 م)

وسوف نتناول بشيء من التفصيل كل مرحلة من هذه المراحل :

أ- مرحلة الأستقلال والخلافة : (603 – 675هـ / 1207 – 1277م)

عندما عزم الخليفة الناصر الموحدي (595–610هـ/1198–1213م) الرحيل من مدينة تونس إلى المغرب في شهر رمضان من سنة 603هـ/1207م تحدث مع شيوخ الموحدين حول الشخص الذي ينوب عنه في ولاية أفريقية , فأجمع الحاضرون على تولية الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص , وتردد الشيخ أبو محمد عبد الواحد في بداية الأمر من قبول المهمة إلا انه في النهاية رضخ لذلك وقبل بالمهمة الجديدة , وودع الخليفة الناصر إلى منطقة باجة ورجع بعدها إلى مدينة تونس وكان أول جلوسه

---

(1) فنطر , محمد حسين وآخرون , الحضارة الإسلامية في تونس , منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة , مطبعة الهلال , الرباط , 1977 , ص 53 .

(2) إبن خلدون , التاريخ 6/ 283 و 326 و 378 ؛ المطوي , محمد العروسي , السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي , دار الغرب الإسلامي , لبنان , 1986، الصفحات 85و 127و 227 و 345 , 411و 656 ؛ الدولاتلي , عبدالعزيز , مدينة تونس في العهد الحفصي , تعريب محمد الشابي وعبدالعزيز الدولاتلي , دار سراس للنشر , تونس , 1981 , ص 58-65 .

للناس في القصبة يوم السبت العاشر من شهر شوال سنة 603هـ/1207م[1] في حين يذكر لسان الدين إبن الخطيب[2] انها كانت يوم السابع من شوال من سنة 603هـ.

وقد تمكن الوالي أبو محمد عبد الواحد من ضبط الأمن في أفريقية ((وساس الناس سياسة حسنة , طال عهدهم بها وأمنهم))[3] وبعد وفاة الخليفة الناصر الموحدي (610هـ/1213م) تولى الخلافة من بعده إبنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب الملقب بالمستنصر بالله سنة 610هـ/1213م وكان طفلاً صغيراً وقد اوصى أبوه لرعايته عدداً من شيوخ الموحدين[4], وتأخرت بيعة أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص من أفريقية لصغر سن المستنصر بالله, ((ثم وقعت المحاولة من الوزير إبن جامع وصاحب الأشغال عبدالعزيز بن أبي زيد, فوصلت بيعته))[5] لكن تأخره بالمبايعة أدت إلى سوء الظن به من قبل شيوخ الموحدين والمقربين من الخلافة [6]. وكان الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص خلال ولايته (603-618هـ/1207-1221م) وأقامته في مدينة تونس يجلس كل يوم سبت للنظر في مسائل الناس , وهو الذي اوجد زمام التضييف بتونس للوفود[7], وكانت وفاته في أول محرم من سنة 618هـ /1211م , ودفن بالقصبة بتونس [8]. وتم اختيار إبنه عبدالرحمن أبي زيد سنة 618هـ/1211م ليكون واليا من بعده على ولاية أفريقية ((واقعدوه بمجلس أبيه في الإمارة)) [9]. إلى ان وصله كتاب من الخليفة الموحدي المستنصر بالله بعزله بعد ثلاثة أشهر من توليته, وتعيين أبو العلاء ادريس بن يوسف حفيد عبد المؤمن والي اشبيلية سابقا, والذي عامل

(1) التجاني , رحلة التجاني , ص 360 – 363 ؛ إبن الشماع ، الأدلة البينة , ص 50 .
(2) رقم الحلل في نظم الدول , مطبعة العامودية , تونس , 1316 هـ , ص 66 .
(3) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص 50 .
(4) إبن عذاري , البيان المغرب قسم الوحدين , ص 265 .
(5) إبن خلدون , التاريخ , 6/ 251 – 252 .
(6) إبن عذاري , البيان المغرب قسم الموحدين , ص 291 .
(7) إبن أبي دينار , المؤنس , ص 134 .
(8) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص 52-53 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص19 .
(9) إبن خلدون , التاريخ , 6/ 281؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص135 .

أبناء واقارب الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص معاملة قاسية [1], لكن سرعان ما تم خلعه بسبب تصرفاته التي أثارت العامة ضده فعزل من منصبه في ربيع الثاني سنة 623هـ/1226م بإذن من الخليفة أبي محمد عبدالله العادل (621-624هـ/1214-1227م), وخلفه الشيخ أبو عبدالله المعروف بعبّو , إبن الوالي الراحل عبدالواحد بن أبي حفص [2], الذي وصل إلى مدينة تونس يوم السبت 17/ ذي القعدة /623هـ/1226م, ومعه اخوه المولى أبي زكريا يحيى وعهد إليه على مدينة قابس [3].

وسرعان ما دب الخلاف بينهما فخرج المولى أبو محمد عبدالله لقتال اخيه أبو زكريا , وعند وصوله إلى القيروان, التي ذهب إليها اخيه ,انكر عليه الموحدون نهوضه إلى حرب اخيه, فعزلوه وبايعوا المولى أبو زكريا [4], ((وخالف عليه وأبوا قتال المولى أبي زكريا)) [5], وكان نتيجة هذا الخلاف ان استقر المولى أبو زكريا في تونس وامتلكها يوم الأربعاء 24/ رجب/625هـ/1228م, ووجه اخاه في البحر إلى اشبيلية[6] وقد ذكر ان المولى أبي زكريا (625-647هـ/1228-1249م) ((هو أول بني حفص بالاستقراد بالإمارة))[7], وان استبداده هذا قد حصل نتيجة قيام الخليفة الموحدي المأمون(627-630هـ/1230-1233م), بقتل الموحدين في مراكش وخاصة من قبيلة هنتاتة ومنهم اخوة الوالي أبو زكريا وهم أبو محمد عبدالله وابراهيم , وتنكره لإبن تومرت [8], لذا كانت هذه الفرصة سانحة لقيام الوالي أبي زكريا بخلع طاعة الخليفة الموحدي وطرد العمال الذين ولاهم الخليفة إلى تونس واسقط اسم الخليفة من الخطبة والسكة ,

---

(1) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 281 .

(2) برنشفيك , روبار , تاريخ أفريقية في العهد الحفصي , نقله إلى العربية حمادي الساحلي , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1988 , 1 / 48 .

(3) الزركشي , تاريخ الدولتين , ص 21 .

(4) إبن خلدون , التاريخ , 6 /283 .

(5) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص 53 .

(6) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص53 -54 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص23 .

(7) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص58 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص126 .

(8) إبن خلدون , التاريخ , 6/ 283 .

واقتصر في ذلك على الإمام إبن تومرت والخلفاء الراشدين وهذا أول وجه في الأستبداد, حسب ما ذكره إبن القنفذ [1], فبويع البيعة الثانية سنة 634هـ/ 1237م , وذكر إسمه في الخطبة ولم يتسم بأمير المؤمنين وانما اقتصر على الأمير[2]. وشرع في توحيد أفريقية وفي وقت قصير إستطاع أن يجمع تحت سلطته كامل أنحاء أفريقية[3].

وعند إضطراب الوضع في الأندلس وتكالب الأسبان على المسلمين هناك ومنها زحف ملك اراغون على بلنسية فحاصرها, واسترداد مناطق أخرى في الأندلس, فاصبح وضع المسلمين في الأندلس مضطربا نتيجة هذه الأوضاع، هذا من جهة ومن جهة أخرى ضعف بنو عبد المؤمن الموحدي في مراكش وبروز بني حفص في تونس بقوة, أدى كل هذا إلى ان أوفد زيان بن مردنيش صاحب بلنسية سنة 635هـ /1238م وفداً لإعلان البيعة أمام الأمير أبي زكريا الحفصي ومن ضمن الوفد كان كاتبه إبن الأبار القضاعي الذي انشد قصيدته المشهورة امام أبي زكريا في تونس وقال فيها [4] :

أدرك بخيلك خيَّل الله أندلســــــــــاً   إن السبيلَ إلى منجاتها دَرســـــا

وَهبْ لها من عزيزِ النَصرِ ما التمستْ   فلم يزل مِنكَ عزَ النصرِ مُلْتَمَسا

وقد توالت على الأمير أبي زكريا البيعات من مناطق مختلفة, وفي سنة 640هـ/ 1242م جاءت بيعة سبته وسجلماسة وطنجة[5], وفي سنة 643هـ/1245م وصلت بيعة اشبيلية والمرية وغرناطة ووصلت وفودهم إلى تونس[6], وقد ذكر لسان الدين إبن

---

(1) الفارسية في مباديء الدولة الحفصية , ص 108 .
(2) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص58 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص27 .
(3) برنشفيك , تاريخ أفريقية في العهد الحفصي , 1/ 51 .
(4) إبن الأبار , الحلة السيراء , 1 / 35 ؛ إبن خلدون , التاريخ , 6 / 287 – 288 .
(5) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص59 .
(6) إبن القنفذ, الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية, ص 109؛ إبن الشماع, الأدلة البينة, ص60

الخطيب[1]:((فخلا للأمير أبي زكريا الجو ودانت له أفريقية , فاستكثر من الأموال واستلحق الجيوش ودوخ العربان وخلد الآثار)), وجمعت دولته من العلماء والشعراء وأهل الصلاح ما لم يجمع لغيره[2], ويبدو أن ضعف الخلافة الموحدية في مراكش كانت من الأسباب الرئيسة لالتجاء هؤلاء لإعلان البيعة للدولة الحفصية في تونس, حيث اصبح لمدينة تونس شان كبير .

وفي سنة 647هـ/ 1249م توفى الأمير أبي زكريا , وخلفه إبنه أبو عبدالله محمد المستنصر(647 -675هـ/1249- 1277م) [3], وقد بويع في الليلة التي توفى بها والده يوم الجمعة 29/ جمادي الآخرة/647هـ وعقد له البيعة عمه أبو عبدالله محمد اللحياني في بونة, ثم وصل إلى مدينة تونس في 3/ رجب/647هـ فجددت له البيعة فيها[4], وفي سنة 652هـ/1254م وصلت بيعة بني مرين من مدينة فاس,[5] وبعد إستيلاء المغول على بغداد سنة 656هـ/ 1258م ومحوهم رسم الخلافة بها حسب تعبير إبن خلدون[6], وصلت إلى مدينة تونس بيعة مكة المكرمة سنة 657هـ/ 1259م [7], وعلى أثرها اعلن المستنصر بالله الخلافة الحفصية , بعد وصول بيعة مكة المكرمة وغيرها, وكان قبلها يتلقب بلقب أمير وتلقب باسم أمير المؤمنين المستنصر بالله [8], وقد أحتفل المستنصر بالله احتفالا كبيرا وقد قرأت البيعة بجامع الزيتونة وسجل الشعراء هذا الحدث حسب ما ذكر في الأبيات التالية [9] :

---

(1) رقم الحلل , ص67 .

(2) إبن أبي دينار , المؤنس , ص 137 .

(3) الزركشي , تاريخ الدولتين ص32 ؛ الباجي , الخلاصة النقية , ص61 .

(4) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص62 -63 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص127 .

(5) إبن أبي دينار , المؤنس , ص128 .

(6) التاريخ , 6 / 302 .

(7) إبن خلدون , التاريخ, 6/ 302 ؛ إبن الشماع , الأدلة البينة , ص67 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى , 127/5 و135 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص128 .

(8) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص67 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص128 .

(9) الزركشي , تاريخ الدولتين , ص37 ؛ خلف الله , ابتسام مرعي , العلاقات بين الخلافة

أهنأ أمير المؤمنين ببيعــةٍ وافتك بإلاقبال والإسعادِ
فلقد حباك بملكهِ رب الورى فاتى يبشر بافتتاح بلادِ
وإذا اتت ام القرى منقـــادة فمن المبرة طاعة الأولادِ

في حين يذكر الزركشي ان المستنصر بالله تلقب بلقب أمير المؤمنين في 24/ذي الحجة من سنة650هـ/1252م [1], وهذا لا يستقيم مع الأحداث التاريخية لأنه بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد وسيطرة المغول على بغداد ,ووصول بيعة مكة , بعد هذه الأحداث يكون من الأنسب للأمير المستنصر بالله إعلان الخلافة .

ومن الأحداث المهمة التي وقعت في عهد أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي الحملة الصليبية الثامنة على تونس سنة 668 هـ/ 1270م .

ثانياً: الحملة الصليبية الثامنة على تونس (668 – 669 هـ / 1270 -1271 م)

كان نزول الجيوش الصليبية في قرطاجنة يوم 26/ذي القعدة/668هـ/1270م بجموع كبيرة من فرسان ورجال ومشاة [2], وكانت اعدادها حسب ما ذكره إبن خلدون بحدود ستة وثلاثون ألف جندي , منهم ستة الاف من الفرسان والباقي من الرجال , واستقلوا ما يقرب ثلاثمائة سفينة بين كبيرة وصغيرة , وقادهم سبعة من ملوك النصارى[3]. وفي اثناء وصول السفن الصليبية إلى قرطاجنة كان المسلمون على استعداد لملاقاة القوات الصليبية.

وكان الخليفة المستنصر بالله (647–675هـ/1249–1277م) قد أصدر اوامراً

الموحدية والمشرق الإسلامي , دار المعارف , مصر , 1985 , ص199 .

(1) تاريخ الدولتين , ص33 .

(2) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص72 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس ,ص128 .

(3) التاريخ , 6/ 317 ؛ الباجي , الخلاصة النقية , ص63 .

بالأستعداد لهذه الحملة وأخذ بتحشيد أهل أفريقية فجاءته الأمدادات من كل ناحية , وأخذ ينظم الحشود المتطوعة واوكل قيادتها إلى سبعة قادة , جعل الرئاسة لاثنين منهم هما , يحيى بن صالح , ويحيى بن أبي زكريا(1), وقد اظهر الخليفة المستنصر بالله خلال تلك الظروف الصعبة مقدرة كبيرة حيث عمل على جمع المتطوعين إلى جانب الجيش اضافة إلى العلماء والفقهاء الذين كان لهم دور بارز في مواجهة العدو,((وخرج العلماء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بانفسهم)) (2), وقد قال الشاعر التونسي أحمد بن اسماعيل الزيات :

يا فرنسيس هذه اخت مصر   فتهيأ لما إليه تصيـــر

لك فيها دار إبن لقمان قبـر   وطواشيك منكر ونكير (3)

فصدقت الأقدار فمات لويس التاسع ودفن هناك (4).

ولم ينس الخليفة المستنصر بالله التدابير الأقتصادية لمواجهة هذه الحملة, ولا سيما ما يرتبط بقوت أفريقية , فبعدما علم المستنصر بالله نقض تجار النصارى لاتفاقياتهم التجارية مع المسلمين ولا سيما ما يتعلق بتوريد الغلال, أصدر اوامره باصلاح الأسوار وتخزين الحبوب (5), حتى يضمن توفرها في حال إذا طالت مدة المعركة, ومن جهة أخرى حث المستنصر بالله الناس على الأكثار من الزراعة وأمر بالحرث الكثير في جميع البلاد, في حين ذكر انه خزن أربعين ألف قفيز من القمح وامثالها من الشعير

---

(1) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 318 .

(2) إبن خلدون , التاريخ , 6 /318 ؛ الدولاتلي , مدينة تونس , ص61 ؛ الطويلي , أحمد , الحملة الصليبية الثامنة على تونس , بحث منشور في مجلة المورد (عدد خاص – غزو الفرنجة للاراضي العربية) , المجلد 16 , العدد 4 , بغداد , 1987 , ص197 .

(3) إبن القنفذ , الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , ص111؛ إبن الشماع , الأدلة البينة , ص71 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص129 ؛ المطوي , السلطنة الحفصية , ص202 .

(4) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص71–72 ؛ حسين , ممدوح , الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري , ط1 ,دار عمار للنشر , عمان , 1998 , ص300 .

(5) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 316 .

في قسنطينة [1].

تمكن الصليبيون من انزال قواتهم على ساحل قرطاجنة, وقد فوجيء الخليفة المستنصر بالله من سرعة تحصينهم لقرطاجنة واكمال أسوارها وحفر خندق حولها [2], وفي هذه الأثناء أرسل لويس التاسع بعض رجاله في زي تجار تونسيين للعمل على شراء احتياجاتهم من المؤن بسبب نقص التموين لكن سرعان ما انكشف أمرهم وتم طردهم, وقد عملوا على ارغام التجار والأهالي لكن دون جدوى, مما اضطر التجار التونسيين إلى نقل بضائعهم خارج قرطاجنة حتى لا يبيعون لهم [3]. ويبدو أن هذه الحملة واجهت صعوبات كبيرة من حيث نقص المواد الغذائية. وحول انتشار الوباء والأمراض داخل المعسكر الصليبي يذكر أحد المؤرخين المحدثين , بانه لم يصبح لدى الصليبين ما يأكلونه سوى اللحوم التي احضروها معهم ونظرا لشدة حرارة الشمس فقد فسدت هذه الأطعمة وتعفنت ومع ذلك إضطروا لأكلها دون ان يدركوا انها السبب في ازدياد المرض وانتشار الوباء في معسكرهم , وفي المقابل لم يحصل لأهل تونس أي وباء او مرض [4]. ونتيجة لانتشار هذا الوباء مات عدد كبير من الحملة بما فيهم الملك لويس التاسع الذي مات يوم 10محرم669هـ/ 1271م [5].

وفي نفس اليوم الذي مات فيه لويس التاسع وصل اخوه شارل دنجو قادماً من صقلية ولكنه لم يقابل اخاه لويس لانه مات قبل وصوله, وبدا شارل دنجو بالأستعداد لشن هجوم كبير على المسلمين في يوم 16محرم669هـ/1271م ودارت معركة حامية بين الطرفين قاد الجيش الإسلامي فيها القائد يحيى بن صالح, واحرز الصليبيون تقدما

(1) إبن القنفذ , الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , ص132 .

(2) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 317 ؛ الباجي , الخلاصة النقية , ص 63 .

(3) عامر , سامية , الصليبيون في شمال أفريقية حملة لويس التاسع على تونس , ط1 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والأجتماعية , 2002 , ص122 .

(4) عامر , الصليبيون في شمال أفريقية , ص149-150 .

(5) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص72؛ إبن أبي دينار, المؤنس , ص128؛ إبن عامر , الدولة الحفصية , دار الكتب الشرقية , مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل , تونس, 1974 , ص47 .

على معسكر المسلمين إلا انهم في النهاية تراجعوا خوفا من دفاعات المسلمين[1], واعاد المسلمون الهجوم على معسكر القوات الصليبية في 12 صفر 669 هـ/1271م ووقعت معركة جديدة تكبد فيها الطرفان خسائر جسيمة [2].

ومهما يكن من أمر فقد خلص الطرفان إلى عقد صلح بينهما وترتب على ذلك ان طالب الصليبيون بعقد صلح مع المستنصر بالله ((فطلبوا الصلح فصالحهم السلطان على الإنصراف)) [3], وقبل الخليفة بشروط الصلح التي وضعها الصليبيون مقابل انصرافهم , وتم عقد هدنة بين الطرفين لمدة خمسة عشر عاما [4], وان يدفع الخليفة المستنصر بالله غرامة مالية قدرها مائتان وعشرة الاف اوقية ذهبا تدفع اقساطا [5].

في حين قدرها إبن خلدون بعشرة احمال من المال [6], وإبن القنفذ ألف قنطار من الفضة [7], وذكرها آخرون ((ألف قنطار ومائة قنطار وعشرة قناطير من الفضة والهدنة خمسة عشر عاما , فتم الصلح)) [8], وان يكون من حق النصارى ان يتمتعوا بالأستقرار في الولايات التابعة للمسلمين, واطلاق سراح الأسرى من الطرفين[9].

ومهما يكن من إختلاف في المبلغ فان عقد الصلح بين الطرفين تم في ربيع الأول 669هـ /1271م بعد ان أرسل الخليفة المستنصر بالله وفدا من الشيوخ والفقهاء لعقد الصلح , فتولى عقده وكتابته القاضي إبن زيتون وحضرهُ أبو الحسن علي بن

---

(1) حسين , الحروب الصليبية ,ص316 –317؛ الطويلي , الحملة الصليبية الثامنة على تونس , ص198 .
(2) حسين , الحروب الصليبية , ص 317 .
(3) إبن أبي دينار , المؤنس , ص128؛ الباجي , الخلاصة النقية , ص63 .
(4) إبن خلدون , التاريخ , 318/6 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص129 .
(5) المطوي , السلطنة الحفصية , ص210 .
(6) التاريخ , 6 / 318 .
(7) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , ص132 .
(8) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص72 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص129 .
(9) عامر , الصليبيون في شمال أفريقية , ص186 ؛ الطويلي , الحملة الصليبية , ص199 .

عمرو وأحمد بن الغماز وزيان بن محمد بن عبد القوي أمير بني توجين[1].

وأقلع الصليبيون بأساطيلهم فأصابتهم ريح قوية أهلكت عدد منهم[2], وفي ليلة 11/ ذي الحجة /675هـ/ 1277م توفى المستنصر بالله خليفة المسلمين وفي عهده وصلت الدولة الحفصية إلى درجة من الأزدهار والرقي في مختلف المجالات وأصبحت مدينة تونس حاضرة للخلافة الإسلامية , وتطور العمران وازدهرت الأحوال[3].

ب- مرحلة الأضطرابات والعنف (675-772هـ/1277-1370م)

إمتازت هذه الحقبة بكثرة الأضطرابات والتدهور وعدم الأستقرار إذ بدأت بوفاة الخليفة المستنصر بالله 675 هـ/ 1277م وتولي إبنه أبي زكريا يحيى الملقب بالواثق (675-678هـ/1277-1279م), والذي يبدو انه سار سيرة حسنة في البداية من خلال رفع المظالم وتسريح أهل السجون وافاضة العطاء على الجند واصلاح المساجد[4], وبسبب تصرفات وزيره يحيى بن عبدالملك الغافقي المكنى أبا الحسن ويعرف بإبن الحببر, الذي استبد بامور الحكم وكان كثير الإعجاب بنفسه , لا يحسن شئ من سياسة الملك ولا من سياسة الرعية ، مما أدى إلى فساد الحال[5],

وفي هذا السياق يذكر إبن خلدون[6] ان إبن الحببر استبد((على الدولة والسلطان)), وعندما وصلت الأخبار إلى أبي اسحاق ابراهيم بن أبي زكريا عم الواثق تحرك لانقاذ ما يمكن انقاذه من فوضى , وبعد ان تيقن الواثق بزوال ملكه اشهد الملأ وانخلع عن

---

(1) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 318 .

(2) إبن خلدون , التاريخ , 6/ 318 ؛ إبن الشماع , الأدلة البينة , ص72 .

(3) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 320 ؛ إبن الشماع , الأدلة البينة , ص73 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص130 .

(4) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 321 ؛ إبن الشماع , الأدلة البينة , ص74 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص130 ؛ الباجي , الخلاصة النقية , ص64 .

(5) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص75 ؛ الزركشي ,تاريخ الدولتين , ص41- 42؛ الباجي , الخلاصة النقية , ص64-65 .

(6) التاريخ , 6 /321 .

الأمر لعمه أبي اسحاق في ربيع الأول/678هـ/1279م[1], وبعد أيام من دخول أبي اسحاق ترك الواثق القصبة وسكن بدار الغوري بسوق الكتبين إلى أن اعتقل وقتل هو وأولاده الثلاثة , الفضل , الطاهر والطيب , في السجن في شهر صفر من سنة 679هـ/ 1280م ,وكذلك قتل وزيره إبن الحببر[2] . وكان هذا تطورا خطيرا في ظل الدولة الحفصية , فعندما تصل الأمور إلى النزاع بين افراد الأسرة الحاكمة فهذا يدل على الفوضى والأضطراب في الدولة .

بعد مبايعة أبي اسحاق (678-682هـ/1279-1284م) تلقب بلقب الأمير المجاهد, ولم يتلقب بخليفة المسلمين أو أمير المؤمنين[3], ومما زاد من تردي الأوضاع ظهور الدعي إبن أبي عمارة[4] سنة 681هـ/1283م والسيطرة على مناطق واسعة من أفريقية حتى وصل به الأمر ودخل مدينة تونس وبويع في 17/ شوال/681هـ /1283م[5], مدعيا انه الفضل بن أبي زكريا يحيى الواثق[6], ويذكر إبن الشماع[1] انه

(1) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 322 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص42 .

(2) الزركشي , تاريخ الدولتين , ص43 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص130-131 ؛ المطوي , السلطنة الحفصية , ص237 .

(3) إبن القنفذ , الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , ص137-138 ؛ إبن الشماع ,الأدلة البينة , ص79 ؛ برنشفيك , تاريخ أفريقية في العهد الحفصي , 1 / 111 .

(4) الدعي إبن أبي عمارة : هو أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي ,ولد في مدينة المسيلة ونشأ ببجاية وكان خياطا, خالط السحرة ويزعم انه يحول المعادن إلى ذهب بالصناعة , صحب الفتى نصير مولى الواثق فلما رآه نصير تبين له في شبه من مولاه الفضل الذي قتل مع والده الواثق واخوته فجاء الفتى نصير يبكي بين يدي إبن عمارة وقال له : صدقني وانا آخذ بثأر مولاك فاقبل نصير على أمراء العرب واخبرهم انه إبن مولاه فصدقوه وبايعوه .ينظر إبن خلدون, التاريخ , 6/236-327 ؛ إبن القنفذ , الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , ص143-144؛ إبن الشماع , الأدلة البينة , ص79 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص131-132 .

(5) إبن الشماع , الأدلة البينة ، ص79 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , يحدد البيعة في 27 شوال 681هـ , ص46 .

(6) إبن خلدون , التاريخ , 6/327 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص46 .

((كان سفاكا للدماء... فاجرا كذابا مخالفا للوعد , بعيدا عن خصال أبناء الملوك)), وكان يسيء إلى العرب الموجودين في تونس ووضع في سجونه أعداداً منهم وقتل قسماً آخر[2], وكانت مدة حكمه في مدينة تونس عاما ونصف , إلى ان دخل عليه المولى أبو حفص في 24ربيع الآخر/683 هـ/1284م[3], فحاصرهُ حصاراً شديداً , ولما ايقن بالهلاك هرب بنفسه إلى دار رجل فران من أهل الأندلس يدعى أبو القاسم القرموني وظل مختفيا عنده سبعة أيام إلى ان دلت عليه امرأة[4], وتم القبض عليه واحضر القضاة والشهود والأعيان واعترف بأنه إبن أبي عمارة المسيلي وبحضور قاضي الجماعة في تونس أبو العباس أحمد بن الغماز ,أمر الأمير بضربه مائتي سوط ثم ضربت عنقه[5].

وكانت الأضطرابات والأنقسامات هي الحالة السائدة ومنذ تولي أبو حفص عمر (683-694هـ/1284-1295م) ومدة أبي عبدالله محمد المشهور بأبي عصيدة (694-709هـ /1295-1309م) ليست قليلة لكنهما لم يستطيعا الحفاظ على اراضي الدولة نتيجة الأنشقاق والخلافات وانقسام الدولة الحفصية إلى قسمين شرقي عاصمته مدينة تونس وغربي عاصمته بجاية وقسنطينة , وظل هذا الأنقسام ملازما للدولة حتى سنة 718هـ/1318م , عندما تمكن أبو يحيى أبو بكر من توحيد الدولة , إلا ان هذا لم يدم طويلا بسبب تمرد الأعراب على الدولة فضلا عن دخول المرينين واحتلالهم مدينة تونس سنة 748-750 هـ/ 1347-1350م[6].

(1) الأدلة البينة , ص79.
(2) إبن خلدون , التاريخ , 6 / 329 .
(3) إبن الشماع , الأدلة البينة , ص81 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص145 يذكر بان دولة الدعي سنة وثلاث أشهر .
(4) إبن خلدون , التاريخ , 6 /330 ؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص50 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص132 .
(5) إبن خلدون, التاريخ , 6 /330 ؛ إبن الشماع , الأدلة البينة , ص80 ؛ إبن أبي دينار , المؤنس , ص132 .
(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص83 ؛ الدولاتلي , مدينة تونس , ص62 ؛ المطوي , السلطنة

ثالثاً: سيطرة بني مرين على مدينة تونس (748-750هـ/1347-1350م)

بعد وفاة الخليفة الحفصي أبو بكر أبي زكريا في رجب 747هـ/1346م[1] ، وقد كانت ولاية العهد لإبنه أبي العباس أحمد، تمكن أبا حفص عمر بن أبي بكر وبمساعدة الحاجب إبن تافراجين ان يستولي على منصب الخلافة، وتمت البيعة يوم 2 رجب 747هـ/1346م[2] . أدى هذا العمل إلى صراع داخل الأسرة الحفصية وفي نهايته دخل أبو حفص عمر بن أبي بكر إلى تونس عنوة يوم 16رمضان 747هـ/1346م لينتقم من اخوته فقتل الخليفة أبو العباس أحمد، كما قتل اخويه خالد وعبد العزيز بعد ان عذبهما، وقتل عدد كبير من العرب. فكانت دولة الأمير أبي العباس أحمد بتونس سبعة أيام[3].

يعد هذا الحادث السبب المباشر في تدخل دولة بني مرين واحتلالها لمدينة تونس، لأن الأمير أبو الحسن أمير بني مرين كان أحد شهود عقد ولاية العهد لأبي العباس أحمد ((فلما بلغه مهلك ولي العهد تعلّل بان النقض اتى على ما احكمه فأجمع غزو أفريقية ومن بها)) [4]، وأقام المولى عمر بن أبي حفص إلى ان تمكن بني مرين من احتلال تونس فهرب منها وقتل عند قابس وكانت أيامه بتونس عشرة أشهر وثلاثون عشر يوماً وتوفى سنة 748هـ/1347م[5]،

ودخل المرينيون تونس في 8 جمادي الآخرة سنة 748هـ /1347م[6]. وانتهى

الحفصية , ص287-297 .

(1) إبن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص168 .
(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص80 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص136 .
(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص81 .
(4) إبن خلدون، التاريخ، 379/6 .
(5) إبن أبي دينار، المؤنس، ص137 .
(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص83 .

إحتلالهم الأول لها في 29 ذي القعدة 750هـ/1350م بدخول أبا الفضل العباس الحفصي ودخل تونس وقعد بمجلس أبائه من الخلافة وجدد ما طمسه بني مرين[1]، وعقدت له البيعة وتلقب بالمتوكل[2] ،

وعاود المرينيون إحتلال تونس للمرة الثانية في 18 شعبان 758هـ/1357م، عندما وصل الأسطول المريني إليها واحتلها[3]. بقيادة القائد أبو عبدالله محمد الأحمر[4]. وقد ثار عليهم أهل تونس وإستطاعوا تحرير مدينتهم[5]. وكانت مدة بقائهم هذه المرة فيها شهرين وتسعة أيام[6].

ج- مرحلة الأزدهار (772-893هـ/1370-1488م)

مع حالة الضعف والأنقسام التي وصلت إليها الدولة الحفصية في تلك المرحلة إلا انها شهدت مرحلة جديدة تبدأ من عام 772-893هـ/1370-1488م متمثلة في عهد السلطان أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله، والذي إستطاع دخول تونس في 18/ربيع الثاني/772هـ/1370م[7]. والذي جاء تلبية لطلب أهل مدينة تونس بما أصابهم من فوضى خلال عهد الأمير أبي البقاء خالد(770-772هـ/1370-1372م) بسبب تصرفات حاجبه أحمد ابراهيم المالقي-لان الأمير كان صغيراً لم يبلغ الحلم بعد- وسوء تدبيره والجور الذي لحق بأهل تونس منه واهانة الأشراف منهم ((ولم تثبت له منقبة مُرضيّة فنقم الناس عليه ذلك وطلبوا الراحة منه ونادى من بتونس باختلال أمرهم وفساد وصفهم)) [8]، وذلك بعد ان أرسلوا منصور بن حمزة الكعبي أمير بني كعب

(1) إبن خلدون، التاريخ، 385/6 .
(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص91 .
(3) إبن الشماع، الأدلة البينة، ص103.
(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص97 .
(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص98 .
(6) إبن الشماع، الأدلة البينة، ص104 .
(7) إبن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص177 .
(8) إبن الشماع، الأدلة البينة، ص107 .

وغيرهُ إلى أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله[1]. ودخل إلى مدينة تونس في 18/ربيع الثاني/772هـ/1372م وتم القاء القبض على الأمير أبي البقاء خالد واخيه وأرسلهم في سفينة إلى قسنطينة، فعصفت بهم الريح فماتوا غرقاً[2]. يبدو انها رواية ضعيفة فقد أراد السلطان أبي العباس أحمد التخلص منهم .

وقام الأمير أبو العباس أحمد، برفع أنواع الفساد، وأمن الطرق والبلاد، وكان حسن السيرة في البلاد والعباد وإستطاع إعادة هيبة الدولة الحفصية[3]. وإستطاع ان يضع حد لهجمات الأعراب على المدن وانتزع ما بأيديهم من الأمصار[4]. وعزز علاقات الصداقة بين تونس من جهة والمغرب ومصر من جهة أخرى فكان لهذا الجهد السياسي الأثر الكبير في تركيز الوحدة وأستتباب السلم لمدة طويلة[5].

وعاشت مدينة تونس وبقية أرجاء الدولة في عهدهِ في أمن ورخاء إلى ان توفى في 3 شعبان796هـ/1394م ودفن بمدينة تونس، وتولى الأمر من بعده إبنه المتوكل على الله أمير المؤمنين أبو فارس إبن أبي العباس أحمد[6]. وبويع بالخلافة يوم 4/شعبان/796هـ[7]. ويوصف بانه ((رتب الأحوال، وأصلح البلاد، وقمع أهل الفساد، وابطل القيان، ونفى المخنثين من العاصمة، وأقام العدل بين السكان، وانصف المظلومين من الظالمين وغزا اسطوله صقلية))[8] وأقام العدل في رعاياه وساسهم

(1) إبن القنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص177؛ إبن الشماع، الأدلة البينة، ص107 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص106؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص142؛ ويحدد إبن أبي دينار يوم 12-ربيع الآخر.

(3) إبن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص177؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص106-114 .

(4) إبن خلدون، التاريخ، 404/6 ؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص142 .

(5) الدولاتلي، مدينة تونس، ص63 .

(6) إبن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص188-189 .

(7) إبن الشماع، الأدلة البينة ، ص112 .

(8) إبن عامر، الدولة الحفصية، ص53 .

بالكتاب والسنة، واكرم العلماء وأهل الصلاح حتى سار قواده وخواصه يسلكون طريقته في العدل، ويتجنبون الحيف والأذى ولا يتركون أحداً يشكوهم إليه[1]. ومنح أهل الأندلس من المساعدات وما يحتاجونه إذ يوجه لهم ذلك في كل عام ألفي قفيز من القمح، والخيل والسلاح لمواجهة اعدائهم[2].فهذا يدل على الأستقرار السياسي وأستتباب الأمن في مدينة تونس وكذلك تحسن الوضع إلاقتصادي، فلو كانت الأوضاع مضطربة وغير مستقرة لما إستطاع تقديم هذه المساعدات إلى أهل الأندلس.

ومما يعزز هذا القول ما ذكرهُ الزركشي خلال مدة الخليفة أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1434م): ((وجعل في كل خطة من يصلح لها فاستقامت الأمور بتونس في أيامه كلها احسن استقامة وأحدث في أيامه بتونس حسنات دائمة))[3]، وعرفت مدينة تونس في عهده الأستقرار والأمن وعاشت ازهى عصورها في ظل حكمه إلى ان توفى في صبيحة يوم عيد الأضحى سنة 837هـ/1434م، وبويع لولي عهده السلطان أبي عبد الله محمد المنتصر إبن أبي فارس في اليوم نفسه[4]. وكان شجاعاً عفيفاً كريماً، أرسل الأموال إلى أهل الأندلس وكان عهدهُ عهد إستقرار، وابدى اهتمامه بالناحية العلمية، وكانت مدة حكمه قليلة ولزمه المرض الذي توفى بسببه يوم الجمعة 22 صفر839هـ/1435م[5]. وبويع شقيقه أبو عمرو عثمان في 22صفر839هـ/1435م[6]. ويعد من أجَلِ ملوك بني حفص وكانت مدة حكمه طويلة مقارنةً بالآخرين(839-893هـ/1435-1488م)، وكانت أيام حكمه أيام رخاء

---

(1) عبد الله الترجمان، أبي محمد عبد الله(ت832هـ)، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تح عمر وفيق الداعوق، ط1، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 1988، ص81-82 .

(2) عبد الله الترجمان، تحفة الأريب، ص84 ؛ إبن الشماع، الأدلة البينة، ص114 .

(3) تاريخ الدولتين، ص115 .

(4) إبن الشماع، الأدلة البينة، ص119-120؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص130 .

(5) إبن الشماع، الأدلة البينة، ص120-121 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص134 يذكر وفاته يوم 12 صفر .

(6) إبن الشماع، الأدلة البينة، ص121.

وازدهار، وله الأعمال الجليلة في مدينة تونس، وكذلك اهتمامه بالعلم والعلماء[1]. ورغم الأعمال الجليلة التي قام بها الخليفة أبو عمرو عثمان(839-893هـ) في سبيل إستتباب الأمن والأستقرار إلا انه واجهه أحداثاً كبيرة ناتجة عن الثائرين عليه من أبناء العائلة الحفصية او من غيرهم وأستطاع وضع حد للأعراب الخارجين عن السلطة[2].

وقد كان للأوبئة والأمراض وغلاء الأسعار دور آخر في هذا العهد. ففي عام 847هـ/1446م كان الوباء بتونس وضواحيها، إذ بسببه توفى قاضي الجماعة الفقيه أبو حفص القلجاني، وفي عام 857هـ/1457م وقع وباء آخر في تونس[3]. وفي عام 862هـ/1458م أصاب الناس بتونس غلاء أسعار الطعام حتى بلغ سعر قفيز القمح أربعة دنانير من الذهب، فشكا الناس ذلك للسلطان واتخذ التدابير اللازمة فأمر بان يخرج من المخزن كل يوم ما يصنع منه ألف خبزة وتوزع على فقراء تونس[4]. لكن في عام 873هـ/1468م عاد الوباء بشكل كبير في تونس وأخذ يتزايد حتى بلغ عدد الموتى ألفاً كل يوم[5]. في حين ذكر آخر بان عدد الموتى بلغ أربع عشرة ألفاً في كل يوم ((وحصر في الزمام أربعمائة ألف عدا من لم يدخل في الزمام نحو المائة ألف))[6]، فاعتزل السلطان مدينة تونس واحتجب في باردو عاماً وثلاثة أشهر[7]. وعلى الرغم من المبالغة في هذه الأرقام إلا انه كان لهذا الوباء تأثير على مدينة تونس.

وكانت وفاة السلطان أبو عمرو عثمان في آخر شهر رمضان من عام 893هـ/1488م ليبدأ عهد جديد من عهود الدولة الحفصية بعد ان حكم أكثر من

(1) إبن الشماع، الأدلة البينة ، ص122-124؛ إبن أبي دينار، المؤنس، ص147.
(2) المطوي، السلطنة الحفصية، ص637 .
(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص141-147 .
(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص150 .
(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص154 .
(6) إبن أبي دينار، المؤنس، ص149 .
(7) الباجي، الخلاصة النقية، ص82-83 .

نصف قرن[1].

د- التدهور والسقوط (893-981هـ/1488-1572م)

دخلت الدولة الحفصية مرحلة الضعف والأنهيار، أثر وفاة السلطان أبو عمرو عثمان سنة 893هـ/1488هـ، إذ عاد التناحر على العرش، ومن مدة 893-899هـ جاء ثلاثة سلاطين إلى العرش، فضلاً عن حدوث وباء كبير مات به خلق كثير، ومن ضمنهم السلطان أبو زكريا في 9/شعبان/899هـ/1494م[2]. وبدأ التدخل الخارجي المتمثل بالأسبان والعثمانيين في شؤون تونس في مدة السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن 899-932هـ/1494-1526م،وبعد وفاته خلفه إبنه الأمير أبي محمد الحسن 932-942هـ/1526-1535م والذي ساءت سيرته في الناس وإضطربت عليه البلاد، وأخذ العثمانيون مدينة تونس وانهزم الأمير أبو محمد الحسن ودخل خير الدين إلى تونس واستقل بقصبتها وثار عليه أهلها وقتل من الطرفين أعداداً كبيرة[3].

وعندما كان السلطان أبا محمد الحسن خارج مدينة تونس لإخضاع القيروان بمساعدة الأسبان، دخل إبنه الأمير أحمد بن الحسن (942-980هـ/1535-1571م) إلى المدينة والتف عليه أهلها وبايعوه واعلن الثورة ضد أبيه الذي تعاون مع الأسبان، وإستطاع الأستيلاء على الحكم في تونس فقام والدهُ الحسن وبمساعدة الأسبان من محاصرة تونس، واثناء القتال تحقق النصر لأهل تونس والقي القبض على السلطان الحسن، وتم سجنه[4]. وفي عهد آخر سلاطين الدولة الحفصية أبو عبدالله محمد بن المولى الحسن (980-981هـ/1571-1572م) الذي استنجد بالأسبان، والذين عاثوا فساداً بمدينة تونس ودنسوا المسجد الجامع وسرقوا خزائن الكتب الموجودة في الجامع،

---

(1) إبن أبي دينار، المؤنس، ص149 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص83 .

(2) إبن أبي دينار، المؤنس، ص150 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص83 .

(3) إبن أبي دينار، المؤنس، ص153 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص84 .

(4) إبن أبي دينار، المؤنس، ص156-158.

حتى إستطاع العثمانيون السيطرة عليها من الأسبان بقيادة سنان باشا[1].

(1) إبن أبي دينار، المؤنس، ص166 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص88-89 ؛ إبن عامر، الدولة الحفصية، ص63 ؛ المطوي، السلطنة الحفصية، ص729-730 .

الفصــل الثانــي

الحيــاة الاجتماعية في مدينة تونــــــس

المبحث الأول : مكونات المجتمع .

أ- عرب المغرب (البربر)

ب- عرب المشـــــرق

ج – الأفارقـــــــة

د- الـــــــــروم

هـ – اليهــــــــود

و- النصـــــــارى

ز- الأندلسييـــــــن

ي- الأقباط ومسلمو صقلية

المبحث الثاني : دور الفقهاء والقضاة في الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث : دور المرأة في الأسرة والمجتـــــــمع

المبحث الرابع : مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة تونس

أولاً : السكن والبيـــــــــــــوت

ثانياً : مياه الشـــــــــــــرب

ثالثاً: طعام أهـــــــــــل تونس

رابعاً : الملابـــــــــــــس

خامساً: الأعياد والاحتـــــــــفالات

سادساً : العادات والتقـــــــــاليد

المبحث الأول : مكونات المجتمع:

يتكون سكان مدينة تونس من مكونات عدة ، والتي شكلت بمجملها مجتمع المدينة ، وعاشت متجانسة فيما بينها وقد ادت في النهاية إلى ان تكون من المدن المتطورة ، بفضل هذا التنوع في السكان وأبرز هذه المكونات هي :-

أ-عرب المغرب (البربر)

اختلفت الروايات التاريخية حول أصل نسب البربر , فمنهم من أرجع نسبهم إلى بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام[1], ومنهم من أرجع نسبهم إلى حمير باليمن[2], ومنهم من أرجعهم إلى ولد كنعان بن حام بن نوح , وإنه لما قتل ملكهم جالوت على يد داود عليه السلام, تفرق بنو كنعان الذين كان سكنهم فلسطين, قاصدين بلاد افريقية والمغرب, وسكنوا هذه البلاد وسمّوا بالبربر[3]. وقد ذُكر أنّه عندما ((غزا أفريقيش المغرب, فنقلهم من سواحل بلاد الشام وأسكنهم أفريقية, وإنّما سمّوا بربراً لأنّ أفريقيش الملك الحميري قال لهم: ما أكثر بربرتكم, ونسبَ له شعراً .

(1) ابن حزم , أبي محمد علي بن سعيد (ت456هـ),جمهرة أنساب العرب , تح ليفي بروفنسال , دار المعارف , مصر ,1948,ص461.

(2) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي،164/1؛ القلقشندي ,أبي العباس أحمد (ت821هـ), قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ,تح إبراهيم الأبياري , دار الكتب الإسلامية , القاهرة ,168/2,1982.

(3) ابن خرداذبة ,المسالك والممالك, ص91؛ الأدريسي , ابو عبدالله محمد بن محمد المعروف بالشريف (ت نحو 548 هـ) وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ماخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ,تصحيح ونشر هنري بيريس, الجزائر ,1957,ص35؛ التجاني , رحلة التجاني,ص160.

بربـــــرت كنعــــان لمــــا سُـــــقتُّها

مــــن أرض الضـــنك إلـــى العــــيش

وقد قسم النّسابون البربر إلى قسمين كبيرين هما البتر والبرانس, وينتهي كل منهما إلى بر بن مازيغ, كما أنّهما من أصل واحد من ولد كنعان بن حام[2], وفي هذا يقول ابن خلدون[3] :((هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم, ملؤا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وامصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر)) وعن معاشهم يقول:((ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب, ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة)) [4].

لقد كان غالبية سكان منطقة الشمال الأفريقي من البربر, وهم قبائل متعددة وكثيرة[5], وشعوب جمّة وطوائف متفرّقة[6]. لكثرة بطونهم وتشعب قبائلهم[7], ويرجع إصول معظم القبائل البربرية إلى أصل عربي[8]. أمّا عن دياناتهم قبل الفتح العربي الإسلامي فقد تنصّر كثير من البربر, وبقي الآخرون يعبدون ما يعبد أهل الجاهلية من

---

(1) مؤلف مجهول, مفاخر البربر, تح عبدالقادر بوباية , ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر, الرباط , 2005 , ص196.

(2) السلاوي, الاستقصا, 29/1.

(3) التاريخ,90/6.

(4) ابن خلدون , التاريخ, 90/6.

(5) الحميري, الروض المعطار, ص441.

(6) القلقشندي , نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب, تح إبراهيم الأبياري, ط2 ، دار الكتاب اللبناني, بيروت ,1980, ص119.

(7) ابن حوقل , صورة الأرض ,ص97؛ ابن حزم , جمهرة أنساب العرب ,ص461-463.

(8) ابن خلدون, التاريخ, 98/6؛شلبي ,أحمد ,التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ,ط2,مطبعة لجنة التأليف والنشر, القاهرة,1966, 162/4؛ عثمان ,سعدي, الأصول العربية للبربر , مجلة آفاق عربية ,السنة الخامسة , العدد9 ,آيار ,1980, ص6-25.

الأصنام والأوثان, وقسم منهم دخل الديانة اليهودية(1).

خلال عمليات الفتح العربي الإسلامي عمد القائد حسان بن النعمان إلى دمج عرب المغرب ضمن قواته((ثم إنّ البربر استأمنوا إليه فلم يقبل أمانهم إلاّ أن يعطوه من جميع قبائلهم إثنى عشر ألفاً, يكونون مع العرب مجاهدين فأجابوا وأسلموا على يديه, فعقد لوائيين لولدي الكاهنة, لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب يجولون في افريقية يقاتلون الروم ومن كفر من البربر))(2), وكان على مقدّمة جيش حسان بن النعمان الغساني محمد بن أبي بكير, وهلال بن ثروان اللواتي(3). ((وكتب الخراج على عجم أفريقية , وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر والروم))(4) ومنذ تلك المدة ((صارت الخطط للبربر بأفريقية , فكان يقسم الفيء بينهم والأرض وحسنت طاعتهم)) (5).

كان لعرب المغرب أثر كبير ومشاركة فعّالة في بناء مدينة تونس, ودار الصناعة فيها, فبعد وصول أمر الخليفة عبد الملك بن مروان (65-85هـ / 684- 705م) إلى حسان بن النعمان بالموافقة على بناء ميناء تونس و دار الصناعة وحسب ما أوردهُ البكري(6) :((وأنْ يجعل على البربر جر الخشب لإنشاء المراكب)). ومن خلال هذا يتبين أنّ دور البربر كان جر الخشب لمساعدة الأقباط والعرب في بناء دار الصناعة في

---

(1) مؤلف مجهول ,مفاخر البربر, ص196؛ السلاوي , الاستقصا,29/1؛ لوبون ، غوستاف, حضارة العرب,نقله إلى العربية عادل زعيتر, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه,1996,ص248.

(2) ابن عبدالحكم, ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (257هـ/780م)، فتوح مصر والمغرب, تح عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربي ، القاهرة 1961 ، ص271؛ الرقيق القيرواني , تاريخ أفريقية , ص49-50.

(3) ابن عبدالحكم, فتوح مصر والمغرب,ص269-270؛ طه ، الفتح والاستقرار ، ص133 .

(4) الرقيق القيرواني , تاريخ أفريقية والمغرب,ص50؛ ابن عذاري, البيان المغرب ,38/1.

(5) المالكي, رياض النفوس,56/1.

(6) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ,ص38.

تونس.

وكان مع حسان بن النعمان جماعة من البربر من البتر[1], وقد تسلّم البربر مناصب مهمّة في مدينة تونس في ظل الحكم الإسلامي, فمنهم الفقيه ابو الحسن بن سعيد ويعرف بابن تامسري ولّي قضاء تونس[2].

وقد سكن المدينة قسم كبير من قبيلة هنتاتة في عام 603هـ/1207م في عهد الموحدين بالمغرب وقد تركزت هذه الأعداد في مدينة تونس، مع الشيخ أبي محمد عبدالواحد الهنتاتي وأصبحوا فيما بعد أمرائها[3]. وقد كان عرب المغرب (البربر) يشبهون عرب المشرق في مختلف ما يتصفون به فنجدهم يسكنون الجبال والبراري ويتنقلون في البلاد بمواشيهم وإبلهم , كفعل عرب المشرق[4], و((يقتصر البربري على زوجة واحدة)) [5].

ب- عرب المشرق:

يمثل عرب المشرق العنصر الثاني من عناصر سكان مدينة تونس إذ استقر هؤلاء في المدينة سواء كان هذا في الحملة التي قادها حسان بن النعمان وتأسيسه للمدينة أم في الحملات اللاحقة , أم لأسباب أخرى أدّت إلى استقرارهم في المدينة.

لقد دخل العنصر العربي مع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب العربي في صورة جيوش فاتحة, حتى استقر رجال هذه الجيوش في نواحي المغرب كلّه بعد إتمام الفتح

(1) ابن عبدالحكم, فتوح مصر والمغرب,ص271؛ المالكي ,رياض النفوس,54/1.

(2) مؤلف مجهول , مفاخر البربر, ص157.

(3) التجاني, رحلة التجاني ,ص360-363.

(4) بل, الفرد, الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم, ترجمه عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي ,ط3 , دار الغرب الإسلامي , لبنان ,1987,ص83.

(5) لوبون , حضارة العرب, ص248.

ولحقت بهم جماعات أخرى من الجند والمهاجرين العرب مع استمرار عملية الفتح[1]. ومن الصعوبة تقديم صورة واضحة ودقيقة عن السكان بسبب عدم الاستقرار, وكذلك نقل القوات إلى مناطق أخرى في بلاد المغرب , فضلاً عن وصول امدادات جديدة من المشرق[2].

وقد استوطن العرب مدينة تونس في زمن مبكر منذ تأسيسها وكان غالبية سكانها من الجند الذين اشتركوا في تحرير أفريقية, إذ يذكر ابو بكر المالكي[3], أنّ حسان بن النعمان ((أوّل من دخل أفريقية من أهل الشام في زمن بني أميّة)).

وإنّ القوات التي دخلت مع حسان بن النعمان انضمّت إليها قوات أخرى من العرب الساكنين في طرابلس , وأفراد من عرب المغرب[4], ولاسيما من قبيلة لواته[5]. فضلاً عن القبائل التي انضمّت إلى هذه الحملة في مصر مثل قبيلة معافر وفيها ابو قبيل المعافري[6]، وسبأ ومنهم حنش بن عبدالله السبأي الصنعاني[7], فضلاً عن أعداد غير قليلة من قبيلة غسان خرجت مع قائدها حسان بن النعمان[8].

ورغم تركيز الكثير من الجند في مدينة القيروان إلا أنّ مدينة تونس لم تخلُ هي الأخرى من سكن الجند, ويصف أحد المؤرخين[9] هذا بقوله:((وكانت تونس تعدل بالقيروان في كثرة العرب والجند الذين كانوا فيها)) إذ استقر بها الكثير من العلماء ومنهم خالد بن أبي عمران التجيبي , أحد علماء مدينة تونس , والذي قدم أبوهُ عليها

---

(1) ابن وردان , تاريخ مملكة الأغالبة, ص22؛ طه ، الفتح والاستقرار ، ص133 .
(2) الرقيق القيرواني,تاريخ أفريقية والمغرب,ص49و58؛ ابن عذاري, البيان المغرب, 31/1و34.
(3) رياض النفوس, 31/1.
(4) ابن عذاري , البيان المغرب, 34/1؛ ابن أبي دينار , المؤنس ,ص33.
(5) ابن خلدون ,التاريخ ,96/6؛ طه, الفتح والاستقرار, ص133.
(6) السمعاني , ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت562هـ), الأنساب , تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت ,1988, 334/5.
(7) المالكي, رياض النفوس, 91/1.
(8) المالكي , رياض النفوس ,38/1.
(9) الرقيق القيرواني , تاريخ أفريقية, ط1, 1990, ص151.

مع جيش حسان بن النعمان , واستقر بالمدينة[1]. وسكنها من الأنصار يحيى بن سعيد بن قيس بن قهد الأنصاري[2], وكذلك ابو زيد عبدالملك بن أبي كريمة الأنصاري[3].

ونتيجة لوفود القبائل العربية مع الولاة ازداد عدد الجند العربي في مدينة تونس حتى أصبحت من كثرة الجند مركزاً لثورات الجند العربي ضدّ السلطة في القيروان[4].

وفي هذا السياق ذكر المؤرخون بأنّ مدينة تونس ((هي مخصوصة بالقيام على الأمراء والخلاف للولاة خالفت نحو عشرين مرّة))[5], وانخفضت هجرات عرب المشرق إلى أفريقية في زمن الفاطميين(296-362هـ/908-973م) بسبب الاختلاف المذهبي الذي ساد المنطقة[6], وكذلك بسبب إعتماد الفاطميين في دعوتهم على قبائل معيّنة من عرب المغرب, ولاسيّما قبائل كتامة[7].

ويمكن القول أنّ أكبر تدفق من عرب المشرق كان في القرن الخامس الهجري عندما قامت قبائل بني هلال وبني سليم بغزو أفريقيا , فيذكر أنّ عدد افراد بني هلال وبني سليم ومن التحق معهم إلى أفريقيا بلغ ما يقرب أربعمائة ألف نسمة بضمنهم النساء والأطفال[8]. وعند دخول هذه القبائل إلى مدينة القيروان

---

(1) المالكي , رياض النفوس ,162/1؛عبدالوهاب , حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ،ط2،مكتبة المنار ، تونس،1972 , 40/3.

(2) يحيى بن سعيد من التابعين الذين دخلوا أفريقية , وجدّهُ قهد من الصحابة , أقام بمدينة تونس وكانت وفاته فيها سنة 143هـ. المالكي, رياض النفوس,47/1؛عبدالوهاب , ورقات , 38/3.

(3) المالكي , رياض النفوس ,232/1.

(4) الرقيق القيرواني , تاريخ أفريقية والمغرب,ص186-187.

(5) البكري, المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ,ص40؛ مجهول , الاستبصار ,ص121.

(6) ابن الخوجة, محمد ,صفحات من تاريخ تونس , تح حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى, ط1 , دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1986,ص224.

(7) القاضي النعمان , تاريخ افتتاح الدعوة ,ص302.

(8) عبدالوهاب ,خلاصة تاريخ تونس , ص94؛ابن عامر ,أحمد , تونس عبر التاريخ, ط1, مكتبة النجاح , تونس ,1960,ص157.

وتخريبهم المدينة, نزح أكثر أهلها إلى مدينة تونس والمناطق الأخرى[1]، خوفاً من بطش هذه القبائل لهم,((واقتسمت العرب بلاد أفريقية سنة 446هـ/1055م وكان لزغبة طرابلس وما يليها, ولمرداس بن رياح باجة وما يليها ثمّ اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس إلى الغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشمْ وقرة والأثبج والخلط وسفيان))[2],وتغلب عائذ بن أبي الغيث الرياحي على مدينة تونس ونهبها سنة 446 هـ / 1055م[3]. ورحلت بعض بطون بني هلال إلى تونس مثل رياح والأثبج وبنو عدي[4], واستقرّوا في حي يقع غرب الربض الشمالي(باب السويقة) يعرف بحي نفات[5].

وقد ساعد وجود قبائل بني هلال وبني سليم على سرعة تعريب عرب المغرب في شمال أفريقيا بصورة عامّة ,لأنّ أعدادهم كبيرة جدّاً قياساً مع العرب الفاتحين الأوائل لذلك نجد بدخول العرب هؤلاء إلى شمال أفريقيا, تعرب عرب المغرب بصورة أوسع نتيجة الاحتكاك والاختلاط والمصاهرة[6].

وقد كانت قبائل بني هلال وبني سليم تنتمي إلى أصل عربي واحد إذ ينسبون إلى منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر[7].

---

(1) ابن خلدون,التاريخ,19/6.

(2) ابن خلدون,التاريخ,19/6.

(3) ابن خلدون,التاريخ,19/6.

(4) الزاوي ,الطاهر أحمد , تاريخ الفتح العربي في ليبيا ,ط4, دار المدار الإسلامي , لبنان ,2004,ص229.

(5) الدولاتلي , مدينة تونس ,ص88.

(6) ضيف ,شوقي ,تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ,ط2,دار المعارف , القاهرة ,2009,ص123.

(7) الميلي, مبارك بن محمد, تاريخ الجزائر في القديم والحديث ,تقديم محمد الميلي , دار الغرب الإسلامي , لبنان ,1986, 178/2.

وخلاصة القول فقد سكنت مدينة تونس قبائل عدّة منها, غسان[1], وتجيب[2], ومعافر[3], وكنانة[4], الازد[5], بني تميم[6], هذيل[7], عبس[8], وفيها من أهل مصر[9], وكذلك من أهل الشام , فقد سكنها عمرو بن راشد بن مسلم الكناني الذي إختط بها , وكانت وفاته بها وأصله من أهل الشام[10].

---

(1) المالكي , رياض النفوس,193/2.

(2) أبو العرب , محمد بن احمد بن تميم (ت333هـ) ، طبقات علماء أفريقية وتونس, دار الكتاب اللبناني بيروت (بلا .ت),ص245؛ المالكي , رياض النفوس,162/1.

(3) المالكي , رياض النفوس,168/1.

(4) أبو العرب , طبقات علماء أفريقية وتونس، ص247؛ المالكي , رياض النفوس,137/1.

(5) أبو العرب, محمد بن احمد بن تميم (ت333هـ) ، كتاب المحن, تح، يحيى وهيب الجبوري ,ط3, دار الغرب الإسلامي ,لبنان , 2006,ص357.

(6) أبو العرب, كتاب المحن, ص233؛ الزركشي, تاريخ الدولتين ,ص34.

(7) القفطي , جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت646هـ),إنباه الرواة على أنباه النحاة ,بيروت,1424هـ, 292/2؛ عبدالوهاب ,حسن حسني , كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين, مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ,ط1, دار الغرب الإسلامي ,لبنان , 1990, 720/2.

(8) القاضي عياض , ترتيب المدارك ,80/3؛ المالكي , رياض النفوس,234/1.

(9) أبو العرب, كتاب المحن, ص357.

(10) المالكي , رياض النفوس,137/1.

ج - الأفارقـــــــة:

وهم اخلاط من الناس كانوا يسكنون النواحي الساحلية العامرة المحيطة بالمدن البيزنطية وهم خليط من المستعمرين اللاتينيين وبقايا الشعب القرطاجي القديم ومزارعي البيزنطيين وصناعهم ونفر من عرب المغرب ممن استقر ودخل في طاعة البيزنطين[1]. وكانوا يعملون بالزراعة والصناعة[2]. وقال عنهم ابن عبد الحكم[3]:((واقام الافارق وكانوا خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم)) ، وكانت طاعتهم و ولائهم لسادتهم البيزنطيين[4]. وقد جاء الأفارقة إلى المنطقة مع حركة التدخل الخارجي منذ العصر الفينيقي والروماني البيزنطي, واستوطنت المراكز المهمّة عسكرياً واقتصادياً[5], واستقرّت في المدن[6], وعن سبب تسميتهم بالأفارقة يذكر ((أنّهم من ولد فارِق بن بيصر, وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى أفريقية, فبالأفارقة سميّت افريقية)) [7].

وقد ذكر أحد المؤرخين[8] بأنّه عندما حارب العرب الروم وقفت الأفارقة على حياد, بل أقبل قسم منهم على دخول الإسلام , غير أنّ العرب وضعوهم مع الروم في منزلة واحدة, فاعتبروا الافارقة موالي وغنموا أراضيهم وأموالهم فأصبحوا أعداء لهم. في حين يذكر مؤرخ آخر بأنّ دخول قسم منهم إلى الإسلام من أجل المحافظة على أراضيهم وبالرغم من هذا فقد

---

(1) الرقيق القيرواني, تاريخ أفريقية, ص19؛ ابن وردان, تاريخ مملكة الأغالبة, ص22؛ مؤنس, فتح العرب للمغرب, ص5.

(2) ابن وردان , تاريخ مملكة الأغالبة,ص22.

(3) فتوح أفريقية والأندلس, تح عبدالله أنيس الطباع, دار الكتاب اللبناني , 1964,ص28.

(4) موسى, المغرب الإسلامي, ص15.

(5) القاسمي ,هاشم العلوي, مجتمع المغرب الأقصى , المغرب , 1995, 1/ 299.

(6) مؤلف مجهول , مفاخر البربر ,ص196.

(7) ابن عبدالحكم , فتوح مصر والمغرب ,ص248؛ابن عبدالحكم, فتوح أفريقيا والأندلس,ص39.

(8) مؤنس, حسين, فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ,ط1, دار المناهل للطباعة, لبنان, 2002, ص209.

كانت لديهم ميول انفصالية[1]. وكانوا قبل دخولهم الإسلام يدينون بالنصرانيّة, وعُرفوا بخدمتهم للروم البيزنطين, والذين اخذوا الكثير عنهم من عاداتهم وتقاليدهم[2].

د ـ الـــــــــــروم:

وهم البيزنطيون الذين سكنوا في البلاد آنذاك وكانوا حكّاماً للبلاد, ومع الفتح العربي الإسلامي اختفى أكثرهم فلم يبق منهم سوى جماعات قليلة كانت تقيم على السواحل ومدنها[3], ولا سيما في مدينة قرطاجنة إذ كان يقيم الروم,[4] بأعداد كبيرة[5], ونتيجة لكثرة عددهم داخل مدينة قرطاجنة يذكر الدباغ[6]: ((وفي قرطاجنة من الروم لا يعلمه إلا الله)). وكانت ديانة الروم النصرانيّة[7].

وعندما عجز الروم عن مقاتلة العرب المسلمين بقيادة حسان بن النعمان في قرطاجنة , وعلموا أنّهم لا طاقة لهم من قتاله سألوه الصلح وأنْ يقع عليهم الخراج فأجابهم حسان على ذلك لكنهم تمكنوا من الهرب ليلاً عن طريق البحر إلى صقلية, وقسم توجه إلى الأندلس[8]، وقسم منهم اعتنق الإسلام[9]، وهم الذين لم يرحلوا عن

(1) عبدالرزاق , محمود اسماعيل , الخوارج في بلاد المغرب ,ط1, فاس, 1976,ص287.

(2) السلاوي , الاستقصا , 43/1؛ عبدالحميد, تاريخ المغرب,106/1.

(3) الرقيق القيرواني,تاريخ أفريقية والمغرب,ص19؛ مؤنس , فتح العرب للمغرب,ص5.

(4) ابن عبدالحكم , فتوح مصر والمغرب, ص270.

(5) المالكي , رياض النفوس,48/1.

(6) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ,60/1.

(7) ابن خلدون , التاريخ,315/6.

(8) البكري ,المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ,ص37؛ الدباغ, معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان,68/1-69.

(9) الرقيق القيرواني, تاريخ أفريقية والمغرب,ص19,

قرطاجنة بعد سقوطها بأيدي العرب المسلمين[1]. إذ أنّ دخولهم في الإسلام من اجل المحافظة على أموالهم[2].

وقد ذُكر أنّ الخليفة الفاطمي ابو عبيد الله المهدي اتخذ الروم عبيداً له[3]. ويذكر أنّ ابو حبيب نصر الرومي التونسي(ت332هـ/934م)الذي كان أصله مملوكاً, جالسَ الفقهاء حتى أصبح واحدٌ منهم, سكن مدينة تونس وكان معظّماً بها[4].

هـ - اليـــــــهود:

لم تتكر المصادر التي بين أيدينا أي تواجد لليهود في بداية تأسيس مدينة تونس, لكن أحد الباحثين المحدثين رجّح تواجد اليهود في تونس بسبب قرب موقعها من مدينة قرطاجنة القديمة, ويرجح استقرار أعداد من اليهود في تونس, كما أنّ العثور على آثار يهودية في قرطاجنة ترجع إلى القرن السادس الميلادي, يؤكد على استقرار اليهود في المنطقة خلال الحكم الإسلامي. مبيناً تواجد أحد التجار اليهود والذي استوطن مدينة تونس[5].

لقد كان لليهود دور واضح خلال العصر الفاطمي(296-362هـ/908-973م)إذ عَمِل في بلاط عبيد الله المهدي والمعز لدين الله الفاطمي أطباء من اليهود.[6] وكذلك كان التاجر اليهودي يعقوب بن كلس , الذي اعتنق الإسلام ودخل في خدمة الخليفة الفاطمي

(1) سالم , عبدالعزيز , تاريخ المغرب الكبير, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت ,1981 ,419/2.

(2) عبدالحميد , سعد زغلول , تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال , الاسكندرية , 1955 ,1/ 109-110.

(3) القاضي النعمان, افتتاح الدعوة, ص303.

(4) القاضي عياض , ترتيب المدارك , تح، سعيد أحمد, 1981 ,23/6.

(5) بشير, عبدالرحمن ,اليهود في المغرب العربي,ط1,عين للدراسات والبحوث الإنسانية والأجتماعية, مصر ,2001, ص43.

(6) بشير, اليهود في المغرب العربي ,ص71.

المعز لدين الله سنة 968/357م[1], وكان اليهود يعملون في تجارة الأقمشة والزيت وعَمِل قسم منهم في الطب, وكانوا من أرباب الأموال والتجارة بصورة عامّة[2].

وقد تمتع اليهود في عهد بني زيري بالتسامح, وكان قسم منهم يسكن بجوار المسلمين, وعند تخريب مدينة القيروان من قبل بني هلال وبني سليم, لاشكّ أنّ كثيراً من اليهود الساكنين في مدينة القيروان قد نزح مع المسلمين إلى مدينة تونس وقد زاد ذلك النزوح عدد اليهود في مدينة تونس[3]. إذ أنّ يهود مدينة تونس الذين كانوا يقيمون في قرية الملاسين خارج اسوار المدينة قد سمح لهم الفقيه محرز بن خلف (ت413هـ/1022م) الإقامة في حي خاص بهم داخل أسوار تونس يعرف بـ((حارة اليهود))[4], وفي هذا الحي كانوا يقيمون شعائرهم الدينية ويتمتعون بكثير من أنواع التسامح الديني[5].

وكان الفقيه محرز بن خلف متسامحاً مع أهل الذمّة حريصاً على مسالمتهم, وكانت حارة اليهود هذه تقع بالقرب من منزل الفقيه محرز بن خلف, حتى يكونوا تحت رعايته[6]. ولعله اراد إدماجهم في المجتمع ودفع الحياة الاقتصادية بعد الخراب الذي لحق بمدينة تونس على أثر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد[7].

وقد ذُكِر أنّ اليهود كانوا ينعمون بتسامح تام ومودة من جانب جيرانهم المسلمين, إذ إنّ أحد المسلمين كان له جار يهودي تربى معهم , وكانت علاقة الاسرة المسلمة بالجار اليهودي تتسم

(1) ادريس, الدولة الصنهاجية,381/2؛ بشير, اليهود في المغرب العربي, ص72.

(2) ادريس, الدولة الصنهاجية,382/2.

(3) ابن الشماع، الادلة البينة ، ص66 ؛ الدولاتلي, مدينة تونس, ص49؛ ادريس , الدولة الصنهاجية,384/2.

(4) ادريس, الدولة الصنهاجية,384/2.

(5) ابن عامر, الدولة الحفصية, ص73-74.

(6) زبيس, سليمان مصطفى , بين الآثار الإسلامية في تونس, منشورات دار الثقافة , تونس , 1963, ص37.

(7) الدولاتلي, مدينة تونس,ص38 ؛ ابن عامر , الدولة الحفصية, ص73-74.

بالصداقة والود وحسن الجوار[1]. ودخل قسم منهم في الدين الإسلامي, فقد ذُكِر أنّ المهدي بن تومرت خلال وجوده في مدينة تونس, صلّى على جنازة أحد اليهود, الذي أسلم من قبل[2].

وقد تأثر اليهود بالاضطرابات التي شهدتها أفريقية بصورة عامّة, فبعد نزوحهم من مدينة القيروان إلى مدينة تونس, وإخضاع مدينة تونس لسيطرة الموحدين سنة 554هـ / 1188م , فإنّ الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي(487-558هـ/1094-1192م) ((عرض الإسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سَلِمَ ومن امتنع قُتِلَ)) [3].

أمّا في مدة الدولة الحفصيّة فقد عرف اليهود الاستقرار والهدوء في مدينة تونس, إلاّ في سنة 648هـ/1250م في عهد الخليفة المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م)

عندما فرضت الشكلة على اليهود وبولغ في ذمّتهم[4]. ((وعلامة اليهود الشكلة الصفراء فوق الاحرام لا تحتهُ, لأنّه قد يشكل إذا أعطى بظهره)) [5].

---

(1) الونشريسي، أبي العباس احمد بن يحيى(ت914هـ), المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بأشراف محمد الحجي، 1981, 300/11؛ ابو مصطفى ,كمال السيد , جوانب من الحياة الأجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي, مركز الاسكندرية للكتاب ,1996, ص36.

(2) البيذق, أبي بكر بن علي الصنهاجي(ت اواخر القرن السادس الهجري)،اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971, ص11-12؛ ادريس, الدولة الصنهاجية ,381/2؛ علماً أنّ البيذق كان ممن صلّى على هذه الجنازة خَلْفَ ابن تومرت, ويبدو أنّ دخول المهدي بن تومرت إلى مدينة تونس كان عام 510هـ. البيذق, اخبار المهدي, هامش1,ص11.

(3) ابن الأثير, الكامل ,138/9؛التجاني,رحلة التجاني,ص347؛النويري, نهاية الأرب,171/24.

(4) ابن القنفذ, الفارسية ,ص133؛ابن الشماع, الادلة البينة,ص66؛الزركشي, تاريخ الدولتين,ص33.

(5) البرزلي, أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت841هـ), فتاوي البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام , تح محمد الحبيب الهيلة, ط1, دار الغرب الإسلامي , لبنان, 2002, 44/2.

و - النـــــــــصارى:

لقد وجدت الديانة النصرانية بوجود الروم البيزنطيين, وبشكل تقريبي منذ القرن الثاني للميلاد في قرطاجنة عن طريق بعض القساوسة من اقباط مصر, الذين حاولوا الدعوة لها مبكرين[1].

وقد ذُكِر أنّه كان((بقرب ترشيش صومعة راهب, فكانت سرايا المسلمين تنزل بأزاء هذه الصومعة وتأنس بصوت الراهب, فيقولون هذه الصومعة تؤنس))[2] ومن خلال هذا النص يتبين أنّه كان هناك وجود للديانة النصرانية منذ بدايات الفتح الأولى للمنطقة. وأنّ طائفة من النصارى بقرطاجنة قد تحولت إلى مدينة تونس[3].

وقد تعجّب أحد المستشرقين من التسامح الديني الذي حظي به أهل الذمّة في العهد الفاطمي(296-362هـ/908-973م) قائلاً:((وقد أظهر خلفاء الفاطميين الأولون لأهل الذمّة تسامحاً نعجب له , إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثلهم))[4], وقد استدعى الفاطميون الذين كانوا متسامحين مع النصارى بعض الحرفيين النصارى[5], ويذكر أنّ العاملين بدار الطراز من الرقامين في عهد القائم بأمر الله الفاطمي (322-334هـ/934-945م) كانوا من النصارى قبل إسلامهم[6].

وقد تمتع النصارى في عهد بني زيري(362-554هـ/972-1159م)بالحرية والتسامح وممارسة شعائرهم الدينية, حتى أنّ بني زيري كانوا يستخدمون النصارى في قضاء مصالحهم, فكانوا يستحضرون منهم أهل الخبرة في تشييد قصورهم وأبنيتهم,

(1) ضيف , تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات,ص158.

(2) مجهول,الاستبصار,ص121؛ابن الشماع ,الأدلة البينة,ص37,ابن أبي دينار, المؤنس,ص8.

(3) ادريس , الدولة الصنهاجية,375/2.

(4) متز, آدم, الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري , نقله إلى العربية محمد عبدالوهاب أبو زيد, ط5, دار الكتاب العربي, بيروت (بلا. ت), 112/1.

(5) ادريس , الدولة الصنهاجية,378/2.

(6) الجوذري, ابو علي منصور (ت اواخر القرن الرابع الهجري),سيرة الأستاذ جوذر, تح محمد كامل حسين , مطبعة الإعتماد, مصر, 1984,ص126.

وكذلك كان بلاط بني زيري تكثر فيه الجواري النصرانيات, ومنهن أمهات بعض امرائهم, وحتى حاضنة الأمير باديس كانت من النصارى[1].

أمّا عن أحوال النصارى في العهد الموحدي, فإنّ الخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1104-1163م), وخلال دخوله لمدينة تونس كان قد خيّر النصارى بالدخول في الدين الإسلامي أو الموت[2], ويبدو أنّ هذا الإجراء كان لظروف خاصّة تمرّ بها الدولة, ممّا جعل أحد الباحثين المحدثين يقول:((فقد أعلنت الغزوة الموحدية عن نهاية وجود الجاليات المسيحية بأفريقية ولاسيما في مدينة تونس))[3], لكن هذا الإدعاء لا أساس له من الصحة فنجد النصارى ينعمون بالحرية في إقامة شعائرهم الدينية في العهد الحفصي, وأصبحت لهم كنائس لممارسة شعائرهم وقد عملوا في الدولة وكانوا ضمن مكونات المجتمع التونسي.

فقد ذُكِر عن وجود فندق للنصارى بمدينة تونس في العهد الحفصي, وسمح لهم بإقامة كنيسة في فندقهم هذا لإقامة شعائرهم الدينية, ممّا يدل على تسامح الدولة الحفصية معهم[4].

وقد دخل النصارى ضمن الجيش الحفصي, وسكن قسم من جند النصارى في ربض باب المنارة والذي يطلق عليه حي النصارى, وقد مُنِحت لهم امتيازات واسعة منها ممارسة شعائرهم الدينية, إذ كانت لهم كنيسة تسمّى كنيسة القديس فرانسوا, وهناك قسم آخر من النصارى يسكن الجانب البحري من مدينة تونس وتتألف من أصحاب المراكب والتجار ولهم فنادق يسكنونها[5]. وقد أكد هذا ليون الأفريقي[1] بقوله:((ويوجد

---

(1) ابن الخوجة, صفحات من تاريخ تونس ,ص224؛ عبدالوهاب ,حسن حسني, شهيرات التونسيات, ط2, مطبعة المنار , تونس ,1966, ص80-81.

(2) ابن الأثير , الكامل ,138/9؛ التجاني,رحلة التجاني,ص347؛النويري,نهاية الأرب,171/24.

(3) ادريس , الدولة الصنهاجية,377/2.

(4) الونشريسي, المعيار المعرب,215/2؛ البرزلي, فتاوى البرزلي,20/2.

(5) الدولاتلي, مدينة تونس, ص90-91.

في هذا الربض حارة تكون هي الأخرى شبه ربض صغير يسكنه نصارى تونس الذين يُستخدمون في حرس الملك أو يزاولون حرفاً لم يعتد المسلمون في ممارستها)).

وبطبيعة الحال فقد اخذت أعداد النصارى بالتزايد فقد ذُكِر((عن وجود ألف وخمسمائة فارس جلّهم من النصارى الذين اعتنقوا الإسلام)) [(2)], وقد استعمل بعض الامراء الحفصيين النصارى كحرّاس شخصيين لهم[(3)]. ويوجد ربض آخر خارج باب البحر, وفي هذا المكان توجد المخازن ودور التجار النصارى الذين يقصدون تونس للتجارة, ولا يزيد هذا الربض عن الثلاثمائة دار ثمّ أنّها من الدور الصغيرة[(4)]. وكان أحد النصارى واسمه يوسف الطبيب يعمل لدى الأمير الحفصي أبو العباس أحمد (772–796هـ/1370–1394م) ويعد من خواصّه, دخل الإسلام في الوقت نفسه[(5)]. وكذلك في زمن الامير أبو العباس أحمد, دخل الإسلام القسيس إنسلم نورميدا[(6)] الذي اشتهر بعد إسلامه بـ(عبدالله الترجمان) وحسُن إسلامه[(7)].

وقد استقدم السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839–893هـ/1435–1488م) كثيراً من النصارى بوصفهم أخواله وأسكنهم بالربض الملاصق للقصبة المعروف

---

(1) وصف أفريقيا, 74/2.

(2) ليون الأفريقي, وصف أفريقيا, 80/2.

(3) القلقشندي, صبح الأعشى ,138/5؛كربخال, مارمول, أفريقيا, ترجمه عن الفرنسية, محمد حجي وآخرون , مطابع المعارف الجديدة , الرباط, المغرب, 1989, 28/3.

(4) ليون الأفريقي, وصف أفريقيا, 74/2؛ كربخال, أفريقيا, 20/3.

(5) عبدالله الترجمان, تحفة الأريب, ص72.

(6) إنسلم نورميدا: قسيس اصله من جزيرة ميورقة إحدى جزر البليار شرق الأندلس, عندما أعلن إسلامه أمام الأمير ابو العباس أحمد سنة 759هـ, تم تخصيص مسكن خاص له, وزوّجه بابنة الحاج محمد الصفار وأنجبت له ولداً سماه محمد, صاحب كتاب تحفة الأريب في الرد على الصليب, عبدالله الترجمان , تحفة الأريب, ص 23 وص24وص 75 وص76 .

(7) عبدالله الترجمان , تحفة الأريب, ص75– 76؛ ابن أبي دينار , المؤنس,ص143.

بحومة العلوج[1], أو ربض النصارى[2], وكان قسم من أمهات أو زوجات الأمراء من النصارى, ودخلن في الإسلام, ومن بينهن والدة السلطان أبي عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) التي كان اسمها مارية قبل إسلامها فأصبح اسمها مريم بعد دخولها الاسلام[3]. وفي ظل الدولة الحفصية كانت الهدايا تتم بين الأمراء الحفصيين وملوك النصارى[4]. هذا وقد اندمج النصارى ضمن المجتمع التونسي فأصبحوا من ضمن مكونات المجتمع.

ز - الأندلـــــــــسيون:

شهدت مدينة تونس هجرة أعداد كبيرة من أهل الاندلس إليها وعبر مرحلتين, الأولى كانت في النصف الأول من القرن السابع الهجري(الثالث عشر الميلادي) بعد سقوط المدن الأندلسية, قرطبة 633هـ/1236م , بلنسية636هـ/1239م , جيان643هـ/1245م, أشبيلية 646هـ/1248م.

أمّا المرحلة الثانية فكانت بعد سقوط مملكة غرناطة 897هـ/1492م وأصبح هؤلاء الأندلسيون يشكلون جالية مهمة ضمن سكان مدينة تونس, منهم الادباء وأصحاب الحرف والتجار وغيرهم, واتخذ الأندلسيون لنفسهم حيّاً خاصاً بهم في الناحية الشمالية الشرقية لمدينة تونس[5]. كان عدد النازحين من الأندلس إلى مدينة تونس قليلاً في بداية الأمر, لكن

---

(1) الباجي, الخلاصة النقية, ص83؛ ابن عامر, الدولة الحفصية,ص86؛عبدالوهاب,خلاصة تاريخ تونس ,ص126.

(2) برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 477/1.

(3) الباجي, الخلاصة النقية, ص83؛ ابن عامر, الدولة الحفصية, ص86؛ عبدالوهاب,خلاصة تاريخ تونس, ص123.

(4) الزركشي, تاريخ الدولتين , ص120وص123 .

(5) الدولاتلي, مدينة تونس في العصر الحفصي, ص89.

سرعان ما اخذ هذا العدد بالتزايد ولا سيما بعد سقوط أشبيلية سنة 646هـ/1248م[1].

وقد كان المهاجرون من العائلات الغنية استقرّوا في مدينة تونس وتمكنوا في وقت قصير من التأقلم مع الوضع الجديد, وأناطت بهم الدولة الحفصية المناصب الكبيرة[2]. وقد سكن العلماء والأغنياء وأصحاب المهن الذين استقروا في مدينة تونس وأصبحت لهم أحياء خاصّة بهم مثل((حومة الأندلس قرب الحلفاوين وزقاق الأندلس في المدينة))[3].

وخلال وصفه لمدينة تونس فقد ذكر ابن الشماع[4] انه:((هاجر إليها أهل الأقطار من الأندلس... فكثر خلقها ورغب الناس في سكناها واحدث فيها المباني)), في حين ذهب قسم من الأندلسيين إلى القرى التونسية الأخرى وعمروها, ممّا جعل أحد المؤرخين يقول :((وقد عمّروا قراها الخالية))[5], وقد خرجت أعداد كبيرة إلى تونس.

وقد وصف المقري[6] هجرة الأندلسيين قائلاً:((فخرجت إلوف بفاس وإلوف أُخر بتلمسان من وهران, وجمهورهم خرج بتونس)). من خلال هذا النص تبين أنّ نصيب مدينة تونس من المهاجرين الأندلسيين كان كبيراً جداً, لأنّها كانت هي حاضرة الدولة.

لقد كان للاندلسيين أثر كبير في نهضة وتطور مدينة تونس من كل النواحي لأنّ هجرة أهل الأندلس ضمت كل أصحاب المهن والحِرف وضمت العلماء والفقهاء

---

(1) عبدالوهاب , ورقات, 264/3.

(2)ابن القنفذ , الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية, ص 127؛ الزركشي, تاريخ الدولتين , ص28؛ عبدالوهاب , ورقات, 264/3.

(3) عبدالوهاب , ورقات, 265/3.

(4) ابن الشماع, الأدلة البينة, ص36.

(5) رزوق, محمد, الأندلس وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17, ط3, مطابع أفريقيا الشرق,1988, ص129.

(6) أحمد بن محمد , التلمساني (ت1041هـ), نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب, تح، إحسان عباس, دار صادر, بيروت , 1968, 528/4.

والادباء[1]. نذكر منهم ابن الأبار[2] ، إبن سيد الناس [3] ، إبن الغمّاز[4] ، الوادي آشي[5] . وقد أصبح للأندلسيين دوراً كبيراً إذ استعملهم الحفصيين في تدبير امور الدولة ، وايضاً للحد من نفوذ شيوخ الموحدين وأصبحوا من اهل الشورى .

ح – الأقباط ومسلمو صقلية :

---

(1) ابن رشيد, أبي عبدالله محمد بن عمر(ت821هـ), ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة, تح محمد الحبيب ابن الخوجة, الدار التونسية للنشر, تونس , 1982 , 2/83-84.

(2) ابن الأبار:هو محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن عبد الرحمن المعروف بابن الأبار القضاعي, البلنسي, نزل تونس, الحافظ المحدث الأديب, الكاتب المؤرخ الشاعر, له تآليف كثيرة , ولد في بلنسية , سنة595 هـ وكانت وفاته في تونس سنة 658هـ, محفوظ, محمد ،تراجم المؤلفين التونسيين, ط2, دار الغرب الإسلامي , بيروت, 1994, 12/1.

(3) ابن سيد الناس:هو محمد بن أحمد بن عبدالله بن يحيى ويعرف بابن سيد الناس اليعمري, أصله من بلدة أبدة من كورة جيان, درسَ الحديث في تونس, وأُقرِأَ فيها صحيح البخاري ومسلم, توفي في تونس في 23/جمادي الآخرة/659هـ . عبدالوهاب, كتاب العمر, 304/1-307.

(4) ابن االغمّاز:وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن الغمّاز الأنصاري(ت693هـ), ابن الغمّاز هذا من أهل بلنسية, اسندت إليه مهمّة القضاء في مدينة تونس. الغبريني, أبو العباس (714هـ), عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية, تح عادل نويهض, ط2, نشر دار الافاق الجديدة, بيروت, 1979, ص119-121.

(5) الوادي آشي:هو محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن ابراهيم بن حسان القيسي, المشهور الوادي آشي أبو عبدالله, أصل بيته من قرية وادي آش, انتقل أسلافه في القرن السابع الهجري إلى تونس وبها وُلِدَ, كان من مشاهير القرّاء والمحدّثين, توفي بمدينة تونس سنة 749هـ. عبدالوهاب, كتاب العمر, 319/1-320.

من بين عناصر السكان الأخرى التي سكنت مدينة تونس, الأقباط والتي تم ذكرها في المصادر من خلال طلب الخليفة عبدالملك بن مروان(65-86هـ / 684-706م) إلى أخيه عبد العزيز بن مروان والي مصر أنْ ((يوجه إلى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده ويحملهم من مصر ويحسن عدّتهم حتى يصلوا إلى ترشيش وهي تونس, وكتب إلى ابن النعمان يأمره أنْ يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدّة للمسلمين إلى آخر الدهر))[1] فيما ذَكَر آخرون بأنّ عدد الاقباط الذين تم ترحيلهم من مصر إلى تونس بأنّها ألف قبطي وألف قبطيّة[2], بينما ذَكَر أحد المؤرخين المحدثين بأنّها ألف عائلة قبطيّة[3].

ومهما يكن من إختلاف في أعداد الأقباط الذين وصلوا إلى تونس, فمن الطبيعي أنْ تكون عوائلهم معهم, وعلى الرغم من أنّ هذه الأعداد كبيرة بالنسبة إلى مدينة في بداية تأسيسها,((فوصل القبط إلى حسان وهو مقيم بتونس))[4], لكن أحد الرحّالة بيّن تفاصيل أكثر بعد وصولهم قائلاً: ((فلمّا وصلوا إلى حسان أثبت كثيراً منهم في رادس وفرّق باقيهم إلى مراسي أفريقية))[5]، من خلال هذا النص يتبيّن بأنّ حسان بن النعمان أبقى قسم منهم في مرسى رادس بتونس ووزع الأقباط الآخرين على مراسي أفريقية.

وكان استخدام الأقباط كأيدي عاملة إذ كانت لهم خبرة في صناعة السفن والمراكب ممّا جعل حسان بن النعمان يستعين بهم في هذا الجانب, لأنّ العرب المسلمين لم تكن لهم الخبرة الكافية بعد في هذا المجال[6].

أمّا العنصر السكاني الآخر فهم مسلموا صقلية, فيبدو أنّ هجرة الصقليين كانت

---

(1) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص38 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس، ص12 .

(2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص50؛ التجاني، رحلة التجاني، ص6 .

(3) عبد الوهاب ، ورقات ، 250/3 .

(4) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص38 .

(5) التجاني، رحلة التجاني، ص6 .

(6) فنطر, الحضارة الإسلامية في تونس, ص105-106.

فردية إلى مدينة تونس, فقد هاجر من صقلية إلى مدينة تونس لقمان بن يوسف الغساني(319هـ/931م) واستقر بها[1].

إلا أنْ حدثت هجرة جماعية من صقلية إلى تونس ((بنزوح مسلمي صقلية إلى تونس بعد أن استولى على هذه الجزيرة الحكام النورمنديون 484هـ/1091م ويقدر عدد النازحين بحوالي العشرين أو الثلاثين ألفاً, وقد استقرّ أغلبهم في المدن الواقعة في الساحل التونسي))[2], ويبدو أنّ قسماً من هذه الأعداد قد استقرّ بمدينة تونس, ومنهم العالم المحدّث عمر بن خلف بن مكي الصقلي(ت501هـ/1107م), الذي تولّى القضاء بها في عهد بني خراسان[3].

وقد عاشت كل هذه الشرائح في مدينة تونس متجانسة فيما بينها, أدّت في النهاية إلى أنْ تكون هذه المدينة من المدن المتطورة وأصبحت في حقبة من الزمن حاضرة للخلافة الإسلامية.

---

(1) القاضي عياض, ترتيب المدارك, 296/5.

(2) عبدالوهاب , ورقات, 256/3.

(3) القفطي, إنباه الرواة, 329/2؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي, الأعلام, ط15, دار العلم للملايين ,2002, 46/5؛ عبدالوهاب, حسن حسني, الإمام المازري, دار الكتب الشرقية, تونس, 1955, ص90.

المبحث الثاني : دور الفقهاء والقضاة في الحياة الأجتماعية:

إحتل الفقهاء والقضاة مكانة كبيرة في المجتمع العربي الإسلامي ونالوا تقدير شرائح المجتمع المختلفة بكونهم منارات فكرية يلجأ إليها أبناء المدينة, وممّا زاد في مكانتهم هذه زهدهم في الدنيا, وجعلهم هذا أقرب إلى نفوس العامّة من غيرهم(1), فذُكِر أنّ أبا عمرو هاشم بن مسرور صاحب الفرن(ت307هـ/916م) كان مشهوراً بالخير كثير الصدقة يتصدق على الفقراء والمحتاجين بالمال الكبير ويفك السبايا كسبي تونس ويزوّدهم من ماله, وكان صالحاً فاضلاً((أنّه ربّما أُخرج له الخبز من الفرن فإذا نظر إليه وأعجبه طيبه أمرهم أن يعطوه للفقراء, فإذا جاء المشترون قال لهم: بعناه من يوفينا ثمّ يبعث به إلى الفقراء))(2).

لم يكن الفقهاء والعلماء بمعزل عن الناس, فقد تبؤا مكانة مرموقة بين شرائح المجتمع, وأصبحوا بمثابة زعامات شعبية يلتف حولهم الناس ويسمعون إلى أرشادهم ونصحهم, بل وشاركوا في حلّ المشكلات اليومية(3). وقد كان الفقيه عبدالله بن أحمد بن إبراهيم الأبياني(ت352هـ/962م) كثير التواضع, إذا قيل له يا فقيه: يجيب لقب لُقبناهُ, وكان يستشيرهُ الناس إذا نزلت بهم مشكلة, استدعاه الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م) وعرض عليه القضاء فامتنع منه(4).

وبعد غزو قبائل بني هلال وبني سليم إلى أفريقية والتي على أثرها حصلت اضطرابات بالاوضاع العامّة في شمال أفريقية عامّة ومدينة تونس على وجه الخصوص, ففي سنة 450هـ/1058م ذهب وفد من شيوخ مدينة تونس إلى قلعة بني حماد ليطلبوا من واليها الناصر بن علناس تقديم والِ من قبله, وتمَّ تولّية عبدالحق بن

(1) المالكي, رياض النفوس, 76/1؛ حسن, حسن علي, الحياة الدينية بالمغرب, دار النصر للطباعة, مصر, 1985, ص241.

(2) المالكي , رياض النفوس, 144/2.

(3) الدباغ, معالم الإيمان , 193/1؛ حسن , الحياة الدينية بالمغرب,ص241.

(4) عبدالوهاب , كتاب العمر, 637/2-638.

عبدالعزيز بن خراسان على مدينة تونس وكانوا يعتمدون على الفقهاء في الحكم[1].

وخلال حصار الموحدين لمدينة تونس سنة 554هـ/1159م,[2] كان لشيوخ وفقهاء المدينة دور كبير في تسليم المدينة بدون قتال لأنّهم وجدوا قوّة الموحدين وإصرارهم على دخول المدينة, فهذا يؤدي إلى خسائر كبيرة من أهل المدينة, ((وعاين أهل تونس أمراً عظيماً وأيقنوا بالهلاك))[3] وعملوا على إجراء مفاوضات مع الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (487-558هـ/1194-1163م) وفق شروط لدخول المدينة[4].

وقد ذُكِر عن الفقيه أبو عبدالله محمد بن عبدالجبار الرعيني(ت 661هـ/1264م) انه كان حسن الواسطة قاضياً لحاجات الناس, مقبول القول عند السلاطين, وذُكِر في حقه إنّ أحب الأشياء إليه المشي في حاجة الطالب على رجليه, وكانت له حركة في مشيهِ يعرف من خلالها إذا خرجَ مقضي الحاجة ((وتنحلّ تحريمته حتى تنجرّ, فيعرف من يعتادهُ من تلك الحركة سرورهِ بقضاء الحاجة)) [5].

وأثناء محاولة الصليبيين احتلال تونس (668-669هـ/1270-1271م) خرجَ الصلحاء والفقهاء لمباشرة الجهاد بأنفسهم للدفاع عن تونس خلال الغزو الصليبي[6], وعندما وقع الصلح بين المسلمين والصليبيين سنة 669هـ/1271م تولّى عقد ومكاتبة الصلح القاضي ابن زيتون(ت691هـ/1292م) وحضر معه ابو الحسن علي بن عمرو والقاضي أحمد بن الغمّاز (ت693هـ/1294م) [7].

وعندما تعرضت مدينة تونس إلى وباء الطاعون سنة 749هـ/1348م لم يبرح الفقهاء والقضاة المدينة, بل كانوا موجودين مع أهلها, فقد توفى نتيجة هذا الوباء الفقيه

---

(1) ابن خلدون, التاريخ, 160/6؛ ادريس, الدولة الصنهاجية, 313/1-314.

(2) ابن الشماع, الأدلة البينة , ص37.

(3) التجاني, رحلة التجاني , ص345؛ الوزير السراج, الحلل السندسية, ص250.

(4) مجهول, الحلل الموشية, ص153؛ الوزير السراج, الحلل السندسية, ص250.

(5) ابن القنفذ, الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية, ص126.

(6) ابن خلدون, التاريخ, 318/6.

(7) ابن خلدون, التاريخ, 318/6؛ عبدالوهاب, كتاب العمر , 715/2.

القاضي أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام الهواري (ت749هـ/1348م) والفقيه المفتي أبو عبدالله محمد بن هارون (ت749هـ/1348م)[1] ، اما في الوباء الذي حدث سنة (847هـ/1443م) توفي قاضي الجماعة بتونس الفقية ابو حفص عمر القلجاني[2] .

وقد ذُكِر أنّ قاضي الجماعة محمد بن عبدالسلام الهواري كان قائماً بالحق, شديداً على الولاة, لا تاخذه في الحق لومة لائم[3]. ومن جانب اخر كان الاغنياء من الفقهاء والقضاة يتصدقون على الفقراء والمساكين, كما فعل الفقيه ابن عرفه(ت748هـ/1347م) إذ كان ((يبالغ في برهم والاحسان إليهم وقضاء حوائجهم))[4]

وخلاصة القول فقد كان الفقهاء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر, ويقدمون النصح والارشاد لأهل المدينة ولهم دور كبير في نشر العلم والمعرفة.

المبحث الثالث : دور المرأة في الأسرة والمجتمع :

تتمتع المرأة بكل حقوقها وتحظى باحترام كبير, إذ أنّها أساس الأسرة, وقد أيد

(1) ابن قنفذ, أبي العباس أحمد(ت810هـ), الوفيات, تح عادل نويهض, ط4, دار الآفاق الجديدة, بيروت, 1983, ص354.

(2) الزركشي, تاريخ الدولتين, ص141.

(3) ابن فرحون, برهان الدين(ت799هـ), الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب, تح محمد الأحمدي أبو النور, دار التراث للطبع والنشر, القاهرة, (بلا. ت), 2/329-330.

(4) ابن فرحون, الديباج المذهب, 2/332.

الإسلام حقوق المرأة في مجتمع عرب المغرب[1], وإنّ من واجباتها إدارة شؤونها المنزلية على الوجهة الصحيحة, وتقضي المرأة أوقات فراغها في بيتها بما من شأنه تحسين حالة الأسرة, وإذا ما انتهى الرجل من عمله رجع إلى منزله إذ يجد زوجته قد هيأت له ما يحتاجهُ ويتناول ما تيسر له من الطعام[2].

وعندما تنتهي المرأة من اداء واجباتها تجاه الأسرة تقوم بالأعمال اليدوية, كغزل الصوف والقطن ونسج البسط أو حياكة ثياب الأسرة, ونساء تونس يتقن الغزل غاية الاتقان, فتجلس المرأة في مكان مرتفع ((ويرخين الغزل كثيراً إلى أسفل, يقعدن مثلاً في نافذة ويتركن المغزل ينزل إلى ساحة الدار, أو ينزل من ثقب السقف بين طابق وآخر, فيتكون الخيط بواسطة ثقل المغزل, ويأتي جيد الأنبساط و الفتل منتظم الغلظ))[3] ولم يقتصر الأمر على هذا وإنّما كانت بعض النساء تقوم بأعمال أخرى منها بيع الزيتون عند باب الدار[4]. وكذلك تعمل بعض النساء مرضعة بأجر عند الناس الأثرياء[5]. على ما كان عليه الحال في مكة المكرمة عند ظهور الاسلام .

كان لبعض النساء دور في الجانب السياسي, فبعد وفاة الأمير باديس بن المنصور سنة 406هـ/1015م تولّى من بعده المعز بن باديس (407-454هـ/1016-1062م) ولاية أفريقية وكان له من العمر تسع سنوات, أقاموا عمّته أمّ ملال وصيّة عليه إلى أنْ يبلغ سنَّ الرشد, وتصرّفت في شؤون ولاية أفريقية بتدبير حسن ورأي ثاقب, وكان لها الدور الكبير في إعداد وتهيئة الامير المعز بن باديس وتوفيت أمّ ملال سنة 414هـ/1015م فصلّى عليها الأمير المعز بن باديس وأقام لها

---

(1) دبوز, تاريخ المغرب الكبير, 73/2.

(2) عبدالوهاب, حسن حسني, بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق, ط2, مطبعة المنار, تونس, 1970,ص39.

(3) ليون الأفريقي, وصف أفريقيا, 74/2-75.

(4) الونشريسي, المعيار المعرب, 78/6.

(5) الونشريسي, المعيار المعرب,93/4-94.

جنازة عظيمة[1].

وفي سنة 425هـ/1024م أصاب أفريقية وباءاً كبيراً أصاب الحواضر والبوادي وحصل معه فناء كبير في السكان, فكان من جميل عمل أمّ يوسف (زوجة المعز بن باديس أمّ يوسف زليخا) وكرم خصالها أنّ تصدقت على موتى الفقراء والمحتاجين بستين ألف كفن أحتساباً لوجه الله تعالى[2]. ويبدو ان هذا العدد كبير ، لكن على أية حال كان لها دور كبير في أعمال الخير .

وكان للأميرات الحفصيات الدور الكبير في تشييد الجوامع والمدارس ممّا كان له الأثر الكبير في المدينة, فقد قامت الأميرة عطف في عهد ابنها الأمير أبي عبدالله محمد المستنصر(647-675هـ/1249-1277م) ببناء جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية في سنة 650هـ ورتّبت مصالحها لوجه الله تعالى[3]. والتي ذَكَرها الشاعر التونسي محمد الشاذلي بقوله[4]:

إنْ غـاب شخصـك يـاإذات الجـلال فمـا
غابـــت مـــأثر البيضـــا أياديهـــا
فــي تـونس ظهـرت أولـى المـدارس عـن
يـــديك تســـتمطر الـــرحمن لبانيهـــا

كما أسست الأميرة فاطمة شقيقة الأمير أبي بكر بن أبي زكريا المدرسة العنقية سنة 742هـ/1344م على نفقتها الخاصّة[5]. وتم تجهيزها بالأوقاف الطائلة وخزائن

---

(1) ابن عذاري, البيان المغرب, 267/1-272؛ ادريس, الدولة الصنهاجية, 167/1؛عبدالوهاب, ، شهيرات التونسيات , ص74-75.
(2) ادريس, الدولة الصنهاجية,171/1-172.
(3) ابن الشمّاع, الأدلة البينة, ص63؛ ابن أبي دينار, المؤنس, ص127-128؛ عبدالوهاب, شهيرات التونسيات, ص105-106.
(4) ابن عامر, الدولة الحفصية, ص85.
(5) الزركشي, تاريخ الدولتين, ص71وص77؛ ابن عامر, الدولة الحفصية,ص86.

الكتب الضخمة[1]. وكان لهاتين المدرستين مع المدارس الأخرى أثر كبير في نشر الثقافة والعلوم في مدينة تونس.

ونتيجة لهجرة العوائل الأندلسية إلى مدينة تونس, فقد تعلّمت المرأة التونسية من نساء مهاجري الأندلس تدبير الشؤون المنزلية, وكيفية إعداد كثير من أنواع الأطعمة[2].

المبحث الرابع : مظاهر الحياة الأجتماعية في مدينة تونس :

اولاً : الســـــكن والبيوت:

(1) عبدالوهاب, شهيرات التونسيات, ص98.

(2) ابن عامر, الدولة الحفصية, ص87.

ذُكِر أنّ بناء مدينة تونس في بداية الأمر كان من انقاض مدينة قرطاجنة[1], وقد اجتمع الناس إليها وبنو وسكنوا حتى صارت مدينة وعمّرت[2]. وإنّ جميع البناء كان من الحجر والآجر وأبنيتها مسقّفة بالأخشاب[3], وتفرش ديار أكابرها بالرخام[4]. ((والرخام بها كثير, وأكثر أبواب ديارها معمول به عضائد وعتباً)) [5], وأبواب المنازل الموجودة في مدينة تونس مطوّقة بالرخام[6], الأبيض[7]. وقد كانت الديار التونسية مربّعة الشكل, تشتمل أغلبها على طابق واحد, وتفتح غرفها على ساحة داخلية مبلّطة وهي مغطاة بسطح[8]. أمّا النوافذ فلا تكون عالية بحيث يستطيع الجالس داخل الغرفة مشاهدة ما يجري خارجها بواسطة النافذتين الصغيرتين[9].

وكان فقهاء تونس يمنعون بعض الصناعات التي تشكل ضرراً على الآخرين من استعمالها في البيوت من أجل المحافظة على نظافة المدينة ومنها الدباغة[10]. وأغلب المنازل ليس بها سوى طابق أرضي, ومدخلها جميل ذو بابين أولهما يفضي إلى الخارج والآخر يتصل بالمسكن, ويرقى إليه بسلم من بضع درجات, ويتنافس السكان

---

(1) ياقوت الحموي, معجم البلدان, 62/2؛ ابن عبد الحق , مراصد الأطلاع, 282/1.

(2) الحميري, الروض المعطار, ص143.

(3) ابن فضل الله العمري, مسالك الأبصار, 89/4؛ القلقشندي, صبح الأعشى, 102/5؛ كربخال, أفريقيا, 22/3.

(4) القلقشندي, صبح الأعشى, 102/5.

(5) مجهول, الأستبصار, ص120؛ العبدري, رحلة العبدري, ص110.

(6) البكري, المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب, ص40.

(7) مجهول, الأستبصار, ص120؛ الحميري, الروض المعطار, ص143.

(8) برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 296/2.

(9) الدولاتلي, مدينة تونس , ص208.

(10) ابن الرامي , أبي عبدالله محمد بن إبراهيم اللخمي(ت بعد 733هـ), الإعلان بأحكام البنيان, تح فريد بن سليمان , المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية , 1999, الاعلان بأحكام البنيان, ص60.

في تجميل مداخل بيوتهم لتكون أكثر أناقة وزخرفة[1].

وقد ازدادت الزخرفة الداخلية للبيوت وذلك لأنَّ المهاجرين الأندلسيين قد جلبوا معهم تقنيات البناء المتقنة. وكان لهم دور كبير في هذا المجال حيث يظهر التأثير الأندلسي واضحاً[2]. والسقوف مزدانة بالفسيفساء والجص بطريقة فنيّة عجيبة ومصبوغة بألوان زاهية, وأمّا الحجرات فإنّها مبلطة بمربعات لمّاعة ذات لون فاتح, وكذلك ساحة الدار مبلطة[3].

لقد كانت حركة البناء نشطة في مدينة تونس, وبسبب هجرة أهل الأندلس إلى المدينة, فقد ازداد عدد سكان المدينة, مما أدى إلى زيادة عدد المنازل في مدينة تونس, إذ يُذكر أنّه في سنة 772هـ /1370م كان عدد البيوت نحو سبعة آلاف دار,[4] في حين يَذْكر أحد المؤرخين أنّ مجموع ما في تونس وارباضها من الدور السكنية يزيد عن العشرين ألف دار[5]. وقد أحدث فيها المسلمون البنيان[6].

ويصفها أحد المؤرخين بقوله:((وبها مبان عجيبة)) [7], وبمرور الزمن ((كثر خلقها واتسع بشرها ورغب الناس في سكناها وأحدثوا بها المباني)) [8],

ومعظم الديار حسنة المنظر[9], ويصفها العبدري[10] بقوله:((فاقت بحسن مغانيها

---

(1) ليون الأفريقي , وصف أفريقيا, 77/2.

(2) ابن فضل الله العمري , مسالك الأبصار, 98/4؛ برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 296/2.

(3) ليون الأفريقي , وصف أفريقيا, 77/2.

(4) ابن الشمّاع, الأدلة البينة, ص105؛ ابن الخوجة , تاريخ معالم التوحيد هامش 1,ص124.

(5) كربخال , أفريقيا, 20/3.

(6) ابن حوقل, صورة الأرض, ص75.

(7) مجهول , الأستبصار, ص120.

(8) ابن الشمّاع, الأدلة البينة, ص36؛ الحميري, الروض المعطار, ص143.

(9) ليون الأفريقي , وصف أفريقيا, 77/2.

(10) رحلة العبدري, ص109.

واتقان مبانيها غيرها من المدن)).

ثانياً : مياه الـــــشرب:

تعد مياه الأمطار من المصادر الرئيسة لشرب سكان مدينة تونس, وخلال وصفه لمدينة تونس قال العبدري[1]:((ولو اتفق أنّ بها ماء جارٍ لكانت معدومة النظر شرقاً وغرباً, ولكن ماؤها قليل وفي ديارها مصانع لماء المطر, وهو المستعمل عندهم)), وأهم موارد سكانها المائية تتمثّل في المواجل والآبار, وتوجد بئر عذبة غزيرة تُعرف ببئر أبي القفار قرب باب السقائين وهي بئر كبيرة عذبة الماء[2].

ويذكر الأدريسي[3] خلال وصفه لمدينة تونس قائلاً:((وشَرِب أهلها من آبار شتّى لكن أعظمها قدراً وأحلاها ماء بئران احتفرتهما بعض سيدات الاسلام ابتغاء الثواب, وهما في نهاية من سعة القدر وكثرة الماء)), لكن دون تحديد مواقع هذه الآبار وتسميتها. وفي حين يذكر أحد المؤرخين عن وجود بئر اسمه بئر طيبان ويعتبر هذا البئر من أشهر آبار مدينة تونس[4]. وكذلك إعتمادهم على المصانع التي يجتمع فيها ماء المطر[5], في حين يذكر ياقوت الحموي[6] خلال وصفه مدينة تونس أنّها:((ليس بها ماء جارٍ إنّما شربهم من آبار ومصانع يجتمع فيها ماء المطر, في كلِّ دار مصنع , وآبارها خارج الديار في أطراف البلد)).

أمّا عن حاجة السكان إلى استخدامات الماء للأغراض الأخرى, فقد ذَكَر ((

---

(1) أبي عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن مسعود(ت بعد 700هـ), رحلة العبدري , تح ، علي إبراهيم كردي, ط2, دار سعد الدين للطباعة, دمشق, 2005, ص110.

(2) البكري, المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب, ص40.

(3) وصف أفريقيا الشمالية, ص81.

(4) ابن فضل الله العمري , مسالك الأبصار , 90/4.

(5) العبدري , رحلة العبدري , ص110؛ ابن عبد الحق , مراصد الأطلاع, 282/1.

(6) معجم البلدان , 60/2.

وببيوتها صهاريج يجمع فيها ماء المطر لغسل القماش ونحوه)) [1], وقد كانت بعض بيوت أهل تونس تحتوي على بئر داخل البيت[2].

ممّا يدل على مدى اهتمام السلطة بتوفير المياه إلى المدينة وسكانها, قام الخليفة أبو عبدالله المستنصر (647-675هـ/1249-1277م) بإصلاح الحنايا الرومانية القديمة وأوصل الماء إلى جامع الزيتونة في تونس[3], وفي هذا قال أحد الرحّالة:((وأمّا الساقية المجلوبة من ناحية زغوان, فقد استأثر بها السلطان وجنانه إلا رشحاً يسيراً سُرِّب إلى ساقية جامع الزيتونة, يتسرّب منها في أنابيب من رصاص ويستقي منها الغرباء ومن ليس في داره ماء, ويكثر عليها الأزدحام)) [4].

ومن أعمال السلطان أبو فارس عبدالعزيز (796-837هـ/1394-1434م) في هذا المجال, بناؤهُ للماجل الذي يوجد بمصلّى العيدين في مدينة تونس وأخرج منه سبيلين أحدهما لشرب الناس العطشى والآخر ورد لمن يردهُ بقربة ونحو ذلك[5]. ويوجد في ضواحي مدينة تونس بئر صالح للشرب فيه شيء من الملوحة, يخرج إليه السقاؤون بدوابهم وقِرَبِهم, فيملؤون هذه القِرَب من هذا البئر ويذهبون بها إلى المدينة لبيعها على الناس, ويشرب الأهالي منه لأنّه أنقى من ماء الصهاريج[6].

ثالثاً : طعام أهل تونس:

يبدو أنّ غالبية الأطعمة المعروفة آنذاك كانت بسيطة ولم تكن متنوعة ولا سيما

(1) ابن فضل الله العمري , مسالك الأبصار, 90/4؛ القلقشندي, صبح الأعشى, 102/5.

(2) ابن الرامي, الإعلان بأحكام البنيان , ص60؛ ابن عامر , الدولة الحفصية, ص76.

(3) ابن الشمّاع , الأدلة البينة, ص67-68؛ الزركشي , تاريخ الدولتين , ص38.

(4) العبدري , رحلة العبدري, ص110.

(5) عبدالله الترجمان , تحفة الأريب, ص86؛ الزركشي, تاريخ الدولتين , ص116.

(6) ليون الأفريقي, وصف أفريقيا , 76/2؛ كربخال , أفريقيا, 21/3-22.

عند المقاتلة المسلمين في مدّة تحرير المغرب العربي, ويتميز أهل تونس بطعامهم المعروف (الكسكسي) وهو طعام يصنع من السميد المطبوخ بالبخار ويسقى فيما بعد بالحليب والسمن أو المرق ويضاف له اللحم في بعض الأحيان[1].

وقد عرف أهل تونس طعاماً آخر يسمّى(بيسارا) وهي تتكون من فول مقشّر يطبخ جيداً ثمَّ يعصر بواسطة ملعقة خشبية ثمَّ يضاف له كثير من الأفاوية والأبزار, وتغرف بعدها في صحن ويوضع على سطح ليتجمد[2]. وأمّا البسيس وهو دقيق الشعير الممزوج بكمية قليلة من الماء ويضاف له الزيت أو عصير البرتقال أو الليمون ويحتسون هذا العجين نيّئاً, وهناك سوق خاص لا يباع فيه سوى دقيق الشعير لصنع البسيس[3]. ولهم طعام آخر يسمى البازين, ويصنع من عجين خفيف ويطبخ في الماء, فإذا نضج عجن في إناء وجمع في وسطه ثمَّ يضاف إليه الزيت أو مرق اللحم[4].

والخبز الذي يؤكل في مدينة تونس أبيض جيد لأنّه مصنوع من لباب الدقيق ويعاد طحنه مرّة ثانية في إرحاء تدار باليد وبذلك يأتي منه خبز في غاية الجودة, ويعتبر الأكل العادي لكل فرد على درجة من اليسر, أمّا عامّة الناس فأكلهم من دقيق الشعير يعجن ويطبخ في الماء ويعمل في قدور ويتناوله بعد غمسه في الزيت أو السمن[5].

وقد تعجّب الإدريسي[6] بخبز مدينة تونس بقوله:((ويعمل بها من الخبز وأنواعه مالا يمكن عمله في غيرها من البلاد)), ويتناول أهل تونس التمر وفي هذا يذْكر الزهري[7]:((وينتهي التمر عندهم إلى أكثر من عشرة أجناس لا يشبه بعضه بعضاً لا

---

(1) برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 283/2؛ دبوز, تاريخ المغرب الكبير, 46/1.

(2) المالكي, رياض النفوس, 32/2 والهامش 71 من نفس الصفحة.

(3) ليون الأفريقي, وصف أفريقيا, 76/2؛ كربخال, أفريقيا ,21/3.

(4) ليون الأفريقي, وصف أفريقيا, 76/2؛ برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 284/2.

(5) كربخال, أفريقيا ,21/3.

(6) وصف أفريقيا الشمالية, ص 81.

(7) ابو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت556هـ)، كتاب الجغرافية,تح محمد الحاج صادق ، دمشق 1968 ، ص107.

في النعت ولا في الطعم, وهو أكثر طعامهم)), أمّا ما يخص الحلوى فكانت تصنع عندهم الغسانية من السميد والعسل والزعفران, وكذلك أنواع من الكعك[1].

رابعاً : الملابـــــس:

ظلّ اللباس المميز والمحبب في أفريقية لكل الطبقات يسمّى (البرنس) وهو معطف متصل بغطاء على الرأس[2], ويصنع من القماش الخشن أو الرقيق وله ألوان مختلفة[3]. ولباس عامّة أهل أفريقية من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن الأقبية ومن الثياب القطن فمن لبس غير هذا ممّا يجلب من طرائف الأسكندرية والعراق وكان نادراً شاذاً[4].

(1) ادريس , الدولة الصنهاجية, 200/2.

(2) الدولاتلي, مدينة تونس , ص69.

(3) برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 291/2.

(4) القلقشندي, صبح الأعشى, 143/5.

ومهما يكن من أمر فإنّ لباس الصوف كان لباساً عامّاً شاع استعماله في المغرب الأدنى إذ ارتداه القادة والأمراء, وكان أبو يزيد مخلّد بن كيداد حين قام بثورته ضدّ الفاطميين كان يلبس((جبّة صوف قصيرة)) [1], وعلى رأسه قلنسوة صوف[2], وكان المولى أبو زكريا يحيى (625-647هـ / 1228 -1249م) مختصراً في ثيابه كثيراً ممّا يلبس جبّة صوف وحزام صوف[3], وخلال حديثه عن مدينة تونس يذكرالقلقشندي[4]:((وبها يعمل القماش الأفريقي, وهو ثياب رفاع من القطن والكتان معاً ومن الكتان وحدهُ, وهو امتع من النصافي البغدادي وأحسن, ومنه جُلّ كساوي أهل المغرب)), ويلبس أهل تونس ثياب الكتان التي تعمل في المدينة[5], والتي تضاهي ثياب الحرير ويصدّر منها إلى المناطق الأخرى[6]. ((وأهل تونس على جانب كبير من الطيبوبة واللياقة, يرتدي الصناع والتجار والفقهاء وجميع من يتقلد وظائف لباساً ممتازاً, ويضعون على رؤوسهم عمامة مكسوّة بقماش طويل)) [7], وعادة ما تكون العمامة من نفس الثوب الملبوس من حيث اللون حفاظاً على تناسق الألوان حسب ما ذكره ابن عذاري[8], وفي مدينة تونس تصنع تلك العمامات الرقيقة المسمّاة بالعمامة التونسية[9].

يصف لنا أحد المؤرخين لبس السلطان بقوله:((له عمامة كبيرة من صوف وكان

---

(1) ابن الأثير , الكامل, 494/6.

(2) ابن أبي دينار , المؤنس, ص55.

(3) ابن الشمّاع , الأدلة البينة, ص65؛ الزركشي , تاريخ الدولتين, ص113-114 ويقول احراماً من الصوف.

(4) صبح الأعشى, 102/5.

(5) ابن القنفذ, أنس الفقير, ص68.

(6) الزهري, كتاب الجغرافيا , ص109.

(7) ليون الأفريقي , وصف أفريقيا, 75/2؛ ضيف , تاريخ الادب العربي عصر الدول والأمارات, ص152.

(8) البيان المغرب , 158/1.

(9) كربخال , أفريقيا, 21/3.

فيها طراز من حرير, ولا يتعمم أحد من أهل دولته قدرها قي الكبر, وذكر أنّ عذبة عمامته تكون خلف إذنه اليسرى, وإنّها مخصوصة به وبأقاربه, وله جباب يلبسها ولا يلبس هو ولا عامّة جنده وأشياخه خفّاً إلا في السفر, وغالب لبس أكابر مشايخه من قماش عندهم يسمّى السفساري, يعمل عندهم من حرير وقطن أو حرير وصوف رفيع جداً, وقماش يعرف بالتلمساني يعمل بتلمسان أمّا صوف خالص أو حرير خالص))[1]. والسلطان يمتاز بلبس الخزّ, ولونه لون الخضرة والسواد[2]. وينسج منه ثياب مختّمة وغير مختّمة, وهو أفخر ثياب السلطنة في تونس[3]. في حين كان الفقهاء يرتدون القميص والسروال, وهذا كان مقصوراً على الأشخاص ذوي المكانة المرموقة بالمجتمع[4], فضلاً عن عمامة كبيرة تكون أصغر حجماً من عمامة السلطان وجبّة من قماش الجوخ والصوف أو من الصوف والقطن معاً[5].

وأمّا رجال النصارى فلهم زيّ على رؤوسهم يلزمونه, وكانوا يلبسون المبطن[6], والبرنيطة[7], وقد ذُكِر بأنّه يوجد في تونس من يعمل بحرفة الخياطة[8].

أمّا بالنسبة إلى زيّ النساء, فقد ذُكر أنّ من أزياء النساء ثياب الحرير وملحفة القطن التي تلبس عادة في فصل الشتاء للوقاية من البرد[9], وكانت المرأة تلبس الخف والجوراب[10].

---

(1) القلقشندي, صبح الأعشى, 142/5.

(2) ابن فضل الله العمري , مسالك الأبصار, 98/4؛ القلقشندي, صبح الأعشى, 142/5.

(3) ابن فضل الله العمري , مسالك الأبصار, 98/4-99.

(4) برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 289/2.

(5) ابن فضل الله العمري , مسالك الأبصار, 99/4.

(6) البرزلي , فتاوى البرزلي, 44/2.

(7) ابن أبي دينار, المؤنس , ص159.

(8) ابن الشمّاع , الأدلة البينة , ص96.

(9) الونشريسي, المعيار المعرب , 100/3و249.

(10) الونشريسي, المعيار المعرب , 406/3.

وأورد ليون الأفريقي[1] في هذا الجانب قائلاً:((إنّ السيدات التونسيات يرتدين لباساً حسناً ويتأنقنَ في زينتهنَّ ويسترنَ وجوههنَّ عندما يخرجن بوضع خمار يدعى سفساري وعصابة عريضة جدّاً يعصبن بها جباههنَّ)), وتهتم المرأة التونسية بزينتها وعطرها حتى أنّ العطارين هم دائماً آخر من يغلقون دكاكينهم.[2] وكذلك تهتم المرأة التونسية بالمجوهرات والحلي التي كانت بسيطة جدّاً, ومنها الخواتم والخلاخيل والأقارط, والتي كان قسم منها مصنوعة من الذهب والأغلب مصنوع من الفضة[3].

وقد استعملت المرأة اليهودية في تونس الملابس المطرّزة بأشكال زخرفيّة[4]. وقد ذُكِر أنّ قسم من نساء النصارى كُنَّ يستترن كالمسلمات غالباً من غير علامة, وقسم آخر منهنَّ من يلتزم بزيِّ النصارى, وإنّ السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) عندما كان يستدعي زوجات جنوده النصارى للمناسبات العائلية كان يشترط عليهنَّ أنْ يأتينَ بلباس المسلمات[5]. لأنّ والدة السلطان أبو عمرو عثمان كانت من النصارى ودخلت الإسلام, علماً بأنّه أوّل من أسكن النصارى بالربض الملاصق للقصبة والذي عُرِف بحومة العلوج, وكذلك يعدون من أخوال هذا السلطان[6].

خامساً : الأعياد والأحتفالات:

(1) وصف أفريقيا, 78/2.

(2) ليون الأفريقي , وصف أفريقيا,78/2؛ كربخال , أفريقيا, 23/3.

(3) برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 294/2.

(4) بشير , اليهود في المغرب, ص123.

(5) البرزلي , فتاوى البرزلي, 44/2.

(6) ابن أبي دينار , المؤنس , ص159؛ الباجي, الخلاصة النقيّة, ص83 ؛ عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص122 .

لقد كان لأهل مدينة تونس احتفالات يقومون بها كبقيّة المدن الإسلامية الأخرى, وأغلب هذه الأحتفالات يغلب عليها الطابع الديني وهناك احتفالات اجتماعية لدى سكان المدينة.

وقد وصف ابن بطوطة[1] العيد في مدينة تونس قائلاً:((وأظلني بتونس عيد الفطر فحضرت المصلى وقد احتفل الناس لشهود عيدهم وبرزوا في أجمل هيئة وأكمل إشارة, ووافى السلطان أبو يحيى راكباً وجميع أقاربه وخواصه وخدّام مملكته مشاة على أقدامهم في ترتيب عجيب وصليت الصلاة وانقضت الخطبة وانصرف الناس إلى منازلهم)), أمّا عن خروج السلطان إلى صلاة العيد فإنّه يذهب في طريق ويعود في طريق آخر[2]. ويبدو من هذا إنه تطبيق للسنة النبوية الشريفة.

ومن مظاهر الاحتفال بالعيد في مدينة تونس يتجمّع عدد كبير من الفرسان في إحدى الساحات أمام القصبة وهم يتبارزون بالرماح, وهذه كانت تمثل طريقة من طرق الابتهاج والاحتفال بهذه المناسبة[3]. وينقل لنا ابن أبي دينار[4] عن أعياد المدينة قائلاً: ((وكذلك العادة التي جرت بين أهل الحضرة أنْ مدّة أعيادهم خمسة عشر يوماً وهذا المعهود بينهم .... وإنّ أسواقهم لا تفتح إلا بعد تمام الخمسة عشر يوماً وتكون أيام تنزهات خارج المدينة)), ويستعملون فيها أنواع كثيرة من الأطعمة الفاخرة[5], ولهم فيها أخباز خاصّة, وقد كان لأغلب سكان مدينة تونس بساتين, يخرجون إليها بعيالهم في زمن الصيف والخريف يباتون فيها[6]. ويبدو هذا من أجل الاستجمام والراحة.

---

(1) شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي(ت779هـ),رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار, تح عبدالهادي التازي, المغرب , 1997, 168/1-169.

(2) القلقشندي, صبح الأعشى, 147/5.

(3) برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 316/2.

(4) المؤنس , ص289.

(5) ابن عامر, الدولة الحفصية, ص79.

(6) القلقشندي, صبح الأعشى, 102/5؛ ابن أبي دينار , المؤنس, ص288.

ولسكان مدينة تونس أيام مشهورة يعظمونها ويحتفلون بها, فمنها ليلة النصف من رجب وليلة السابع والعشرين منه, وكذلك ليلة النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين منه, وكذلك شهر رمضان الكريم يحتفلون فيه غاية الاحتفال ويقومون بواجبه وحقّه أتم القيام ويتم ختم القرآن الكريم في المساجد في صلاة التراويح, وكذلك اعتناؤهم بختم المسند الصحيح للامام البخاري, وقد عقد ابن أبي دينار فصلاً في هذا الخصوص[1].

كما كان أهل تونس يحتفلون باليوم العاشر من شهر محرّم غاية الاحتفال, ويقومون بتزيين حوانيتهم ويكون لها منظر عجيب, وكذلك احتفالهم في يوم المَوْلِد النبوي الشريف فإنّهم يعظّمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول يزينون المكاتب وينشدون بها الأشعار, وتوقد القناديل وتسرج الشموع, وتكون هذه الليلة من أشهر الليالي[2].

ومن مظاهر الأحتفالات الأجتماعية فقد ذكر لنا أحد المؤرخين حالةً من حالات الاحتفال الذي عمَّ مدينة تونس وهو زواج ابن السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان(839-893هـ/1435-1488م) ولي العهد أبي عبدالله محمد المسعود في 20/ربيع الثاني/854هـ/1450م من إبنة عمّه وكان الاحتفال كبيراً بهذا الزواج ((واطعم في العرس المذكور بالقصبة أهل الحضرة من غرّة ربيع الأول إلى يوم البناء ثمَّ أعطى قرب البناء لأهل ربض باب السويقة ستين رأساً بقراً وستين قفيزاً قمحاً ومثل ذلك لأهل ربض باب الجزيرة))[3].

سادساً : العادات والتقاليد:

---

(1) المؤنس , ص296-300؛ ابن الخوجة, تاريخ معالم التوحيد , ص338؛ ابن عامر, الدولة الحفصية, ص79.

(2) ابن أبي دينار, المؤنس , ص289-290؛ ابن عامر , الدولة الحفصية, ص79.

(3) الزركشي, تاريخ الدولتين, ص144-145.

كان لسكان مدينة تونس عادات وتقاليد مثلهم مثل بقية المدن الإسلامية الأخرى يمارسها أهل المدينة سواء أكانت تتعلق بالأطعمة والزواج والأحتفالات أم الأمور الأخرى.

أمّا ما يتعلق بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بالأطعمة فقد ذكر أنّ هناك أخباز خاصة بالمواسم مثل الخبز المبسّس في العيد وعاشوراء والخبز الفطير في عيد الفصح لليهود وخبز البشماط للبحريين والحجاج[1], كما كانت بعض الأطعمة تصنع في أوقات محددة من السنة أو بمناسبة بعض الأحداث العائلية ومنها طعام العصيدة التي تصنع من دقيق الحنطة والزبدة والعسل والتي كانت تقدم للمرأة بعد الولادة, ثمّ أصبحت بعد ذلك مرتبطة بالاحتفال التقليدي الذي يعرف بإسم العقيقة, أي قص شعر الوليد[2].

وكذلك يستعمل سكان تونس الطعام المسمّى (الدويدة) التي تصنع من فتائل العجين ولحم الدجاج ويتم تناولها يوم التاسع من عاشوراء[3]. وكذلك المروزية وهي لحم مطبوخ ويؤكل بعد الإنتهاء من الصيام لأنّه من التطبب[4]. وتختص مدينة تونس بنوع من الحلوى يسمّى(المقروض) والذي يتفاخرون به وهو مشهور عندهم, ويصنع من السميد والتمر والعسل والبهارات ويقلى بالزيت, ويقدم في الأعياد والمناسبات[5]. حتى أنّ ابن أبي دينار[6] قال:((وهو أطيب حلاواتهم وليس بعده شيء)), وللطعام آداب مرعيّة منها غسل اليدين ودعاء الشكر والالحاح على تناول الطعام وحديث المائدة[7].

(1) الكعاك, عثمان , التقاليد والعادات التونسية, مطبعة الشمال, تونس, 1972, ص29.

(2) ابن الشماع , الأدلة البينة, ص83؛ برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 284/2.

(3) ابن أبي دينار, المؤنس, ص289؛ ابن عامر, الدولة الحفصية, ص78؛ برنشفيك,تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ,84/2.

(4) ابن أبي دينار, المؤنس, ص288؛ برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي, 284/2.

(5) ابن أبي دينار,المؤنس, ص288؛ برنشفيك, تاريخ أفريقية في العهد الحفصي,284/2–285.

(6) المؤنس, ص288.

(7) الكعاك , التقاليد والعادات التونسية, ص31.

أمّا ما يتعلق بالزواج, فيقتصر عرب المغرب على زوجة واحدة[1], وهذا ما جعل الفقيه البرزلي[2] (ت841هـ/1436م) يقول:((أنّي لمّا عزمت على الرحيل من القيروان إلى تونس أبت زوجتي أنْ ترحل معي إلا أنْ أجعل بيدها طلاق كلّ من أتزوج عليها)).

ومن عادات وتقاليد مدينة تونس التبرّك بالأولياء والصالحين[3]. فقد ذُكِر أنّ ((مدينة تونس بها قبر المؤدب محرز يقسم به أهل المراكب إذا هاج البحر, ويحمل من تراب قبره معهم)) [4]. ويوجد عند سكان مدينة تونس بعض التقاليد الاسرية ومنها عند فطام الطفل الرضيع, يرسل أقارب الطفل المفطوم من الرضاعة سلة الفطام مغطاة بنسيج حرير وفي وسطها الفواكه اليابسة والحلوى[5].

أمّا عند ختان الطفل فقد تقام له احتفالية خاصة يرتدي الطفل المراد ختنه الألبسة الفاخرة والمطرزة, وقد أقيم أكبر ختان للأطفال في تونس هو ختان أبناء الخليفة الفاطمي المعز لدين الله(341-365هـ/951-975م),إذ ذُكِر أنّه في سنة 351هـ /961م أقدم الخليفة على ختان أولاده عبدالله ونزار وعقيل، وفي هذا أورد المقريزي قائلاً[6]: ((فحين عزم على طهورهم كاتب عمّاله وولاته من لدن برقة إلى أقصى سجلماسة وما بين ذلك وما حوته مملكته لمدّة شهر, وتوعّد على ترك ذلك, وأمرهم بالقيام بجميع نفقاتهم وكسوتهم وما يصلح أحوالهم من مطعم ومشرب وملبس وطيب

---

(1) لوبون , حضارة العرب, ص248.

(2) فتاوى البرزلي, 113/3.

(3) ابن قنفذ, أبي العباس أحمد (ت810هـ) , أُنس الفقير وعزِّ الحقير, اعتنى بنشرة وتصحيحه محمد الفاسي وادولف فور, مطبعة أكدال , الرباط, 1965, ص104.

(4) الهروي, أبي الحسن علي بن أبي بكر(ت611هـ), الاشارات إلى معرفة الزيارات, تح، عمر علي , ط1,مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , 2002, ص51.

(5) الكعاك , التقاليد والعادات التونسية, ص87.

(6) اتعاظ الحنفا, 94/1؛ الكعاك, التقاليد والعادات التونسية,ص89.

وغيره)).

الفصــل الثالــث

الحيــاة الأقتصادية في مدينة تونس

المبحث الأول: سياسة الولاة والأمراء والخلفاء الرامية لأنعاش الحياة الأقتصادية

المبحث الثاني: الزراعــــــة

أولاً : أنواع المحاصيل الزراعية

أ- زراعـة الحبوب

ب- زراعـة الفواكـه

ج- زراعـة الزيتون

د- المحاصيل الأخرى

ثانياً : نظام الري

المبحث الثالث : الصناعـــــة

أبرز الصناعات في مدينة تونس

أ- صناعـة المنسوجات

ب- صناعـة الزيوت النباتية

ج- صناعـة الخـزف

د- الصناعات الجلدية

هـ - الصناعات الخشبية

و- صناعة العطـور

ز- صناعات أخـرى

المبحث الرابع: التجـــــــارة

أولاً : الأسواق

ثانياً : التعاملات النقدية

أ- الأسعار

ب- السكة

ج- الأوزان والمكاييل والمقاييس

ثالثاً : طرق التجارة ومسافاتها .

أ- الطرق التجارية

ب- المسافات

رابعاً : العلاقات التجارية لمدينة تونس .

أ- علاقة مدينة تونس التجارية بالمدن المجاورة لها في شمال أفريقية .

ب- علاقة مدينة تونس التجارية مع مصر والسودان الغربي والأندلس .

ج – العلاقات التجارية بين مدينة تونس وصقلية .

د- العلاقات التجارية بين مدينة تونس والمدن الإيطالية .

خامساً : الصادرات والواردات

أ- صادرات مدينة تونس الى المشرق .

ب- الواردات .

المبحث الخامس: الثروة الحيوانية وانواع الحيوانات .

المبحث الأول : سياسة الولاة والأمراء والخلفاء الرامية الحياة الأقتصادية

لم نجد في المصادر- التي بين أيدينا- ما يشير إلى اسهام الخلفاء الفاطميين (296-362هـ/908-972م) في إزدهار الجانب الأقتصادي لمدينة تونس، مما دفع أحد المؤرخين المحدثين[1] إلى القول : ((وجاء الخلفاء الفاطميين فتعمدوا إهمال مدينة تونس بجعل قصبتهم القيروان))، أو مدينة المهدية التي تم بنائها لاحقاً[2]. ويرى الباحث ان هذا الأهمال نتيجة طبيعية إستناداً إلى قول البكري[3]: ((هي مخصوصة بالقيام على الأمراء والخلاف للولاة خالفت نحو عشرين مرة)) وقد وصفها أحد المؤرخين بقوله: ((وأهلها موصوفون بالقيام على الولاة))[4] ، يمكن ان يتبين من هذا ان مدينة تونس كانت مركزاً لمعارضة الأمراء. لكن هذا لا يمنع من إزدهار المدينة زراعياً في تلك المدة ، فقد أشاد الرحالة ابن حوقل بما كانت عليه مدينة تونس من إزدهار فاطنب في الإشادة بوفرة غلاتها وبخصوبة تربتها[5].

وبعد محاصرة مدينة تونس من قبل بني هلال وبني سليم في عهد بني خراسان، (450-555هـ) حتى ان المدينة فقدت السيطرة على مزارعها وتركوا كل نشاط زراعي خارج أسوار المدينة[6] . وقام أمراء بني خراسان بعقد الاتفاقيات مع هذه القبائل لأنهاء حالة السيطرة عليها مقابل مبالغ مالية[7] , وهذا يدل على اهتمام أمراء مدينة تونس لحاجتها إلى ممارسة نشاطها الزراعي في كل أراضيها.

(1) الحفناوي، تونس في عصرها الإسلامي، ص34.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 274/6.
(3) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40.
(4) مجهول، الأستبصار ، ص121.
(5) صورة الأرض ، ص75 ؛ الحفناوي، تونس في عصرها الإسلامي، ص34.
(6) الأدريسي ،وصف أفريقيا الشمالية , ص81 ؛ ابن خلدون ,التاريخ , 19/6و 165.
(7) ابن خلدون , التاريخ , 19/6 و 165 .

وبعد نهاية ثورة ابن غانية سنة 601هـ / 1204م[1] , إستقر الخليفة الموحدي الناصر في مدينة تونس سنة 602هـ / 1205م وعمل أثناء تواجده على إصلاحها مما لحق بها من دمار وخراب , وبث الطمأنينة بين الرعية وتسيير امورهم , وتأمين الطرق وتعين العمال والولاة في انحاء أفريقية , ((وأمر بإشاعة الأستقرار بتونس والنظر في اتخاذ المحارث والأتساع في المزارع)) [2]. وخلال خلافة المستنصر الحفصي (647 – 675هـ / 1249–1277م) وفي سنة 669هـ / 1271م بعد الحملة الصليبية على تونس, أخذ بالإهتمام بالنشاط الزراعي,((أمر بالحرث الكثير في جميع البلاد)) [3], وخلال فترة الحملة الصليبية على تونس(668 – 669هـ / 1270–1271م) قام الخليفة المستنصر الحفصي بخزن أربعين الف قفيز من الحنطة ومثلها من الشعير[4] , وهذا يدل على مدى إهتمام الخلفاء على ضمان انسيابية المواد الغذائية الأساسية للسكان وتوفير الغذاء في الأزمات.

وكان أمراء بني حفص يولون إهتماماً كبيراً في الزراعة ،وفي زراعة البساتين ، حتى انهم ينقلون اليها أنواع شتى من المحاصيل والمغروسات[5].

اما في مجال الصناعة فقد كان الإهتمام المبكر من الخلفاء والولاة بالجانب الصناعي في مدينة تونس، والذي كان عاملاً مهماً في استقرار السكان في المدينة فنجد عند تأسيس المدينة من قبل الوالي حسان بن النعمان قام ببناء دار الصناعة في مدينة تونس بموافقة من الخليفة عبد الملك بن مروان (65–86هـ/684–706م) والذي كتب إلى أخيه عبد العزيز والي مصر أن يوجه إلى تونس الف قبطي مع عيالهم وان يحملهم من مصر، وكتب الخليفة إلى حسان ان يبني لهم دار الصناعة

---

(1) ابن خلدون , التاريخ , 19/6 و196 .

(2) ابن عذاري , البيان المغرب , قسم الموحدين , ص248 .

(3) ابن القنفذ , الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , ص132 .

(4) ابن القنفذ , الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , ص132 .

(5) ابن خلدون ، التاريخ ، 300/6 ؛ ابن القنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص10.

لتكون قوة وعدة للمسلمين[1]. وفي مدة حكم السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1434م) الذي ((أباح للناس عمل الصابون بعد ان كان ممنوعاً منه ومن ظهرَ عليه ذلك يعاقب في ماله وبدنه ولا يعمله الا السلطان بموضع معلوم لا يباع الا فيه))[2] وهذا الاجراء قد ساعد الناس على العمل في هذه الصناعة بعد ان كانت حكراً على السلطان. وكذلك قام بإلغاء الضرائب التي كانت مفروضة على كثير من الأسواق والصناعات ومنها سوق العطارين وسوق الصفارين[3]. وهذا بحد ذاته يعتبر تشجيع من الأمراء بدفع الصناعات القائمة في مدينة تونس.

اما في مجال التجارة, وكمظهر من مظاهر اعتناء الأمراء الصنهاجيين بالتجارة, نجد ان التجار كانوا يترحمون على الأمير المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) ويدعون له[4]. ويبدو من خلال هذا بسبب الاعمال الجليلة التي قام بها الأمير المعز بن باديس من اجل جعل منطقه الشمال الأفريقي منطقة تجارية وتسهيل عمل التجار. وبعد ان استقرت الأوضاع السياسية في مدينة تونس في عهد بني خراسان قاموا باعطاء تجار مدينة بيزا امتيازات خاصة منها حماية مراكبها واعفاء تجارها من عشور بعض الصادرات او تخفيفها[5].

وخلال ولاية السلطان أبو العباس احمد (772-796هـ/1370-1394م) الذي يقول عنه ابن الشماع[6]:((أمن الطرق والبلاد)) وهذا بطبيعة الحال ينعكس على الجانب الأقتصادي من خلال تامين طرق التجارة. وكذلك يذكر ان السلطان أبو فارس عبد العزيز(796-873هـ/1394-1434م) يوجه الأموال والملابس إلى عرب برقة

---

(1) البكري, المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص38 ؛ ابن أبي دينار ،المؤنس , ص12 .

(2) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ، ص88 ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص117 .

(3) الزركشي ، تاريخ الدولتين , ص117 .

(4) ابن الأثير ، الكامل , 8/515-516 ؛ ابن خلدون , التاريخ ، 6/160 .

(5) موسى ،عز الدين عمر، النشاط الأقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2003 ، ص265 .

(6) الادلة البينة ، ص110 .

ليمنعهم بها من اعتراض الحجاج ويرغبهم في تسهيل ذلك الطريق[1]. لكي تكون الطرق البرية آمنة سواء للحجاج او التجار. وفي نفس السياق ذكر عبدالله الترجمان[2] بأن السلطان أبا فارس عبد العزيز كان ((يوصي تجار النصارى من جميع اجناسهم ان يأتوا بكل من يقدرون عليه من أسرى المسلمين وعين لهم في كل شاب منهم من ستين ديناراً إلى سبعين وفي كل شيخ وكهل من الأربعين إلى الخمسين ، وأنا الذي كنت اترجم بينه وبين النصارى في ذلك، فما كانت الا مدة يسيرة حتى جاء تجارهم بعدد كبير من أسرى ففدى جميعهم من بيت المال)).

يتضح مما تقدم ان السلطان الحفصي كان يلتقي بالتجار النصارى ويحثهم على جلب أسارى المسلمين إلى تونس، وبطبيعة الحال هذا كان يشجعهم على القيام بالتجارة. وكذلك قيام بعض سلاطين بني حفص بإلغاء الضرائب التي كانت تؤخذ من أسواق مدينة تونس[3]. فكان هذا دافعاً ساعد أصحاب الأسواق والتجار على الإهتمام بالنشاط التجاري داخل الأسواق لان هذه الضرائب كانت تسبب ضرراً على أصحاب الأسواق.

اهتم الولاة والأمراء على تطوير التجارة في مدينة تونس ومن أجل هذا بذلوا جهوداً كبيرة ، إذ عملوا على ترويج منتوجات المدينة في الداخل من خلال تنظيم الأسواق والاعتناء بها ، فضلاً عن التجارة الخارجية إذ عملوا على تجديد الأسطول التجاري في المدينة، وعقد المعاهدات التجارية مع المدن والبلدان الأخرى[4].

---

(1) عبد الله الترجمان ، تحفة الأريب ، ص83 .

(2) تحفة الأريب ، ص85 .

(3) الزركشي , تاريخ الدولتين ، ص117 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص144-145 .

(4) ابن عامر ، الدولة الحفصية ، ص98-99 .

المبحث الثاني : الزراعـــــة:

تعد المنتجات الزراعية المصدر الرئيس للمواد الغذائية التي يعتمد عليها الأنسان في حياته، والزراعة هي الحرفة الرئيسية التي عمل بها عدد كبير من سكان مدينة تونس ساعدها على ذلك ، خصوبة تربتها الصالحة للزراعة[1]. وتعد المحور المهم للحياة الأقتصادية , وقد تأثر الوضع الأقتصادي بالوضع السياسي والأضطرابات والفوضى، وعلى هذا لم تكن المزارع تعرف الأمن والسلام اللازمين لقيام الزراعة وتأمين عبور القوافل التجارية[2].

وقد كان التطور الأقتصادي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأضطرابات السياسية[3]. إذ كان للاضطرابات والفوضى التي عمت منطقة الشمال الأفريقي ولا سيما مدينة تونس نتيجة دخول قبائل بني هلال وبني سليم اليها في العصر الصنهاجي، أثرها الكبير على النشاط الأقتصادي عامة وعلى الزراعة على وجه الخصوص ، إذ تقلصت الزراعة في مدينة تونس والتي لم تسلم من النهب والسلب[4]. إذ انها فقدت السيطرة على فحوصها وأصبحت أغلب زراعتها داخل أسوار المدينة، ((وجميع جناتها ومزارع بقولها في داخل سورها، وليس لها خارج السور شيء يعول عليه)) [5].

من خلال هذا يتضح ان سكان مدينة تونس تركوا الزراعة خارج المدينة واقتصرت الزراعة في داخل المدينة في تلك المدة ، وقد كانت المدينة بحاجة ماسة إلى المحاصيل الزراعية لانها فقدت السيطرة على فحوصها إذ تقلصت الأراضي الزراعية

---

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص75 .

(2) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 36/1 ؛ سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، 407/2 .

(3) عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب ، ص271-273 .

(4)التجاني ، رحلة التجاني، ص16 ؛ ابن خلدون ، التاريخ ، 19/6 ؛ جوهر ، تونس ، ص42 .

(5) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81 .

وانحسرت داخل المدينة[1]. لهذا ((صالح العرب أهل الضاحية على اتاوة معلومة لكف عاديتهم))[2] .

وهناك من يرى ان أهل مدينة تونس يمتازون بالكسل وقلة النشاط لأعمال الفلاحة ، ثم انهم زيادة على ذلك لا يزرعون الا ما جاورهم[3]. لا يمكن الاخذ بهذا الراي لان أغلب سكان المدينة يعمل في الزراعة التي تعتبر المصدر الرئيسي للحياة الأقتصادية. اما الناس الذين لا يملكون أراضي زراعية فقد كانوا يعملون بزراعة أراضي غيرهم ومنهم من كان يقوم على حراسة الزيتون ليلاً ونهاراً لقاء اجر معين[4]. ومن الجدير بالذكر ان مدينة تونس ((لو اتفق ان يكون بها ماءٍ جارٍ لكانت معدومة النظير شرقاً وغرباً)) [5].

أولاً : انــواع المحاصيــل الزراعيــة .

أ- زراعــة الحبوب:

تعد زراعة الحبوب ولاسيما القمح والشعير من الزراعات القديمة في منطقة الشمال الأفريقي ولاسيما مقاطعة أفريقية[6]. فقد كان معظم سكانها يعيشون على الزراعة[7]. وساعدهم على هذا وفرة الأراضي الصالحة للزراعة[8]. وتشتهر مدينة تونس بزراعة

(1) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81 ، موسى ،النشاط الأقتصادي في المغرب الإسلامي ، ص193؛ مارسيه ،جورج ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق في العصر الوسيط، تعريب محمود عبد الصمد هيكل ، الاسكندرية ، 1991 ، ص241-242 .

(2) ابن خلدون ، التاريخ ، 165/6 .

(3) كربخال ، أفريقيا ، 21/3 .

(4) الونشريسي ، المعيار المعرب ، 225/8-226 .

(5) العبدري ، رحلة العبدري ، ص110 .

(6) باشا ، نجاة ، التجارة في المغرب الإسلامي ، تونس ، 1976 ، ص44 .

(7) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 36/1 .

(8) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص41 ؛ الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81 .

الشعير[1]، ولكثرة انتاجه تم تخصيص سوق بمدينة تونس يباع فيه دقيق الشعير[2]، ويحيط بها من جميع جهاتها فحوص ومزارع للحنطة والشعير وهي اكبر غلاتها[3]، ((وهي خصبة في ذاتها متسع بغلاتها))[4] حتى ذكر ان ((الخبز بتونس في غاية الجودة أبيض مخبوز كما يجب))[5] .

ويوجد بمدينة تونس فضلاً عن القمح والشعير الفول والعدس والذرة والدخن[6]. وقد كانت المزارع منتشرة على الطرق المؤدية إلى تونس[7].

ب- زراعـة الفواكه:

يذكر البكري[8] خلال وصفه تونس اعداد كثيرة من الفواكه التي تزرع في المدينة قائلاً: ((ومدينة تونس من أشرف مدائن أفريقية ، وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة فمن ذلك اللوز الفريك يفرك بعضه بعضاً من رقة قشره ويحث باليد وأكثره حبتان في كل لوز مع طيب المضغة وعظم الحبة والرمان الضعيف لا عجم لحبه البتة مع صدق الحلاوة وكثرة المائية والأترج الجليل الطيب الطعم الذكي الرائحة البديع المنظر، والتين الخارمي أسود كبير رقيق القشر كثير العسل لا يكاد يوجد له بزر، والسفرجل المتناهي كبراً وطيباً وعِطراً والعناب الرفيع في قدر الجوز)). وتشتهر مدينة تونس بكثرة الفواكه وجودة ثمارها[9].

---

(1) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ،76/2 .
(2) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ،76/2 .
(3) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81.
(4) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص75 .
(5) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ،75/2 .
(6) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 87/4 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، 112/5 .
(7) التجاني ، رحلة التجاني ، ص346 .
(8) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ،ص41 ؛ ينظر مجهول ، الأستبصار ، ص121 .
(9) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص75 ؛ الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81 .

في حين يذكر إبن فضل الله العمري[1] أنواع أخرى من الفاكهة منها السفرجل والتفاح والكمثري والخوخ والمشمش والنارنج. وبها البطيخ الاصفر على انواع ، والبطيخ الاخضر قليل ويسمى الدلاع[2]. وكذلك يوجد بها الأجاص[3]. وتشتهر مدينة تونس بنوع من الفاكهة يسمى المصنغ وهو يشبه بطعم السفرجل ولونه بين الحمرة والصفرة ، ويوجد في فصل الشتاء[4]. ((والجوز فيها قليل وكذلك النخيل والفستق والبندق مفقود بها وكذلك الموز))[5].

ويزرع في ضواحي مدينة تونس الكروم[6]. وتوجد في خارج المدينة ممتلكات بديعة تنتج فواكه عجيبة بكميات قليلة لكنها في غاية الجودة، وهناك عدد من البساتين المغروسة بالبرتقال والليمون[7].

وخلال وصفه للبستان الذي انشأه السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) في ضواحي مدينة تونس، قال ابن خلدون[8]: ((واتخذ ايضاً بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فهر ، يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات، اغترسَ فيها من شجرهِ كل فاكهة من اصناف التين والزيتون والرمان، والنخيل والاعناب، وسائر الفواكه واصناف الشجر، ونضَّد كل صنف منها في دوحة حتى اغترس من السدر والطلح والشجر البري، وسمى دوح هذه بالشِعْراء واتخذ وسطها البساتين والرياض بالمصانع والجوائز وشجر النور والنُزهِ من الليم والنارنج والسرو والريحان وشجر الياسمين والخيري، والنيلوفر وامثاله)) وكذلك يوجد في مدينة تونس من الرياحين الآس والورد ومعظمه أبيض ، والياسمين

(1) مسالك الابصار ، 87/4-88 .

(2) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 87/4 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، 112/5 .

(3) البرزلي ، فتاوى البرزلي ،179/3 .

(4) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 87/4 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، 112/5 .

(5) القلقشندي ، صبح الأعشى ، 112/5 .

(6) التجاني ، رحلة التجاني ، ص5 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص143 .

(7) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 77/2 .

(8) التاريخ ، 300/6 .

والنرجس والنيلوفر الأصفر، والبنفسج والزعفران والسوسن[1].

وكان لأهل الأندلس دور كبير في إزدهار مدينة تونس في هذا المجال وتنوع محاصيلها. لذلك يقول القلقشندي[2]: ((ومذ خلا الأندلس من أهله, وآوَوْا إلى جناح ملوكها مصروا أقليمها ، ونوعوا بها الغراس)). وخلاصة القول ((جميع الفواكه لا يوجد لها نظير)) [3].

ج - زراعـة الزيتون:

يعد الزيتون من أهم محصولات البلاد لكثرة زراعته، إذ يدر دخلاً كبيرا لأهل أفريقية عامة[4]. ومدينة تونس على وجه الخصوص إذ توجد فيها ((قرى كثيرة الزيتون)) [5]، وقد كانت نواة الزيتون ترمز إلى الثروة بالنسبة إلى أفريقية في العصور القديمة، وفي العصر الوسيط استمر الناس بزراعة الزيتون بكل عناية في السهول الساحلية[6].

وللزيتون أهمية كبيرة ليس كونه غذاء فحسب بل يستخرج منه أيضا الزيت الطيب الذي يستخدمه السكان في الطهي، والذي كان يكفي حاجة المدينة ويصدر الفائض إلى المناطق الأخرى ، إذ كان يحيط بمدينة تونس على مسافة أربعة أميال إلى ستة أميال بساتين زيتون عديدة تنتج كمية كبيرة من الزيت[7]. وكذلك يستفاد من اخشاب

---

(1) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 88/4 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، 113/5 .

(2) صبح الأعشى ، 102/5 ؛ وكذلك ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص143 .

(3) مجهول ، الأستبصار ،ص121 .

(4) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص73 ؛ البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص39 ؛ ابن الشماع ، الادلة البينة ،ص42 .

(5) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص39 .

(6) ابن الشماع ، الادلة البينة ، ص42 ؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 227/2 .

(7) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ،77/2 .

أشجار الزيتون في صناعة الفحم الذي يستعمل في المدينة ، ويتخذ بعضه حطباً للتسخين[1]، إذ يوجد ((غدير كبير يعرف بغدير الفحامين)) [2].

وقد لوحظ ان هناك ارتباط وثيق بين غابة الزيتون وخريطة كثافة العمران[3]. والزيتون الذي يزرع في مدينة تونس كان يطلق عليه الزيتون المعصري[4]. وعندما يريد الناس قطف ثمار الزيتون يتسلقون الأشجار وفي أيديهم عصى طويلة جداً يضربون بها الاغصان ليسقط الزيتون وهم يعرفون ان ذلك مضر بالأشجار إذ يتسببون في اتلاف البراعم وعدد كبير من الجذوع الصغيرة وافسادها[5]. فضلاً عن ذلك كانت بعض الأمراض تصيب المزروعات وتؤثر على الإنتاج الزراعي فكانت أشجار الزيتون تتعرض للإصابة بالمن او ماء المطر في الصيف وهذا ما يحدث في مدينة تونس[6].

وتجدر الأشارة إلى ان الزيتون علاوة على استعماله في الأغذية يعد الأساس في الصناعات المشتقة من الزيت كصناعة الصابون وزيت التجميل[7]. وخلال دخول أبي يزيد مخلد بن كيداد إلى مدينة تونس سنة 333هـ/944م ((ونهب مدينة تونس واخذ منها اثني عشر الف خابية زيتاً غير الأموال والعبيد))[8]، فهذا يدل على اشتهار المدينة بالزيت ووجوده بكثرة فيها.

د- المحاصيل الأخرى:

تشتهر مدينة تونس بزراعة محاصيل أخرى منها القنب والكرويا والعصفر، وكذلك

(1) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ،77/2 .
(2) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص40 .
(3) باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ،ص45 .
(4) البرزلي ، فتاوي البرزلي ، 67/3 .
(5) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ،78/1 .
(6) البرزلي ، فتاوي البرزلي ،395/3 ؛ الونشريسي ، المعيار المعرب ، 24/2 .
(7) باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص45 .
(8) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص56 .

من غلاتها القطن والذي يحمل إلى القيروان للانتفاع به[1]. وكذلك تمتاز بزراعة البصل، وهو نوع كبير مثل الأترجه يكون قشره رقيق، حلو المذاق كثير الماء، ويسميه البكري البصل القلوري[2]. ويوجد فيها قصب السكر لكن بصورة قليلة ولا يعتصر [3].

ثانياً : نظــام الــري:

تُعد المياه أهم المقومات اللازمة لقيام الزراعة. وفي منطقة الشمال الأفريقي تعددت مصادرها لتشمل مياه الامطار والعيون والابار والصهاريج، وكان أهل مدينة تونس يستخدمون مياه الآبار في ري أراضيهم الزراعية، وكانوا يستخرجون الماء من البئر بواسطة سطل من الجلد مرفوع بحبل ملفوف على بكرة من طرف حيوان يبتعد عن البئر على مستوى منحنٍ او بواسطة قواديس يحركها حيوان[4].

وقد أشار البكري إلى الآبار والسواقي التي تسقى البساتين خلال حديثه عن البساتين الواقعة خارج باب قرطاج في الجهة الشرقية لمدينة تونس ((وابار سواقي تعرف بسواقي المرج)) [5]، وقد شاع استخدام الساقية بمعظم انحاء المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ، وقد ذكر ان الطرق المستعملة في الري اعتمدت على القواديس والآلة التي ينسكب منها الماء ويصب في الجابية وتقوم باستخراجها عن طريق الحيوانات[6], وان لدى سكان مدينة تونس املاكاً زراعية صغيرة في ضواحي المدينة يزرعون منها القمح والشعير وتحتاج هذه الأراضي إلى الري، ولهذا يوجد في كل مزرعة بئراً يستخرج منه الماء في قنوات محكمة البناء ويرسل اليها بواسطة آلة مكونة

---

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص75 ؛ الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81 .
(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص41 ؛ ادريس ، الدولة الصنهاجية ، 244/2 .
(3) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 88/4 .
(4) الونشريسي ، المعيار المعرب ،9/ 417-418 ؛ ادريس ، الدولة الصنهاجية ، 238/2 .
(5) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص40 .
(6) البرزلي ، فتاوي البرزلي ، 409/3 .

من عجلة (ناعورة) يجرها بغل او جمل كي تسقي المزروعات[1].

وفي عهد السلطان الحفصي المستنصر (647-675هـ/1249-1277م) أمر بإصلاح حنايا ماء زغوان التي يرجع تاريخها إلى الفترة الرومانية ، والتي كانت تحمل الماء من عيون زغوان جنوب تونس إلى قرطاجنة، وتم ترميمها واصلاحها سنة 666هـ/1267م ، وتمكن بذلك من إيصال ماء زغوان إلى قصر وبستان أبي فهر (قصر السلطان)[2]، والذي يقول فيه ابن خلدون[3]: ((واتخذ ايضاً بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فهر.... وضع فيه للماء حائزاً من عداد البحور، جلب اليه الماء في القناة القديمة ، كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجة))، واوصل قسم من الماء إلى جامع الزيتونة فجعله للسقاية[4].

وقد ذكر ان السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) جلب الماء إلى مدينة تونس من مكان خارج المدينة يسمى ام الوطاء ، وذلك عبر قناة جوفية[5].

المبحث الثالث : الصناعـــــــــة :

الصناعات في مدينة تونس:

(1) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 75/2 ؛ كربخال ، أفريقيا ، 21/3 .

(2)العبدري ، رحلة العبدري ، ص110 ؛ ابن القنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص127 ؛ ابن الشماع ، الادلة البينة ، ص67 .

(3) التاريخ ، 300/6 .

(4)العبدري ، رحلة العبدري ، ص110 ؛ ابن الشماع ، الادلة البينة ، ص78 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص 128 .

(5) الزركشي , تاريخ الدولتين ،ص 136 .

أـ صناعة المنسوجات:

تُعد صناعة المنسوجات من الصناعات ذات الأهمية الكبرى في أي مدينة، وقد انتشرت في مدينة تونس لسد حاجة سكان المدينة ولتوفير ابسط ما يحتاجونه من المنسوجات، وتعتمد هذه الصناعة على الثروة الحيوانية التي اختصت مدينة تونس بها[(1)].

وقد كان سكان مدينة تونس ((جلّهم نساجون يصنعون فيها كمية عظيمة من القماش البالغ حد الاتقان يباع في أفريقية كلها بأثمان باهضه لانه رفيع ومتين)) [(2)]، وتختص مدينة تونس بنوع رفيع يعرف بالأفريقي كان ينسج من مزيج من القطن او من الكتان وحده ويستعمل للملبس ، كما يوجد بها صنف آخر من النسيج يستعمل لثياب عِليَّة القوم يتكون من الحرير والقطن او من الحرير والصوف الأبيض او الملون ويسمى السفساري، حتى ان الخليفة المستنصر بالله (647-675هـ /1249-1277م) عند توليه للحكم أمر بتأسيس مصانع للنسيج وخاصة الاقمشة الحريرية[(3)].

ويذكر القلقشندي[(4)]: ((وبأفريقية يعمل القماش الأفريقي وهو ثياب من القطن والكتان معاً، ومن الكتان وحده، وهو امتع من النصافي البغدادي وأحسن، ومنه جُلْ كساوي أهل المغرب)).

وخلال وصفه لمدينة تونس يذكر الزهري[(5)]:((ومنها يجلب المتاع إلى اقطار الأرض، وهي ثياب من الكتان تضاهي ثياب الحرير)) ، فهذا يدل على اشتهار

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص75 .
(2) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 74/2 .
(3) القلقشندي ، صبح الأعشى ، 142/5 ؛ الدولاتلي ، مدينة تونس ، ص67-68 ، باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص49 .
(4) صبح الأعشى ، 102/5 ؛ وينظر: ابن فضل العمري ، مسالك الابصار ، 90/4 .
(5) كتاب الجغرافية ، ص109 ؛ ينظر :ابن قنفذ ، انس الفقير ،ص68 .

مدينة تونس بهذا النوع من المنسوجات وكذلك لجودتها العالية.

لقد كان للمرأة التونسية دور كبير في حرفة الغزل والنسيج مما جعل أحد المؤرخين يقول: ((والنساء يتقن الغزل غاية الاتقان))[1] وهذا لا يعني اقتصار هذه الحرفة على النساء فقد كان للرجال دور كبير في هذه الصناعة[2]. وقد اصبح النسيج من الصناعات الهامة وإشتهرت المدينة بإنتاجها الفاخر من الابسطة والاقمشة الرفيعة[3]. وكذلك إشتهرت مدينة تونس بصناعة الزرابي والطربوش المغربي[4].

ولأهمية الحياكة والخياطة قال ابن خلدون[5]: ((هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن... فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال... قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة... وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري))، ويوجد في مدينة تونس من يعمل بمهنة الخياطة[6]. وكذلك كانت هناك سوق خاصة تسمى سوق القماش[7]. فضلاً عن ذلك ان بعض أسواق المدينة تضم عدد كبير من تجار القماش الذين يعتبرون أغنى سكان المدينة[8]. وهذا يدل على رواج هذه الصناعة وما توفره من الاموال لدى العاملين بها.

ب- صناعة الزيوت النباتية:

(1) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 74/2 .

(2) برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 222/2 .

(3) لويس ، ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ص253 .

(4) كربخال ، أفريقيا ، 19/3و21 .

(5) المقدمة ، ص447 .

(6) ابن الشماع ، الادلة البينة ، ص79وص96؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص84 .

(7) زبيس ، حول مدينة تونس العتيقة ، ص36 .

(8) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 75/2 .

تشتهر مدينة تونس بالزيت(1)، ويستخرج من الزيتون بواسطة معصرة ذات لوالب، بعد سحق حبات الزيتون في طاحونة تحركها الحيوانات، وهذه الطريقة مأخوذة من الرومان، بعدها يتم الحصول على زيت متوسط الجودة، وهذا النوع كان سائداً في مدينة تونس ، والزيت الذي يستخرج بهذه الطريقة يسمى (المعصري) (2).

وهناك طريقة أخرى لاستخراج الزيت تمكن من الحصول على كميات اقل من الزيت لكنها في الوقت نفسه أحسن جودة وتسمى ضرب الماء، وتتمثل في غسل حبات الزيتون بالماء الحار وتحويلها إلى عجينة ثم وضعها على التوالي في أوانٍ مختلفة ، فيطفو الزيت على السطح ويمكن جمعه بسهولة(3).

أما عن صناعة الصابون ، فقد توافرت عوامل قيامها إذ ان كمية الانتاج الكبيرة من الزيت أدت إلى إزدهار صناعة الصابون ، إذ انه لا يسمح بصناعته من قبل السكان حتى جاء السلطان أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ /1394-1434م) واباح عمل الصابون على العامة(4). وقد احتكر صناعته السلاطين وتم فرض عقوبات مالية لكل من يقوم بصناعته ومنعوا بيعه الا في أماكن معلومة وقد عمل السلطان أبو فارس عبد العزيز على الغاء هذا الاجراء لذلك ازدهرت هذه الصناعة(5) .

ج ـ صناعة الخزف:

وفي مجال صناعة الخزف يظهر أن مدينة تونس إشتهرت بصناعتها الخزفية التي

---

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص75 .

(2) ادريس ، الدولة الصنهاجية ، 241/2 ؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 221/2 .

(3) البرزلي ، فتاوي البرزلي، 60/3 ؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 221/2 .

(4) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ، ص88 ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص117 .

(5)الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص117 .

أشار اليها ابن حوقل[1] قائلاً: ((ويعمل بها غضار حسن الصباغ وخزف حسن كالعراقي المجلوب))، ومن خلال هذا النص يتبين لنا ان مدينة تونس كانت تستورد هذه المنتوجات من العراق، ومن ثم اشاد البكري[2] بصناعتها الخزفية قائلاً: ((ويصنع بتونس آنيه للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض في نهاية الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير في جميع الأقطار وعامة الامصار)).

وان اشتهار مدينة تونس بصناعة اواني المياه من الخزف الشديد البياض[3]، كان له دور كبير في تجارة تونس الداخلية والخارجية.

د- الصناعات الجلديـــة:

إن انتشار الحيوانات في مدينة تونس وضواحيها ، والذي يمارس سكانها تربية الماشية إلى جانب عملهم بالزراعة جعل الجلود الحيوانية متوفرة في المدينة والتي تعد المادة الأولية الأساسية في قيام الصناعة الجلدية التي تعتمد اساساً على الحيوانات، إذ تختص مدينة تونس بالكثير من الماشية[4].

وكانت هذه الصناعة من بين الصناعات المهمة التي تحتاجها أي مدينة، ونتيجة لوفرة الجلود يتم استخدامها من قبل الحذائين والسراجين وغيرهم بما يحتاجونه من صناعة للأحذية والسروج وجلود الكتب، وقد خصصت لهذه الصناعة أسواق عدة منها، سوق السراجين، وسوق الخرازين[5]. وكذلك تصنع من جلود الحيوانات القِرَبْ لكي

(1) صورة الأرض ، ص75 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص40-41 ؛ ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 61/2 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ،ص10 .

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 61/2؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص143 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص10 .

(4) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص75 .

(5) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 75/2 ؛ الدولاتلي ، مدينة تونس ، ص69 .

يوضع بها زيت الزيتون والسمن الذائب[1]. وكذلك لنقل الماء الصالح للشرب الذي يحمله السقاوؤن في مدينة تونس لبيعه على سكان المدينة[2]. وكذلك أشتهرت مدينة تونس بصناعتها الجلدية من خلال النقش والزخرفة على الجلود، وكذلك البلقة والشيرلة والسروج الجلدية[3].

وقد اخذ في نظر الاعتبار ابعاد بعض الصناعات عن مركز المدينة وربما ناتج هذا عن مكان فسيح للعمل فيه ، او لعملهم في منتجات كريهة الرائحة وتضر بالصحة العامة ، وهذا ما ينطبق على صانعي الجلود والدباغين[4].

هـ - الصناعات الخشبية:

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب، وتدخل في صناعة الرماح والأقواس والسهام ، وكذلك في صناعة الاثاث كالكراسي والماعون وفي سقوف البيوت والأبواب والشبابيك وتستخدم في صناعة السفن[5]، لقد ظهر الإهتمام بدار صناعة السفن منذ عهد القائد حسان بن النعمان الغساني (74-86هـ/693-706م) إذ وجه الخليفة عبد الملك بن المروان (65-86هـ/684-706م)اخيه عبد العزيز وآلِ مصر بان يوجه إلى معسكر تونس الف قبطي بأهله وولده وذلك لغرض انشاء دار صناعة السفن في تونس[6].

وكان استقدام هؤلاء الاقباط من مصر لمعرفتهم بصناعة السفن[7]. وتعد دار الصناعة هذه أول دار لصناعة السفن في المغرب العربي، وأصبحت من اشهر دور

---

(1) ادريس ، الدولة الصنهاجية ، 76/2 .

(2) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 76/2 .

(3) ابن عامر ، الدولة الحفصية ، ص97 .

(4) ابن الرامي ، الاعلان بأحكام البنيان، ص60 .

(5) ابن خلدون ، المقدمة ،ص445-446 .

(6) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ،ص38 ؛ ابن أبي دينار ،المؤنس ،ص12 .

(7) جوهر ، تونس ، ص97 .

الصناعة وكان يحمل اليها الخشب والقصب من مدينة طبرقة[1]. وكذلك تصنع في مدينة تونس السلال وصناعة الخشب أي اللوح ونقشه وصنع الأثاث منه[2]. ومن الصناعات الخشبية الأخرى التي انتشرت في بلاد المغرب العربي صناعة الاطباق والملاعق والاقلام الخشبية التي أشتهرت بها مدينة تونس[3].

و- صناعة العطور:

أشتهرت مدينة تونس بصناعة العطور، لما لها من مكانة عالية حتى تم تخصيص سوق خاصة تسمى سوق العطارين، في وسط المدينة[4] ، يباع فيه العطور في قوارير طويلة الاعناق، وأشتهرت خاصة بصناعة عطر ماء الورد جميل الرائحة[5]. وهذه السوق من الأسواق التي يكثر عليها الاقبال لا سيما من النساء ، حتى ان العطارين هم دائماً آخر من يغلقون دكاكينهم[6]. لان النساء التونسيات لهن اهتمام كبير بالعطر والزينة[7].

ز- صناعات أخرى:

تشتهر مدينة تونس بصناعات أخرى منها صناعة الملح، إذ توجد في الجهة

---

(1) اليعقوبي ، البلدان ، ص101 ؛ ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص142-143 .

(2) ابن عامر ، الدولة الحفصية ، ص97 .

(3) الخزاعي ، كريم عاتي ، النشاط الأقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب، 1993 ، ص147 .

(4) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ، ص88 ؛ ابن الشماع ، الادلة البينة ، ص57 ؛ الزركشي ،تأريخ الدولتين ، ص117 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ،ص127 .

(5) مقديش ، محمود ، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار ، تح علي الزواوي،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1988، 118/1 .

(6) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 78/2 ؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 223/2 .

(7) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 78/2.

الغربية من مدينة تونس ((ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم)) [1]، وكذلك تشتهر المدينة بإنتاج العسل[2]. ومن خشب الزيتون يصنع الفحم الذي يستعمل في المدينة ، ويتخذهُ الناس حطباً للتسخين[3]، وإشتهرت كذلك بصناعة الورق الذي كان يصنع من الكتان ،حتى انه كان هناك سوق خاص يسمى سوق الوراقين[4]. وقد ذكر انه في سنة 709هـ تم صنع المنجنيق بدار الصناعة في مدينة تونس ورمي به ثلاثة احجار[5].

وفي مدة الخليفة الحفصي أبي يحيى أبي بكر(692-747هـ/1293-1346م)، ازدهرت صناعة الطحين فوجد في المدينة ((ما يزيد على مائة وعشرين طاحونة وكان يطحن بها اربعة الاف قفيز قمحاً كل يوم، الف تبل والف تغربل والف تصنع)) [6]، ومن الصناعات المستخدمة في مدينة تونس واصلها اندلسية ، هي صناعة القلانس (الطاقية) او ما تسمى بالشاشية وهي غطاء للرأس، وفاقت بها تونس عن غيرها من المدن[7]. ويرى ابن خلدون[8] ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها ويستشهد على ذلك بحال تونس فيما حصل بالحضارة من الدولة الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال.

المبحث الرابع: التجــارة :

---

(1) البكري ،المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ،ص40؛ياقوت الحموي ،معجم البلدان،62/2.

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض، ص75 .

(3) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 77/2 .

(4) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص134؛ عبد الوهاب ، ورقات ، 164/2 .

(5) الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص58 .

(6) ابن الشماع ، الادلة البينة ، ص91 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص 136 .

(7) مقديش ، نزهة الانظار،118/1 .

(8) المقدمة ، ص438 .

أولاً : الأسواق:

لم نجد في المصادر– التي بين ايدينا إشارة إلى وجود أسواق في مدينة تونس في بداية تأسيسها ، غير ان متطلبات الحياة الأقتصادية للسكان تقتضي وجود أماكن لعمليات البيع والشراء لكي توفر بعض احتياجات سكان المدينة ومتطلباتهم المعيشية. لكن هذا لا يمنع من وجود أسواق في فترات لاحقة، فقد ذكرت أول إشارة لوجود أسواق في مدينة تونس في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والتي تفيد بوجود صناع مختصين بالنسيج قرب جامع الزيتونة[1].

لقد تعرضت مدينة تونس إلى عدة انتكاسات بفعل التطورات السياسية التي شهدتها أفريقية، مما كان لها أثر كبير على الواقع الأقتصادي ففي القرن الرابع الهجري عندما تعرضت مدينة تونس إلى مهاجمة صاحب الحمار أبي يزيد مخلد بن كيداد سنة 333هـ/944م ، والذي ينسب اليه تدمير الأسواق وتدمير المنازل وفي بداية العصر الصنهاجي ومنذ أيام الولي الصالح محرز بن خلف (365–413هـ/ 975–1022م) الذي مُنِحَ صلاحيات واسعة داخل مدينة تونس من قبل أمير أفريقية المعز بن باديس الصنهاجي (406–454هـ/10160–1062م) تمت اعادة تهيئة الأسواق ، بل وانشاء أسواق جديدة منها ما يعرف بالسويقة، التي اوجدت قرب الباب الذي يحمل نفس الاسم (باب السويقة) [2].

وقد أشار البكري[3] إلى كثرة أسواقها ومتاجرها قائلاً: ((وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة))، وكان في المدينة نوع من الأسواق يسمى بالأسواق المؤقتة والتي كانت تعقد

---

(1) أبو العرب ، طبقات علماء أفريقية وتونس ، ص256 ؛ المالكي، رياض النفوس ، 301/1 ؛ الطالبي ، محمد ، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، نشر الجامعة التونسية ، مط المطبعة الرسمية ، تونس ، 1968 ، ص148 .

(2) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص56 ؛الوزير السراج ، الحلل السندسية ، ص256 ؛ فنطر واخرون ، الحضارة الإسلامية في تونس ، ص107 ؛ ناجي ،عبد الجبار، دراسات في المدن العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة البصرة، 1986 ، ص249.

(3) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص40 .

لأيام معدودة من الاسبوع او الشهر، وانها كانت مجتمعاً كبيراً للتجار المتجولين[1].

ويوجد في مدينة تونس سوق يسمى سوق الاربعاء، ويبدو من تسميته هذه كان يعقد كل يوم اربعاء[2]. وهناك سوق آخر يسمى سوق القشاشين او سوق العصر ، حيث تتم عملية البيع والشراء في هذه السوق بعد صلاة العصر، ويقع حول جامع الزيتونة ويباع فيه الاشياء القديمة[3].

ومن أسواق مدينة تونس الثابتة سوق الصوف قرب جامع الزيتونة، وسوق القطانين باعة القطن وسوق الندافين ، وسوق السراجين[4]. وكذلك السويقة التي تقع بباب السويقة، وهذه من الأسواق القديمة موجودة في القرن الرابع الهجري[5]. وكذلك يوجد سوق يسمى سوق (البركة) وهذا السوق يختص لعرض العبيد وهو من الأسواق القديمة في المدينة[6] وسوق العطارين الذي تم بنائه من قبل الأمير أبي زكريا الحفصي (625-647هـ/1228-1249م) سنة629هـ[7].

وسوق الكتبيين وهذا السوق موجودة في بداية الدولة الحفصية[8]وسوق الكتانين[9],

---

(1) الخزاعي ، النشاط الأقتصادي في المغرب ، ص224 .

(2) عبد الوهاب ، ورقات ، 379/1 ؛ الخزاعي ، كريم عاتي ، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، الجامعة المستنصرية ، 2008، ص50 .

(3) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ، ص88 ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين، هامش 2، ص117؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص145 ؛ الخزاعي ، أسواق بلاد المغرب ، ص50 .

(4) الخزاعي ، أسواق بلاد المغرب ، ص30 .

(5) الوزير السراج ، الحلل السندسية ، ص256 ؛ زبيس ، حول مدينة تونس العتيقة ، ص36 .

(6) عبد الوهاب ، ورقات ، 60/1 .

(7) ابن الشماع ،الادلة البينة ،ص56-57 ؛ابن أبي دينار ،المؤنس ،ص127؛ زبيس ،حول مدينة تونس العتيقة ، ص36 .

(8) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص130 ؛ زبيس ، حول مدينة تونس العتيقة ، ص36 .

(9) الونشريسي ، المعيار المعرب ، 515/2 .

وسوق الرهادنة ويباع فيه الامتعة والالبسة.[1] وسوق النحاس أو سوق الصفارين وتصنع به جميع الاوعية النحاسية ويزود المدينة بما تحتاجه من أواني نحاسية[2]. ويسمى أحياناً سوق الفلقة[3].

وكذلك يوجد سوق آخر يطلق عليه اسم سوق الربع وهو من الأسواق الكبيرة في مدينة تونس ، يفتح بعد طلوع الشمس ويبقى التعامل به إلى آخر النهار[4]. وكذلك يوجد سوق آخر يسمى سوق الشماعين، اختصت هذه السوق بصناعة الشموع، لذلك سميت بسوق الشماعين وظهرت هذه السوق في زمن أبي زكريا الحفصي (625-647هـ/1228-11249م)[5].

وفي فترة حكم المولى أبي يحيى أبي بكر (710-747هـ/1310-1346م) كان بمدينة تونس سبعمائة حانوت للعطارة[6].

وكذلك يوجد سوق يسمى سوق القماش وتنسب هذه السوق إلى السلطان أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) [7].

ويذكر ليون الأفريقي[8] أسواقاً أخرى قائلاً: ((تضم بعض أسواق تونس عدد كبير من تجار القماش الذين يعتبرون اغنى سكان المدينة كما تضم غيرهم من التجار

---

(1) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ، ص88 ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص116؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص142 .

(2) الزركشي ،تاريخ الدولتين ، ص116؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص142؛ زبيس ،حول مدينة تونس العتيقة ،ص36.

(3) القلصادي ، أبي الحسن علي القلصادي (ت 891هـ) ، رحلة القلصادي ، تح، محمد أبو الاجفان ،تونس ،1978 ، ص115 ؛ الباجي ، الخلاصة النقية ، ص81 .

(4) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص288 .

(5) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص127 ؛ الباجي ، الخلاصة النقية ، ص62 .

(6) ابن أبي دينار ،المؤنس ، ص136 ؛الطويلي ، في الحضارة العربية التونسية ، ص18-19 .

(7) زبيس ، حول مدينة تونس ، ص36 .

(8) وصف أفريقيا ، 75/2 .

والصناع كالعطارين وبائعي الاشربة والعقاقير المحلاة بالسكر وتجار العطور والحرير والخياطة والسراجين والفرائين والفاكهانين واللبّانين والخبازين والقصابين))، وقد كان هناك سوقاً للصاغة يعمل به اليهود في مدينة تونس[1]. وقد تركزت أغلب الصناعات داخل المدينة حول جامع الزيتونة، مثل الاقمشة والنسيج والكتب والشموع[2].

كان ترتيب الأسواق على شكل دكاكين متصلة يقابله صف آخر من الدكاكين ولكل سوق مكان خاص به ، وكان على رأس كل صف من هذه الأسواق عريفاً يتم اختياره من بين وجوه تلك الصناعة ، ووظيفة العريف هذا يكون مشرفاً على سير السوق ، ويمنع ما يحصل من غش ويسهر على حسن العلاقة بين اصحاب المهنة وعمالهم واعوانهم[3]. ويرجعون اليه فيما يختلفون فيه من ضروريات الصنعة[4]. وقد تقوم الدولة ببناء هذه الدكاكين على نفقتها في مكان مربع الشكل ويحيط به سور من كل الجهات ويدخل اليه من باب واحد[5].

ومن أعظم مآثر السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1434م)، الغاء الضرائب التي كانت مفروضة على جميع أسواق تونس ((وهي مجابي كانت موقفه بجميع أسواق تونس لا يباع شيء قل او جل إلا ويودي بائعه لجانب السلطان شيئاً معلوماً من درهم إلى دينار.... وتركها فانقطع ضررها عن الناس)) [6]، يبدو من خلال هذا النص ان رفع هذه الضرائب كان له الأثر الكبير على التعامل الأقتصادي داخل الأسواق وانعكس ايجاباً على سكان المدينة.

---

(1) البرزلي ، فتاوي البرزلي ، 90/4 .

(2) أبو العرب ، طبقات علماء أفريقية وتونس، ص256 ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 90/4 .

(3) مقديش ، نزهة الانظار ، 118/1 ؛ عبد الوهاب ، ورقات ، 58/1 و77/2 .

(4) مقديش ، نزهة الانظار ، 118/1 .

(5) عبد الوهاب ، ورقات ، 72/1 .

(6) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ، ص87 .

ثانياً : التعاملات النقدية :

أ- الأسعار:

لم تكن الأسعار في الأسواق بمعزل عن الأحداث السياسية والعوامل الطبيعية فكانت ترتفع مرة وتنخفض مرة أخرى، وقد تختلف من مكان إلى آخر وذلك بحسب ظروف كل بلد من البلدان وكل مدينة من المدن من الظروف السياسية ومدى توفر المنتجات والكوارث الطبيعية والأزمات الأقتصادية، ففي فترات الرخاء واستقرار الأوضاع السياسية يكثر الانتاج ويفيض عن الحاجة فتقل الأسعار.

وفي مدينة تونس كانت أواسط الأسعار في أغلب الأحيان يكون قفيز القمح بخمسين درهماً وكذلك الشعير، أما اللحوم فنجد أن سعر اللحم الضان عندهم كل رطل افريقي بدرهم قديم(1) وبقية أسعار اللحوم الأخرى أرخص من ذلك وفي فصل الربيع يقل هذا السعر(2). بينما نجد ان أسعار الزيت الذي كانت تمتاز به عموم أفريقية، فنجده رخيصاً كل مائة وستون قفيزاً بدينار(3). في حين يذكر الأدريسي(4) أن السمك الموجود في مدينة تونس كثير وفي الوقت نفسه رخيص جداً. لكن دون تحديد أي سعر له.

وعندما تتعرض البلاد إلى ثورات واضطرابات سياسية فانها تنعكس على الجانب الأقتصادي، فعندما يكون هناك صراع عسكري فان السكان لا يستطيعون القيام بالزراعة والتجارة وهذا مما لاشك فيه يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، فعندما تعرضت البلاد

---

(1)الدرهم القديم ((ان دراهمهم على نوعين ، أحدهما يعرف بالقديم ، والآخر بالجديد ، ووزنهما واحد الا ان الجديد منها خالص الفضة والقديم مغشوش بالنحاس للمعاملة ، وتفاوت ما بينهما ان كل عشرة دراهم عتيقة بثمانية دراهم جديدة)) ، القلقشندي ، صبح الأعشى ،114/5 .

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى ،114/5-115 .

(3) المالكي ، رياض النفوس ، 285/2 .

(4) وصف أفريقيا الشمالية ، ص84 .

نتيجة ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (333-336هـ/944-947م) ضد الفاطميين، نتج عنها أزمة اقتصادية أدت بالتالي إلى زيادة الأسعار في الأسواق[1]. وفي سنة 395هـ/1005م اشتد الغلاء بأفريقية واعقبه وباء عظيم[2]. يبدو من خلال هذا ان الغلاء الذي شهدته أفريقية أدى إلى نقص في المواد الغذائية وبالتالي إلى انتشار الأمراض. وفي سنة 406هـ/1016م كان بأفريقية غلاء أدى إلى ارتفاع الأسعار[3]. وفي سنة 413هـ/1021م كان بأفريقية غلاء شديد ومجاعة عظيمة[4].

وقد تعرضت أفريقية سنة 483هـ/1091م إلى مجاعة شديدة أدت إلى ارتفاع الأسعار، بينما انخفضت الأسعار بسبب الرخاء سنة 484هـ/1092م[5]. كما ارتفعت الأسعار نتيجة للمجاعة الشديدة التي شهدتها أفريقية سنة 491هـ/1099م والتي هلك فيها كثير من الناس[6]. كما حدث في سنة 536هـ/1141م غلاء شديد وموت كثير حتى اضطرت أفريقية إلى استيراد الحبوب من صقلية[7]. وفي سنة 543هـ/1148م عندما استولى الروم كانت بأفريقية ((مجاعة عظيمة ، فخاف أهل تونس من أهل هذه السواحل من النصارى)) [8].

وخلال سيطرة بني مرين على مدينة تونس سنة 749هـ/ 1348م ارتفعت الأسعار وحدث الغلاء، فكان سعر القفيز من القمح ثمانية دنانير من الذهب[9]. وفي سنة 755هـ/1355م ارتفع سعر الطعام بتونس إلى ان بلغ سعر القفيز من القمح أحد

---

(1) المالكي ، رياض النفوس ،2/ 284-285 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ،ص56 .

(2) النويري ، نهاية الارب ،106/24 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،321/7 .

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، 373/7 ؛ النويري، نهاية الارب ، 115/24 .

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب302/1 .

(6) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،402/8 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب،302/1 ؛ النويري ، نهاية الارب ،130/24 .

(7) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، 12/9 .

(8) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 313/1 .

(9) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص139 .

عشر ديناراً من الذهب والشعير إلى النصف من هذا السعر[1]. وفي اوائل عام 862هـ/1458م يقول الزركشي[2]:((اصاب الناس بتونس غلاء في الطعام بلغ قفيز القمح اربعة دنانير ذهباً والشعير على الشطر من ذلك فتشكى الناس قلة الطعام وغلاؤه للسلطان فأمر ان يخرج من المخزن في كل يوم ما يصنع منه الف خبزه وتفرق على الفقراء بتونس)) وكان السلطان في تلك الفترة هو السلطان أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) فاخذ بتوزيع الخبز على الفقراء من شهر ربيع الثاني إلى شهر رجب من العام نفسه حتى كثر الطعام ورخص ثمنه. وهذا يدل على ان الأسعار تتحكم فيها ظروف طبيعية مثل الكوارث والاوبئة بالإضافة إلى الحروب والعوامل السياسية وعدد السكان .

ويذكر ابن خلدون[3]:((فإذا إستبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضروري من القوت ..... وغلت أسعار الكمالي)) و ((ان الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه غالٍ بفقدانه إذا مست الحاجه اليه)) [4].

ب- السكـــة:

يمكن تعريف السكة بانها((الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور او كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك في

(1) الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص95 .

(2) تاريخ الدولتين ، ص150 .

(3) المقدمة ، ص398 .

(4) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/868م) ، التبصر بالتجارة، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه حسن حسني عبد الوهاب ، ط2 ، (المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1935) ، ص9 .

خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير اشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عدداً ، وان لم تقدر اشخاصها يكون التعامل بها وزناً)) [1].

ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم، وهي وظيفة ضرورية للملك، إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات[2]. لقد كان التعامل في منطقة الشمال الأفريقي قبل الفتح العربي الإسلامي بالنقود البيزنطية، وهذا النقد الذي وجده العرب رائجاً في سائر انحاء البلاد عند الفتح العربي الإسلامي، وقد اقر المسلمون التعامل بهذه النقود وقبلوها في مغارم الصلح والجزية[3].

وفي العصر الفاطمي(296-362هـ/908-973م) قام أبو عبد الله الداعي بتعين أبا بكر بن القمودي المعروف بالفيلسوف وأمره بضرب أول دنانير فاطمية نقش عليها كلمة (الحمد لله رب العالمين) واسماها السيدية وذلك في أواخر سنة 296هـ/909م[4].

وفي سنة 298هـ/910م قام الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي بضرب دنانير رسم على وجهها (بلغت حجة الله) وفي وسطها (تفرق أعداء الله)، وكانت العملة الفاطمية هي السائدة في جميع بلاد أفريقية[5]، إلى ان قام المعز بن باديس الصنهاجي (406-454هـ/1016-1159م) في سنة 441هـ/1049م بإلغاء السكة المتداولة وهي سكة الفاطميين، وضرب دنانير جديدة نقش في وسطها ((ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرةِ من الخاسرين)) وعلى الوجه الآخر ((لا اله الا الله محمد رسول الله)) وقال: ((انه من تصرف بمال عليه اسماء بني عبيد نالته العقوبة الشديدة))

---

(1) ابن خلدون، المقدمة ،ص285 .

(2)ابن خلدون، المقدمة ،ص285 .

(3) عبد الوهاب، ورقات، 398/1-399 .

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، 151/1 ؛ عبد الوهاب ، ورقات, 437/1.

(5) عبد الوهاب، ورقات، 37/1 .

وسمي هذا الدينار بالدينار التجاري[1].

وفي وصفه لأقليم المغرب يذكر المقدسي[2]:((واما نقوده في جميع اعماله إلى اقصى دمشق فالدينار يزلُّ عن المثقال بحبة أعني شعيرة، والسكة مدورة الكتابة وله ربع صغير يؤخذان بالعدد والدرهم ايضاً زالٌّ له نصف يسمونه القيراط وربع وثمن ونصف ثمن يسمونه الخرنوبة يؤخذ الجميع بالعدد)).

وفي مدة بني خراسان (450-554هـ/ 1057-1159م) لم تسعفنا المصادر التي بين ايدينا عن عملتهم ومكانها سوى إشارة واحدة لأحد المؤرخين المحدثين أشار فيها إلى ان ((بنو خراسان ضربوا دينارهم بتونس)) [3]، مع العلم ان مؤرخ تونس حسن حسني عبد الوهاب لم يشر إلى هذه قائلاً: ((فإنا لا نعلم شيئاً عن مسكوكاتهم ان كانت لهم))[4]. لكن الواقع الأقتصادي والسياسي يجعل بني خراسان عندما استقروا بمدينة تونس وأصبحت امارة مستقلة ، فمن الطبيعي ان يكونوا قد سكوا نقودهم الخاصة بهم.

أما عن نقود الموحدين فقد قاموا بضرب دينار موحدي في مدينة تونس بين سنتي 554هـ و558هـ بتونس[5]. وقد عملوا على تبديل شكل الدرهم الفضة وجعلوه مربع

(1) ابن عذاري ، البيان المغرب، 278/1-279؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 259/2 ؛ عبد الوهاب ، ورقات، 445/1-447 .

(2) المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد (ت380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، علق عليه محمد امين الضناوي، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 ، ص193 .

(3) باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص87 .

(4) ورقات، 450/1 .

(5) محمد، عبد النبي، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات العليا، جامعة الملك عبد العزيز، 1979 ، ص60 .

الشكل، بينما كان في السابق مدوراً، ووضعوا الدينار الذهبي مدوراً[1].

وفي العصر الحفصي ظهرت العملة الحفصية منذ قيام الأمير أبو زكريا الحفصي (627-647هـ) أول السلاطين الحفصين، فقام بسك دينار باسمه مدور الشكل وفي وسطه مربع في دار سك النقود بتونس، وهو يشبه الدينار الموحدي ومكتوب عليه في الدائرة من الوجه الأول ((بسم الله الرحمن الرحيم-صلى الله على سيدنا محمد- والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)) وفي وسط المربع ((الواحد الله-محمد رسول الله-المهدي خليفة الله وفي الدائرة على الوجه الثاني الأمير الاجل أبو زكريا يحيى- بن أبي محمد بن أبي حفص- وفي وسط المربع- أبو محمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين- الحمدُ لله رب العالمين.))[2] وكانت الكتابة على السكة بالخط الكوفي المزخرف او بالخط الأندلسي[3]. أما الكتابة على الدرهم فكان يكتب في الوجه- لا اله الا الله، الأمر كله لله، لا قوة الا بالله، وفي الوجه الاخر- الله ربنا- محمد رسولنا- المهدي امامنا.[4] وقد تغير شكل الدينار في زمن الخليفة المستنصر بالله الحفصي (647-675هـ/1249-1277م) بعدما وصلت اليه بيعة بلاد الحرمين الشريفين في مكة المكرمة سنة 657هـ، حيث أصبحت العبارة التي تكتب على الدينار- المستنصر بالله- المؤيد بنصر الله-أمير المؤمنين- وفي وسط المربع أبو عبد الله محمد- من الأمراء الراشدين[5].

واستحدث الخليفة المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) سكة من النحاس مقدرة على قيمته من الفضة، في شهر ربيع الأول سنة 660هـ/1260م ،

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة، ص286 ؛ باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص87 ؛ عبد الوهاب ، ورقات، 454/1 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص25 ؛ ابن عامر، الدولة الحفصية، ص24 ؛ عبد الوهاب، ورقات، 455/1-456 .

(3) ابن عامر، الدولة الحفصية، ص24.

(4) ابن عامر، الدولة الحفصية، ص25 .

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص34 ؛ ابن عامر، الدولة الحفصية، ص24 ؛ عبد الوهاب، ورقات، 456/1 .

تسهيلاً على الناس في المعاملات باصرافها وتيسيراً لاقتضاء حاجاتهم، واطلق عليها اسم الحندوس (يعني السوداء) [1]. الا انه سرعان ما دب في هذه السكة الفساد والغش بواسطة جماعة من اليهود المتناولين لصرفها وصياغتها بسبب نقصها عن الوزن، وتضرر الناس بها فأمر السلطان بقطعها في شهر شوال من سنة 660هـ[2]. وفي عهد السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839–893هـ) جدد ضرب دراهم الفضة واطلق عليها اسم الناصري وجزأهُ إلى (خمسي) وهو خمسة أسداس الدرهم، وإلى خروبه وهي أربعة أسداس الدرهم وإلى نصف ناصري وهو ثلاثة أسداس وإلى قفصي وهو القيراط يعني سدس الدرهم[3].

وعن وزن الدينار يذكر أحد المؤرخين قائلاً: ((ويزن الدينار الذي يضربه ملك تونس اربعة وعشرين قيراطاً أي ما يعادل (دوكة) وثلثاً مما يروج منها في أوربا، وسبك ايضاً عملة فضية مربعة الشكل تزن ستة قراريط، وتساوي ثلاثون منها او اثنان وثلاثون منها ديناراً واحداً)) [4].

وكان مما يدخل في وظيفة دار السكة طبع الصنوج التي يأذن الأمراء بها، والصنج هو قطعة مدورة بقدر الدرهم وتتخذ من الزجاج ويرسم على أحد وجهيها فقط كتابة بارزة تدل على ان مثقالها هو وزن الدرهم او الدينار الرسمي الشرعي[5]. وقد استخدم الفاطميون نوع آخر من الصنوج تصنع من الرصاص وتنقش عليها اسم

---

(1) ابن خلدون، التاريخ، 313/6؛ ابن الشماع، الادلة البينة، ص67 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين ، ص38 ؛ عبد الوهاب , ورقات ، 458/1 .

(2) ابن خلدون، التاريخ، 313/6؛ ابن الشماع، الادلة البينة، ص67 ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين، ص38 .

(3) ابن عامر، الدولة الحفصية، ص25 ؛ عبد الوهاب ،ورقات، 459/1–460 ؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 74/2 .

(4) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا ، 81/2 .

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص193 ؛ عبد الوهاب ، ورقات، 419/1 .

الخليفة الفاطمي[1]. وبعد تقدير هذه الصنوج بالوزن الثابت تطبع في دار الضرب ثم توزع على الصيارفة والتجار وحتى إذا تقدم اليهم من يريد صرف درهم او دينار يمكن للصيرفي او التاجر ان يختبر وزنها بالصنج الذي لديه[2].

ج - الأوزان والمكاييل والمقاييس:

للأوزان والمكاييل والمقاييس أهمية كبيرة في الحياة الأقتصادية لأي بلد من البلدان او لأي مدينة من المدن، وذلك بسبب التعامل اليومي عن طريقها مع السكان خلال عمليات البيع والشراء وقد تنوعت هذه الوحدات واختلفت من مكان إلى آخر، وكان للتقاليد المحلية والضرورات الأقتصادية هي التي حتمت على كل بلد يختار الوحدة الملائمة له.[3] لقد أشار المقدسي[4] إلى موازين أهل المغرب فقال: ((اما اوزان أهل المغرب فكانت بغدادية في الاقليم كله الا الذي يوزن به الفلفل يشف على البغدادي بعشرة دراهم والان هو المستعمل في اعمال الفاطمي بالمغرب كله)) ويضيف بان أرطاله من رصاص كل رطل في مدينة تونس يساوي اثنا عشر اوقية، والاوقية اثنا عشر درهماً[5]. إذ كان قبل العصر الفاطمي الرطل في شمال أفريقية يساوي 130 درهماً (406,25 غم) الا رطل الفلفل فقد كان يزن 140 درهما (437,5 غم).

وفي زمن الفاطميين تم زيادة الرطل إلى 140 درهماً في جميع الاحوال (437,5 غم) [6]، في حين يذكر العمري[1]: ((ورطلها ست عشرة اوقية، وزن الاوقية واحد

---

(1) عبد الوهاب ، ورقات، 423/1 .

(2) عبد الوهاب ، ورقات، 421/1 .

(3) السامر، فيصل ، ملاحظات في المكاييل والأوزان الإسلامية وأهميتها، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد ، العدد الثاني (1970-1971) ص707-708 .

(4) أحسن التقاسيم ، ص192-193 .

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص193 ؛ الخزاعي ، النشاط الأقتصادي في المغرب، ص250 .

(6) هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة الدكتور كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان , 1970، ص36 .

وعشرون درهماً من دراهما))، وقد ذكر ان هناك انواع من الارطال بحسب نوع المادة الموزونة، فهناك الرطل العطاري ذو ست عشرة اوقية البالغ وزنه (504غم) ويستعمل هذا الرطل لوزن المواد الثمينة والمعادن المختلفة، والرطل الآخر ذو ثمانية عشرة اوقية والبالغ وزنه (567غم) ويسمى الرطل السوقي ويستعمل لوزن المواد الغذائية(2).

والرطل الاخير يسمى الرطل الشرعي البالغ وزنه (8 ,380 غم) أي ما يساوي (128 درهم) من درهم الكيل(3). وقد كانت الوحدة التي استخدمها الحفصيون للوزن تتمثل في الأوقية التي يبلغ وزنها (31,48 غم) أما بالنسبة إلى الذهب والمواد الثمينة فقد إستخدم الحفصيون وحدة وزن أصغر وتسمى المثقال البالغ وزنه (4,72 غم)، وبذلك يكون وزن الدرهم الذي يتناسب مع هذا المثقال يساوي (3,3 غم) (4). وقد كانت الأوقية إحدى وحدات الوزن، إذ يبلغ وزنها الشرعي 40 درهماً وتساوي (125غم) والأوقية يختلف وزنها من مكان إلى آخر مثل الرطل(5). وقد ذكر أن تباين واختلاف الأوزان بتباين واختلاف البضاعة يدل على دقة التنظيم الأقتصادي(6).

أما ما يتعلق بالمكاييل، فكان المكيال المستخدم في العصر الفاطمي (296-362هـ) يسمى الدّوار ((وهي التي تشقُ على ويبة مصر بشيء يسير قد أُلجم رأسها بعارضة من حديد واقيم عمود من قاعها إلى العارضة فوقه حديد يدور على رأس الويبة فإذا اترعها ادار الحديدة فمسحت فم الويبه وصح الكيل)) (7).

ويبدو أن للصراعات السياسية دور كبير حتى على الأوزان والمكاييل لذلك نجد أنه

---

(1) مسالك الابصار، 87/4 ؛ ينظر، القلقشندي، صبح الأعشى، 114/5 .

(2) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 261/2 .

(3) باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص89 .

(4) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 260/2 ؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص18 .

(5) هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص19-20 ؛ الخزاعي ، النشاط الأقتصادي في المغرب العربي ، ص258 .

(6) السامر، ملاحظات في المكاييل والأوزان، ص699 .

(7) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص193 .

بعد الصراع والقطيعة التي حصلت في عهد الأمير المعز بن باديس (406-454هـ) مع الحكام الفاطميين سنة 441هـ أدت إلى أنه ((بدد سككهم وغير مكاييلهم ونقض اوزانهم)) (1)، ولمدينة تونس مكاييل أخرى ((فلهم كيلان أحدهما يسمى القفيز، وهو ست عشر ويبه، وكل ويبه اثنا عشر مداً قروياً، وهو ما يقارب المد النبوي، والثاني يسمى الصَّحْفة وكل صحفة اثنا عشر مداً)) (2).

أما بالنسبة إلى كيل السوائل والزيت على وجه الخصوص فقد تم استخدام وحدة الكيل التي تسمى (المطر) والمطر في مدينة تونس تساوي 20,69 لتراً، وكذلك تم استخدام وحدة أخرى هي (الجرة) إذ انها تساوي ثلاثة أمطار (3).

وفي مدينة تونس قام الحفصييون بتغير القفيز الذي اصبح يساوي (الوسق الشرعي) أي 175,92 لتراً وصار يتضمن عشر صحاف وتسمى ايضاً الويبه أي تساوي 17,59 لتراً وتشمل كل صحفة على 12 مداً ويسمى الصاع الذي يساوي 1،46 لتراً(4).

وقام الحفصييون بإصلاح مكاييل تونس على مقتضى الشريعة الإسلامية في الزكاة فصير (الوسق الشرعي) في القدر كالقفيز التونسي الذي عرف منذ عهد الموحدين، والذي يقدر بـ(ست عشرة) ويبه(5). حيث ان القفيز ست عشر ويبه، وكل ويبه اثنا عشر مداً قروياً يقارب المد النبوي وهي ثمانية بالكيل الحفصي(6). وكان

---

(1) الزهري، كتاب الجغرافية، ص109 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 279 .

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى، 114/5 ؛ باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي، ص89 .

(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص27 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 262/2 .

(4) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار، 87/4 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 262/2.

(5)ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 87/4 ؛ الخزاعي، أسواق بلاد المغرب، ص172 .

(6) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص27 ؛ ابن فضل الله العمري ،مسالك الابصار، 87/4 .

يشترط في المكيال أن توضع في أعلاه علامة تحدد مقدار الكيل بحيث يراها البائع والمشتري[1].

ومن الملاحظ أن المكاييل والأوزان لم تكن موحدة ولم تسعَ الدول الإسلامية بالمغرب العربي إلى بذل جهودها في توحيد الأوزان والمكاييل لذلك نجد التجار دائماً ينصون على بيان نوع الوزن والكيل في وثائق البيع والشراء، وهذا ما أدى إلى حدوث مشاكل بين التجار[2].

أما ما يتعلق بالمقاييس المستخدمة في الطول فتتمثل في الذراع وتقاسيمه وهي الشبر والقبضة والاصبع، كما يتمثل في قامة الأنسان التي يتراوح طولها 1,65 او 1,70[3]. إذ ان الذراع تساوي 0,48 متراً والشبر يساوي 0,24 متراً (نصف الذراع) والقبضة تساوي 0,08 متراً (أربع أصابع وسدس الذراع)، والاصبع يساوي 0,02 متراً.[4]وكذلك من الوحدات الأخرى الفرسخ وهو يتألف من ثلاثة أميال وكل ميل يساوي 1000 باع وكل باع تساوي أربع أذرع شرعية، أي ان طول الفرسخ حوالي 6كم[5]. والميل الذي يساوي 3/1 فرسخ يساوي 2كم[6] .

وقد شاع استخدام الجريب، الذي هو وحدة قياس مساحة الأراضي الزراعية، ويساوي شرعاً في أوائل العصور الإسلامية 100 قصبة مربعة، علماً بان القصبة تساوي 399سم وبذلك يكون الجريب على الدقة يساوي 1592 متر مربعاً[7].

---

(1) السامر، ملاحظات في المكاييل والأوزان الإسلامية، ص702 .

(2) موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص297 .

(3) ادريس، الدولة الصنهاجية، 267/2 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 263/2 .

(4) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 263/2؛ باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي، ص88 .

(5) هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص94 .

(6) هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص95 .

(7) هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص196؛ الكبيسي ، فرات حمدان عبد الحميد ، وحدات الوزن والكيل والطول والمسافة حتى نهاية العصر الاموي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد ،1990، ص197 .

ثالثاً : طرق التجارة ومسافاتها :

أ- الطرق التجارية:

تعد مدينة تونس ذات أهمية كبيرة لأنها في فترة من الفترات التاريخية كانت مقراً للخلافة الإسلامية، لذا نجد من الطبيعي ان ترتبط المدينة بشبكة طرق تربطها مع المناطق الأخرى مما ساعد على قيام حركة تجارية نشطة بين المدن الداخلية.

الطريق من تونس إلى القيروان، فمن تونس إلى منزل باشوا[1] بينهما قرى آهله، ثم من منزل باشوا إلى قرية الدواميس مرحلة وهي كثيرة باشجار الزيتون بينهما قصر الزيت ووادي الدمنة ووادي الرمال ومن قرية الدواميس إلى القيروان[2]، ((ومن أراد طبرقة من تونس على الجادة اجتاز على مدينة باجة وهي مدينة قديمة ازلية كثيرة القمح والشعير ولها من الغلات والزروع ما ليس بجميع المغرب))[3] فمن مدينة تونس إلى طبرقة[4] عشرة مراحل ، ثم إلى تنس ست مراحل[5].

وطريق تونس إلى باجة ثم إلى طبرقة ومنها إلى مدينة بنزرت[6]. والطريق من

---

(1) منزل باشوا: وهي بلد بجزيرة شريك، وباشوا قبلة مدينة تونس، وهي مدينة كبيرة آهله ، بها جامع وأسواق عامرة وحمامات .الحميري ، الروض المعطار، ص76 .

(2) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص45 .

(3) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص76 .

(4) طبرقة: وهي مدينة بالمغرب على ساحل البحر قرب باجة، وهي عامرة لورود التجارة اليها وفي الشرق منها قلاع تسمى قلاع بنزرت.ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،16/4 .

(5) الأصطخري ،أبو اسحاق ابراهيم بن محمد(ت360هـ)، المسالك والممالك ، تح، محمد جابر عبد العال الحسيني، مطبعة بريل ليدن، 1889، ص46 ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص197 .

(6) بنزرت: وهي مدينة على ساحل البحر، لها سور من صخر، بها جامع وأسواق وحمامات،

القيروان إلى تونس مائة ميل وهي ثلاث مراحل، فإلى فندق شكل مرحلة وإلى منستير عثمان مرحلة وإلى القيروان مرحلة، وطريق آخر من تونس إلى منزل باشوا إلى الدواميس إلى القيروان[1]. ومن مدينة تونس إلى جزيرة شريك إلى منزل باشوا إلى مدينة سوسة[2]. ومن مدينة بجاية[3] إلى تونس كانت الطريق تمر عادة من قسنطينة، وتحيد أحياناً باتجاه عنابة ثم تتبع وادي مجردة[4].

وتتميز الطرق الداخلية بتفرعاتها المتعددة، فهناك فرع يمتد من قابس[5] إلى القيروان ويلتقي مع الطريق الساحلي عند تونس، وآخر عند مدينة المهدية إلى القيروان ثم إلى تونس، ومن مدينة تونس يتخذ الطريق الداخلي مسلكين إلى قسنطينة، فمن تونس إلى باجة ثم إلى بونة[6] ومنها إلى قسنطينة، والثاني من تونس إلى الأربس إلى

البكري ، المغرب، ص58 ؛ الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية، ص84 .

(1) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ،ص37 .

(2) سوسة: وهي مدين يحيط بها البحر من ثلاث جهات ،لها سور منيع من الصخر، لها أسواق كثيرة، مخصوصة بكثرة الامتعة والثمار ، رخيصة الأسعار. البكري ،المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص34 و ص45 .

(3) بجاية: وهي مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب، أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في حدود سنة 457هـ بينها وبين جزيرة مزغناي أربعة أيام، كانت في البداية ميناء ثم اختطت المدينة، وتسمى ايضاً الناصرية نسبة إلى الناصر بن علناس. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 339/1 .

(4) برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 248/2 .

(5) قابس: وهي مدينة لها سور من الصخر، لها ارباض وأسواق وفنادق وجامع وحمامات كثيرة وقد أحاط بها خندق كبير، ولها ثلاثة أبواب ، وفيها جميع التجار. البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص17.

(6) بونة: وهي مدينة بأفريقية بين مرسى الخزر وجزيرة بني مزغناي، وهي مدينة حصينة على ساحل البحر ذات ثمر وزروع، وفيها مساجد وأسواق ، وبها معدن الحديد. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،512/1 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص115 .

قاله ثم قسنطينة[1].

أما عن الطريق الساحلي من مدينة طرابلس ومنها إلى قابس عشر مراحل، ومن مدينة قابس إلى مدينة صغيره على الساحل تدعى صفاقس اربع مراحل، ويستمر الطريق من صفاقس إلى مدينة المهدية وبينهما ثلاث مراحل، ومن المهدية إلى المنستير إلى مدينة سوسة مرحلتان وسوسة تنسب لها الثياب السوسية، ومن سوسة إلى مدينة الحمامات وصولاً إلى مدينة تونس ثلاث مراحل[2]، ويواصل الطريق الساحلي من مدينة تونس إلى بلدة صغيرة تسمى بنزرت، وبينها وبين تونس يوم تام في البحر ، ومن بعدها إلى مدينة صغيرة على ساحل البحر تسمى بونة ومن مدينة بونة إلى مدينة قسنطينة خمس مراحل[3]. (ينظر ملحق رقم 1 ص277) .

ومن قسنطينة إلى مدينة بجاية خمس مراحل (وبجاية دار ملك بني حماد من الصنهاجيين) ومن بجاية إلى مدينة صغيرة تدعى الجزائر (وتنسب إلى قوم يقال لهم بني مزغنة[4]) ومنها إلى مدينة تنس اربع مراحل ومنها إلى مدينة وهران سبع مراحل ومن مدينة وهران إلى مدينة سبتة ثماني عشرة مرحلة[5].

ويجب التنويه إلى ان هذه الطرق قد تأثرت هي الأخرى بالفوضى والأضطرابات التي شهدتها منطقة الشمال الأفريقي عامة ومدينة تونس خاصة من خلال غزو قبائل بني هلال وبني سليم للمنطقة، إذ أصبحت الطرق غير امنة ومستقرة، ولها تأثيرات

---

(1) جبودة، مريم محمد عبد الله، التجارة في أفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي، اطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، 2008 ، ص172 –177 .

(2) المراكشي، المعجب ، ص250–251 ؛ ابن بطوطة، الرحلة ، 169/1 .

(3) المراكشي، المعجب ، ص252 ؛ مجهول، الأستبصار، ص125 ؛ يقدر المسافة بين تونس وبنزرت بيومان. ياقوت الحموي، معجم البلدان ،499/1 ؛ يقدر المسافة بين تونس وبنزرت بيومان، ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع، 225/1 .

(4) بني مزغنة: جزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف البحر، وفيها أسواق كثيرة، وأكثر أموالهم المواشي وفيها العسل والسمن والتين وانواع أخرى من الزرع. ابن حوقل، صورة الأرض، ص77 .

(5) المراكشي، المعجب ، ص253 .

كبيرة على مدينة تونس، إذ انغلقت على نفسها في مدة حكم بني خراسان، ومما ساعد على اتساع نطاق التبادل التجاري البحري مع اوربا بسبب انعدام الأمن البري الذي تسبب في تعطيل التجارة عن طريق القوافل[1]. لكن الطريق البري عاد إلى الإزدهار من جديد بسبب استتباب الأمن والأستقرار مع الحكم الموحدي وخضوع المنطقة إلى سلطة قوية مركزية. وتجدر الأشارة إلى ان الطريق الساحلي قد انتعش بشكل ملحوظ خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري، إذ نجح الموحدون في ضبط الساحل وانعاشه اقتصاديا وكثر استعمال هذا الطريق وازدهرت مدنه التجارية وخاصة مدينة تونس، وبقي الانتعاش الأقتصادي الذي شهده الطريق الساحلي خلال فترة الحكم الحفصي[2] مما أدى إلى رواج التجارة وإزدهارها مع المدن الأخرى.

ب- المسافـــــات:

لقد ذكرت المصادر التاريخية المسافات بين تونس والمدن الأخرى، وذلك لكي نتعرف من خلالها على المسافة التي تفصل مدينة تونس بالمدن الأخرى، إذ تم ذكر المسافة بين مدينة القيروان ومدينة تونس بثلاثة أيام[3]. وبين مدينة تونس وبين مدينة بنزرت يومان[4]، في حين يقدرها الادريسي ((بيوم كبير في البر)) [1]. ومن مدينة

---

(1) الأدريسي، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81 ؛ الدولاتلي ، مدينة تونس، ص48 ، موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص308 .

(2) جبودة ، التجارة في أفريقيا وطرابلس الغرب، ص171-172 ؛ موسى ، النشاط الأقتصادي، ص308-311 .

(3) القزويني ، آثار البلاد ،ص174 ؛ مجهول ، الأستبصار، ص120 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص134 .

(4) مجهول ، الأستبصار ، ص125 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ،499/1 ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الأطلاع، 225/1.

تونس إلى مدينة باجة يومان[2]. ومن جبل زغوان[3] إلى مدينة تونس يومان[4]. ومن جبل وسلات[5] إلى مدينة تونس يومان[6]. ومن مدينة تونس إلى طرابنش وهي جزيرة صقلية، مدينة قديمة مسورة، بينها وبين تونس مسيرة يوم وليلة ، والسفن منها واليها لا تتعطل شتاءً وصيفاً وبها السوق والحمام وكل ما يحتاج اليه من مرافق المدن[7].

وبين مدينة تونس ومدينة صفاقس ثلاثة أيام[8]. والمسافة بين جزيرة قرسقة وهي جزيرة للنصارى، يقال بالقرب من سردانية، بينها وبين ساحل تونس أربعة أيام[9]. ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس وهي على ساحل البحر فركب البحر يسير فيه مسيرة عشرة أيام مسحلاً غير موغل[10].

وذهب قسم من المؤرخين إلى استخدام المرحلة[11] كوحدة قياس لتحديد المسافة

---

(1) وصف أفريقيا الشمالية ،ص83؛ ويوم تام في البر للمجد عند المراكشي ،المعجب ،ص252 .

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى ، 105/5 .

(3) جبل زغوان : جبل عظيم بقرب جزيرة شريك من أعمال تونس، يستدل به المسافرين أينما ذهبوا فانه يرى على مسيرة أيام وبزغوان قرى كثيرة آهله، كثيرة الماء والثمار والبساتين، الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية، ص87 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص294 .

(4) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 146/4 .

(5) جبل وسلات: فيه عمارات كثيرة ومياه جارية ، وفيه حصون، يسكن فيه قبائل من عرب المغرب ، لهم مواشي وابقار واغنام. الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص87–88 .

(6) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية، ص87 .

(7) الحميري ، الروض المعطار ، ص390 .

(8) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 60/2 .

(9) الحميري ، الروض المعطار ، ص455 .

(10) اليعقوبي ، أبي يعقوب احمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح (ت292هـ) ، البلدان ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ ، ص192 .

(11) المرحلة: هي أحدى وحدات قياس الطول والمساحة وتساوي 30000 (ثلاثين الف متر). باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص88 .

بين تونس والمدن الأخرى.[1] وعلى هذا فقد كانت المسافة بين مدينة تونس ومدينة القيروان ثلاث مراحل، ومن تونس إلى طبرقة عشرة مراحل[2]. ومن مدينة تونس إلى منزل باشوا (وهي مدينة كبيرة أهلة بها جامع وحمامات وأسواق عامرة) مرحلة ، بينهما قرى كبيرة اهلة.[3] ومن جبل زغوان إلى مدينة تونس مرحلة[4]. ومن مدينة الأربس إلى مدينة تونس مرحلتان، وبين تونس ومدينة الحمامات مرحلة كبيرة، وهذه المرحلة هي عرض الجزيرة المسماة باشوا، وهي أراضي طيبة تكثر فيها زراعة الزيتون[5]. ومن مدينة تونس إلى مدينة عنابة ست مراحل[6]. ومن مدينة تونس إلى مدينة بونة ست مراحل[7]. ومن مدينة تونس إلى مدينة سوسة ثلاث مراحل[8].

في حين نجد ان قسماً من المؤرخين استخدم وحدة قياس أخرى لتقدير المسافة بين تونس والمدن الأخرى ذاكراً المسافة بالميل[9]. وعلى هذا الأساس تكون المسافة بين مدينة القيروان وتونس مائة ميل.[10] وبين مدينة تونس ومدينة طنبذه[1] عشرة أميال[2].

---

(1) الأصطخري ، المسالك والممالك ، ص37 و46 ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص197 ، البكري ، المسالك والممالك ، 222/2 .

(2) الأصطخري ، المسالك والممالك ، ص37 ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص197 ؛ البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص37 .

(3) البكري ، المسالك والممالك ،222/2 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 136/2 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص76 .

(4) البكري ، المسالك والممالك ،222/2.

(5) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ،ص87-93 ؛ مقديش ، نزهة الانظار ، 125/1-126 .

(6) باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص81 .

(7) المراكشي ، المعجب ، ص252 .

(8) المراكشي ، المعجب ، ص252 .

(9) الميل: وحدة قياس ويساوي ثلث فرسخ أي 1848 متر. الكبيسي، وحدات والكيل والطول والمسافة ، ص171؛ البكري ، المسالك والممالك ، 210/2-216 ؛ الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص92 ؛ مجهول، الأستبصار ، ص120-121 .

(10) البكري ، المسالك والممالك ، 210/2 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 60/2 .

أميال[2]. ومن مدينة تونس إلى مدينة سوسة اربعون ميلاً[3].

في حين كان تحديد المسافة بين مدينة تونس وقرطاجنة فيه اختلاف فمنهم من حدد المسافة بـ(ميلين) [4]، ومنهم من حددها بـ(عشرة أميال) [5]، وآخر بـ(اثنا عشر ميلاً) [6].

وتم تحديد المسافة بين مدينة تونس والأندلس بـ(ستة فراسخ) [7]، وبين مدينة تونس وقرطاجنة نحو اربعة فراسخ[8].

رابعاً : العلاقات التجارية لمدينة تونس :

أ– علاقة مدينة تونس التجارية بالمدن المجاورة لها في شمال أفريقية:

(1) طنبذه: وهي من نواحي أفريقية، وتسمى كذلك المحمدية ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 43/4 ؛ الحميري، الروض المعطار ، ص387 ؛ ويسميها البكري طنبد ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص38 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 43/4 ؛ الحميري، الروض المعطار ، ص387 .

(3) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، 169/1 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 60/2 ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، 1078/2.

(5) مجهول ، الأستبصار، ص120 ؛ الحميري، الروض المعطار ، ص143 .

(6) البكري ، المسالك والممالك ، 216/2 .

(7) الفرسخ: هو وحدة قياس الطول والمسافات ويساوي ثلاثة أميال وكل ميل يساوي 1000 باع وكل باع يساوي أربعة أذرع، والذراع الشرعي يساوي 4,2 سم فيكون طول الفرسخ يساوي:

3×1000=3000 باع

3000×4=12000 ذراع ؛ ابن خرداذبة المسالك والممالك، ص87 ؛ ابن الفقيه، البلدان ، ص132؛ الكبيسي، وحدات الوزن والكيل والطول والمسافة ، ص168

(8) المراكشي ، المعجب ، ص251 .

إن معنى التجارة كما يصفها ابن خلدون[1] ((تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من ثمن الشراء)). لقد شكلت المنتجات الزراعية نسبة كبيرة من النشاط التجاري الداخلي بين مدينة تونس والمدن الأخرى في شمال أفريقية، وإذا علمنا ان أكثر مدن الشمال الأفريقي تشتهر بزراعة المحاصيل الزراعية ومنتجاتها الحيوانية، فكانت المنتوجات تحمل إلى مدينة تونس[2]، والتي وصفت بان لها ((أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة)) [3]، ووصفت كذلك بانها ((محط الرحال من الغرب والشرق)) [4].

وعلى هذا الأساس كان يجلب لها من مدينة قفصة الفستق ((وقفصة أكثر البلاد فستقاً.... ومنها يجلب إلى أفريقية وبلاد المغرب)) [5]، ومن مدينة توزر ((وهي أكثر بلاد الجريد تمراً ومنها تمتار جميع بلاد أفريقية وبلاد الصحراء التمر لكثرته بها ورخصه)) [6]، وتزودها مدينة باجة بالقمح ، والتي تسمى هرى أفريقية لريع زرعها وكثرة رقاعها[7]. ومن مدينة كمرت المجاورة لمدينة قرطاجنة شمال تونس يأتيها الخضراوات، وكذلك قصب السكر الذي يكثر فيها ويباع في تونس ويكفي من يشتريه بمصه لانهم يجهلون استخراج السكر منه[8]. ومن مدينة الأربس التي تزود تونس بالقمح والشعير[9]. ومن مدينة بسكرة ذات النخيل والفواكه والزروع الكثيرة يجلب الثمر الطيب إلى مدينة تونس[10]، ((وتحيط بقرطاجنة ولا سيما من جهتي الغرب والجنوب

---

(1) المقدمة ، ص430 .

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض، ص72-77 ؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص39-41 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، 107/5 .

(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص40 .

(4) العبدري ، رحلة العبدري ، ص108 .

(5) مجهول ، الأستبصار، ص153 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 382/4 .

(6) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص48 ؛ مجهول ، الأستبصار ،ص155 .

(7) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص56؛ ليون الأفريقي، وصف أفريقيا،75/2

(8) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 82/2 .

(9) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 65/2 .

(10) القلقشندي ، صبح الأعشى ، 107/5 .

عدد كثير من الحدائق المليئة بالثمار، التي لا يقل الاعجاب بضخامتها عن الاعجاب بجودتها ، خصوصاً منها الخوخ والرمان والزيتون والتين، ومن هذه الحدائق تتزود تونس بالفواكه))[1]، ومن مدينة قابس هناك فاكهة تسمى حب العزيز ((تنمو تحت الأرض على شكل الفجل لكنها صغيرة مثل الفول ، وعندما تمتص تكون لها حلاوة اللوز وشيء من مذاقه))[2] ، ومن بلاد السوس يجلب السكر السوسي إلى أفريقية والمغرب، وكذلك الشب والنحاس المصبوغ السوسي[3]، ومن جزيرة جربة تأتي الاقمشة الصوفية والزبيب وتحمل إلى مدينة تونس[4].

وأشتهرت مدينة بونة بكثرة سمنها، لكثرة مواشيها وكانت كميات كبيرة منه تصدر إلى تونس[5].((وكل ما بتونس من جيد الرخام وخالص المرمر فمن مدينة قرطاجنة))[6]، وتتزود بالحجارة المجلوبة للمطاحن من مدينة مجانة[7]. ومن مدينة صفاقس التي يعمل بها الثياب الحسنة الدقيقة الجيدة ما يحمل ويتجهز به التجار إلى جميع الافاق في كل وقت وحين[8]، ولا شك ان مدينة تونس تتزود بهذه الثياب.

وكذلك من مدينة سوسة ((تجلب الثياب الرفيعة مثل عمائم المعمور وغيرها)) [9]، يحملها التجار إلى جميع انحاء البلاد شرقاً وغرباً والثياب السوسية معلومة لا يوجد لها نظير، ولها بياض رائق، وكذلك يأتيها من مدينة سوسة التي أشتهرت ايضاً بصناعة الخزف والأباريق والأواني الفخارية وكل انواع الفخار غير المطلية، نظراً لجودتها كانت

---

(1) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 70/2 .

(2) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 91/2 .

(3) الزهري ، كتاب الجغرافية ،ص117 .

(4) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 94/2 .

(5) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 62/2 .

(6) المراكشي، المعجب ، ص252؛ العبدري، رحلة العبدري ، ص111 .

(7) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 56/5 .

(8) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص78 .

(9) مجهول ، الأستبصار ، ص119؛ باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص69 .

تصدر إلى مدينة تونس[1].

وكذلك من جزيرة جربة التي أشتهرت هي الأخرى بالصناعات الخزفية فقد تميزت بصناعة الأواني الخزفية للزيت والماء، وكانت تصدرها إلى مدينة تونس[2]،((وأكثر حوت تونس انما هو من بنزرت، واجناس هذا الحوت وانواعه تتصبر، فتبقى اعواماً صحيحة الجرم لذيذة الطعم)) [3].

وعلى ما يبدو أن الحركة التجارية الداخلية بين مدينة تونس ومدن الشمال الأفريقي كانت تتأثر هي الأخرى بالأوضاع السياسية للبلاد فكلما كانت البلاد يسودها الأمن والسلم تنشط الحركة التجارية وعلى العكس كلما كانت الأوضاع السياسية غير مستقرة تتعثر التجارة الداخلية بصورة أو بأخرى.

لقد كانت الفوضى العارمة التي سادت أفريقية بدخول قبائل بني هلال وبني سليم والذي شمل مدينة تونس بلا شك، إذ نتج عنه إنعدام الأمن الأمر الذي أدى إلى مساس بالحياة الأقتصادية فقد تعرض اقتصاد مدينة تونس إلى شيء من الاختلال[4]. إذ إن استثمار الأراضي الزراعية الواقعة خارج المدينة أصبح عسيراً، ((وجميع جناتها ومزارع بقولها في داخل سورها وليس لها خارج السور شيء يعول عليه، والعرب تجاور أرضها))[5]، ولم يعد الطريق الداخلي الذي يربط مدن الشمال الأفريقي يسلك الا نادراً[6]. الا ان تمكن احمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان (500-522 هـ) والذي (عامل العرب على اصلاح سابلتها فصلحت حاله) [7].

---

(1) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 84/2 .

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى ، 108/55 .

(3) مجهول ، الأستبصار ، ص125 ؛ مقديش ، نزهة الانظار ، 123/1 .

(4) ابن خلدون ، التاريخ ،19/6 ؛ الدولاتلي ، مدينة تونس ، ص46 .

(5) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص81 .

(6) موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص308 ؛ لويس ، القوى البحرية والتجارية، ص385 .

(7) ابن خلدون ، التاريخ ،165/6 .

ب -علاقة مدينة تونس التجارية مع مصر والسودان الغربي والأندلس:

تعد التجارة عنصراً اساسياً للحياة الأقتصادية لأية دولة من الدول واي مدينة من المدن على حد سواء.

لقد كان لمدينة تونس علاقات تجارية مع مصر، تمثلت بأبرز صادرات تونس إلى مصر والتي يأتي في مقدمتها الزيت الذي تشتهر به مدينة تونس، بسبب انتاجها لكميات كبيرة من الزيت[1]. وتصدر مدينة تونس الاقمشة الكتانية التونسية إلى اقطار شتى وفي ذلك يذكر الزهري[2]: ((ومنها يجلب المتاع إلى اقطار الأرض، وهي ثياب الكتان، تضاهي ثياب الحرير)) وكذلك ((أكثر عمل أهلها عمل القلانس المسماة بالطاقية، فهو شيء فاقوا به على أهل الأرض قاطبة حسناً واتقاناً.... ومنها يحمل ما يعم اقطار الدنيا ، فان ملوك الأرض لا يلبسون الا منها))[3] فضلاً عن ان مدينة تونس التي كانت مركزاً مهماً لصناعة الجلود حيث تصدر المنتجات الجلدية، فكان يجلب منها الاحذية الفاخرة، واغلفة الكتب إلى الاسكندرية[4]، بسبب ما كانت تشتهر به من ثروة حيوانية[5].

وكذلك كان من بين واردات مصر الأواني الخزفية، التي أشار اليها البكري[6] بقوله: ((ويصنع بتونس آنية للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض تكاد تشف

---

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص75 ؛ ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 72/2 .

(2) كتاب الجغرافية، ص109؛ وينظر ابن قنفذ ، انس الفقير ، ص68 ؛ موسى ، النشاط الأقتصادي، ص326.

(3) مقديش ، نزهة الانظار ، 118/1 .

(4) احمد، حسن خضيري، علاقات الفاطمين في مصر بدول المغرب، ط1 ، مكتبة مدبولي، القاهرة، (بلا. ت) ، ص109 .

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص75 ؛ عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب، ص83 .

(6) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40-41؛ احمد، علاقات الفاطمين في مصر، ص109 .

ليس يعلم لها نظير في جميع الأقطار وعامة الامصار)) وكذلك تصدر تونس إلى مصر اللوز[1].

أما عن أسباب تدهور النشاط التجاري بين مصر وشمال أفريقية بصورة عامة ومدينة تونس على وجه الخصوص ، فعلى الرغم من النشاط التجاري الكبير بين مصر وبلاد المغرب إلا ان الظروف السياسية كانت تودي إلى تقليل حجم التبادل التجاري بين البلدين فقد كان لأنفصال بني زيري عن الخلافة الفاطمية أثرهُ المباشر على الأوضاع الأقتصادية وكان من أهمها إصدار المعز بن باديس سنة 441هـ/1049 م أوامر بتحريم تداول العملة الفاطمية في أفريقية وما ترتب على هذا من غزو قبائل بني هلال وبني سليم وما لحقه من خراب ودمار على المنطقة، مما أوقع المنطقة بحالة من الفوضى والأضطرابات وتقطع الطرق التجارية[2]. حتى أصبحت مدينة تونس رهينة للتحالفات السياسية ولكي يتوفر عنصر الأمن ((صالح العرب أهل الضاحية على اتاوة معلومة لكف عاديتهم)) [3]، فقد قام أمراء بني خراسان بالتفاوض معهم ودفع لهم ضرائب مقابل السلام ووضع حد للسلب[4].

وبفضل إزدهار المدينة في عهد بني خراسان والموحدين، نالت مدينة تونس أهمية اقتصادية وتجارية كبيرة خاصة بعد تقهقر القيروان والمهدية،[5] ((ولما خَربتْ مدينة القيروان...صارت مدينة تونس حاضرة أفريقية ومقر ولاتها وموضع مخاطبة أولي الأمر منها))[6]، وأصبحت حاضرة للخلافة العربية الإسلامية في العهد الحفصي.

---

(1) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص41 ؛ مجهول ، الأستبصار، ص121.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 273/1-279 ؛ التجاني، رحلة التجاني، ص17 ؛ النويري، نهاية الارب،118/24؛ ابن خلدون، التاريخ، 19/6؛ احمد، علاقات الفاطمين في مصر، ص128؛ موسى ، النشاط الأقتصادي، ص308.

(3) ابن خلدون، التاريخ ،165/6.

(4) مارسية ،بلاد المغرب ، ص227.

(5) الدولاتلي، مدينة تونس، ص72 ؛ لويس ، القوى البحرية والتجارية، ص253.

(6) المراكشي ، المعجب ،ص252.

أما عن علاقات مدينة تونس التجارية مع السودان الغربي، فقد ذكر ابن خلدون[1] إن:((نقل السلع من البلد البعيد المسافة، أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم ارباحاً...لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزةً لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها، فيقل حاملوها ويعزّ وجودها وإذا قَلَّت وعزَّتْ غلت اثمانها ...ولهذا نجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها ماء الا في أماكن معلومة....فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده إلا الأقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء))، أي ان نقل السلع من الأماكن البعيدة ، فضلاً عن مخاطر الطريق تكون أسعارها غالية .

أما عن أهم السلع المتبادلة مع السودان الغربي فكان أهمها الذهب الذي يعد البضاعة الرئيسية المربحة[2]،علماً بان هناك سوقاً خاصة للصاغة في مدينة تونس[3]. وإلى جانب الذهب كانت تجارة الرقيق رائجة في أفريقية، فقد كانت مدينة زويلة تزود أفريقية بالرقيق المجلوب اليها من مدينة كانم بالسودان، والذي يحمله التجار إلى سائر مدن أفريقية، ((واليها يجلب الرقيق، ومنها يخرج إلى بلاد أفريقية وغيرها من البلاد))[4]، علماً أن بمدينة تونس سوق يسمى سوق البركة وهذا السوق يختص لعرض العبيد وهو من الأسواق القديمة في مدينة تونس[5]. وتعد الحيوانات الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع البرية ولاسيما الابل والخيل والبغال والحمير[6].

أما عن علاقات مدينة تونس التجارية مع الأندلس ،فقد كانت هناك علاقات

---

(1) المقدمة، ص432.

(2) جبودة، التجارة في بلاد أفريقية وطرابلس الغرب، ص115.

(3) البرزلي، فتاوي البرزلي، 223/3.

(4) مجهول، الأستبصار، ص146؛ ينظر البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ،ص11 ؛ جبودة، التجارة في بلاد أفريقية وطرابلس الغرب، ص117.

(5) عبد الوهاب ، ورقات ،60/1 ؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 378/1 .

(6) باشا، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص50 .

تجارية بين المغرب العربي عامة ومدينة تونس خاصة مع الأندلس وقد كانت طبرقة وتونس الميناءان الرئيسان في هذه المنطقة يعدان منفذين للتجارة مع بلاد الأندلس[1].

وقد ذكر اليعقوبي[2]: ((ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس وهي على ساحل البحر المالح فركب البحر المالح يسير فيه مسيرة عشرة أيام مسحلاً غير موغل حتى يحاذي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس)) .

وخلال حديثه عن مدينة تونس يذكر الأصطخري[3]: ((وهي أول عُدوة الأندلس يعبر منها ولا يعبر دونها لأنها أول مدينة تحاذي الأندلس وما دونها))، يستفاد من هذا ان لقرب تونس على الأندلس كان له دور كبير في التبادل التجاري، لقد ذكر المقدسي[4]، صادرات تونس إلى الأندلس قائلاً: ((ومن أفريقية الزيت والفستق والزعفران واللوز والبرقوق والمزاود والانطاع والقرب))، وكذلك المنسوجات الكتانية والصوفية والثياب الغالية[5]. وتصدر لها ايضاً التين والعنبر والزعفران[6].

كما تم ذكر وصول مراكب محملة بالقمح التونسي إلى الأندلس[7]. وكذلك تصدر لها الخيول والعدة والسلاح والبارود النفيس[8].

وكان للأندلسيين المهاجرين الذين استقروا في مدينة تونس دور كبير في ميدان

---

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص76 ؛ طه، الفتح والأستقرار ، ص56 .

(2) البلدان ، ص192 .

(3) المسالك والممالك ، ص38 .

(4) أحسن التقاسيم ، ص192 .

(5) الخزاعي ، أسواق بلاد المغرب، 103 .

(6) طه ،الفتح والأستقرار ، ص56 .

(7) كونستيل ، أوليفياريمي، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، ط1 ، مكتبة العبيكان ، 2002 ،ص249 .

(8) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب , ص84 .

التجارة، فقد ذكر لنا رحالة مصري زار مدينة تونس عام 866هـ/ 1462م: ((في شهر ذي الحجة 866هـ، جمع التاجر المعظم أبو القاسم البنيولي الغرناطي الأندلسي نزيل تونس وكبير التجار بها جماعة من اعيان التجار من اصحابه))[1]، من خلال هذا يتبين لنا ان وصف أبو القاسم البنيولي بكبير التجار في تونس وهو من أصل أندلسي لدلالة واضحة على الدور الكبير الذي لعبه الأندلسين في هذا المجال.

ج ـ العلاقات التجارية بين مدينة تونس وصقلية:

ان موقع تونس الجغرافي جعلها تضطلع بدور مهم في تجارة البحر المتوسط خاصة مع الأقطار الأوربية (ينظر ملحق رقم 2ص287) فهي تراقب مع صقلية التي يفصلها عنها مجاز عرضه 140 كم الممر الذي يصل حوضي هذا البحر[2]. وقد كانت صقلية تخضع لسلطة المسلمين حكام أفريقية إلى أن إستولى عليها النورمان لكن هذا لا يمنع من وجود علاقات تجارية وهذا مما قام به بنو خراسان حكام تونس من الحرص على اقامة علاقات طيبة مع حكام صقلية[3].

إن قرب تونس من جزيرة صقلية شجع الكثير من تجارها على ممارسة النشاط التجاري، فكانت الصادرات التونسية تشمل الحبوب والتمر والبسط والدروع الجلدية والعبيد[4]. وكذلك كان اعتماد صقلية على الزيت والزيتون من تونس[5].

إن الروابط الأقتصادية بين صقلية وتونس إستمرت في عهد فردريك الثاني وأبنائه

---

(1) الحنفي، أبو المكارم زين الدين عبد الباسط بن خليل الملطي(كان حياً عام 890هـ)، الرحلة المغربية ماخوذة من كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تح عمر عبد السلام تدميري، الجامعة اللبنانية، طرابلس، (بلا. ت)،ص23 .

(2) الدولانلي، مدينة تونس ، ص72 .

(3) موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص265 .

(4) الطيبي ، امين توفيق، دراسات في تاريخ صقلية الإسلامي ، ط1 ، طرابلس، ليبيا ، 1990 ،ص11.

(5) عباس ، احسان ، العرب في صقلية، ط1 ، دار الثقافة، بيروت ، 1975 ، ص72 .

بالرغم من الخلافات السياسية والدينية والسبب في ذلك لأن أفريقية كانت منفذاً طبيعياً لقمح صقلية، فقد كان قمح صقلية وجبنها يستبدلان بالعبيد والذهب قبل كل شيء[1]. وكانت بعض مراكب صقلية تمارس القرصنة في ميناء تونس[2].

د- العلاقات التجارية بين مدينة تونس والمدن الايطالية:

ذكر أحد المؤرخين المحدثين بانه يمكن لمدينة تونس ان تعتز بكونها أبرمت أقدم معاهدة تجارية بين افريقيا الشمالية وبلاد النصارى وذلك في عام 552هـ/ 1157م في عهد أمير تونس عبد الله بن عبد العزيز بن خراسان (542-552هـ/1147-1157م)[3]. يرى الباحث ان سنة 552هـ/1157م متاخرة فلا يمكن الجزم انه لم تعقد قبل هذا التاريخ معاهدة تجارية بين أفريقيا الشمالية وأوربا . وبعد أن استطاع حكام بني خراسان من فرض الأستقرار والأمن في مدينة تونس، فتحوا مدينتهم لتجار المدن الايطالية وخاصة مدينة بيزة[4]، التي منحت امتيازات خاصة من حماية لمراكبها ، واعفاء تجارها من عشور بعض الصادرات او تخفيضها[5]. فكان بنو خراسان يأخذون

---

(1) الطيبي ، دراسات في تاريخ صقلية، ص83 .

(2) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب , ص78 .

(3) برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 54/1 .

(4) بيزة: وهي مدينة إيطالية ومرسى جنوب غرب روما، نشط أهل بيزة بالتجارة ساعدهم على ذلك موقعها كميناء على البحر المتوسط وأصبحت حلقة وصل بين الشرق والغرب ، القلقشندي، صبح الأعشى، 411/5.

(3) Amari (Michele): Diplomi Arabi Del-R- Archirio floraantino Testo originate con La Tradeuztion Eillustrezton Fironze , 1863, pp.2-5

نقلاً عن، موسى ، النشاط الأقتصادي ،ص265 .

عن جوال الحبوب خمسة أمداد فأخذوا من تجار بيزة أربعة أمداد فقط[1].

وفي مدينة تونس يوجد فندق لتجار مدينة بيزة، يرجع إلى سنة 552هـ/ 1157م، وقد عثر على نص كتاب أرسله مجموعة من تجار تونس إلى أحد تجار بيزة (وكان المشرف على الميناء قد صادر بعض أموالهم) ومحتوى الكتاب أن التجار التونسيين يسترضونه في كتابهم ويعدونه بالتعويض ويطلبون منه العودة على مسؤوليتهم ويقولون له: لا تتردد في العودة ،فستجد في كل مكان الاستقبال الطيب والمعاملة الحسنة وكذلك كل من سياتي معك ، ويؤكد له أن أسعار البضائع مناسبة وتستطيع شراء كل ما تريد[2]. هذه الخطابات تكشف عن وجود علاقات طيبة بين تجار مدينة تونس وتجار بيزة، ومن جملة البضائع التي تصدر من بيزة إلى مدينة تونس ، كانوا يقايضون القمح بالصوف والجلود والشمع والزعفران ، ونتيجة للثقة المتبادلة بين الجانبين نجد ان التجار التونسيون كانوا يبيعون على تجار بيزة بالآجل[3].

ورغم ما كان يتمتع به رعايا بيزة من امتيازات في مدينة تونس، فان تجارة جنوة كانت هي الأخرى نشطة في مدينة تونس، كما يدل على ذلك عقدان يتمثل الأول المؤرخ في 549-550هـ/1154-1155م في قرض مخاطرة كبيرة ينص على تحمل المقرض مخاطر الذهاب والإياب، وتحديد سعر الفائدة بنسبة تتراوح بين 20 و 30 % ويتمثل العقد الثاني المؤرخ في 550-551هـ/1155-1156م في التعهد باعطاء شخص قاصد تونس المبلغ الذي سينفقه فيها لافتداء أسيرين[4].

---

(4) Mas Latrie, Traites de paix et documents driversconeernant Les rrelat ions des chretieens Les Arabes de 1 Afrique septentrionale au Moyen-age- Paris-1866- pp.38-39.

نقلاً عن، موسى ،النشاط الأقتصادي ،ص265 ،ادريس ،الدولة الصنهاجية، 2/399-398.

(2) المراكشي ،عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/ 1249م)، وثائق المرابطين والموحدين، تح حسين مؤنس، ط1،مكتبة الثقافة الدينية، مصر،1997، ص230؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 2/299 .

(3) المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين ، ص 231 .

(4) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب , ص79-80 ؛ ادريس ، الدولة الصنهاجية ، 2/297 .

وبسبب عدم تعرضها لمراكب المسلمين، تمتعت جنوة في عهد الموحدين بامتيازات تجارية خاصة، ففي سنة 555هـ/ 1160 م سمح الموحدون لسفن جنوة بالإتجار في كل المراسي، وخفضت عن تجارها العشور 10% وتم تجديد هذا الاتفاق مرتين سنة 571هـ/1175م و587هـ/1191م[1]. وقد استوردت مدينة تونس من جنوة السيوف[2]. وصدرت تونس إلى المدن الإيطالية الحبوب والتمور والبسط والدروع الجلدية[3].

وقد اكتسبت مدينة تونس أهمية خاصة من حيث نشاطها التجاري الخارجي في العهد الحفصي باعتبارها حاضرة الدولة، فاجتذبت اليها الأوربيون الذين عقدوا اتفاقات مع السلاطين الحفصين وكانت هذه الاتفاقات حلقة وصل كبيرة في العلاقات التجارية بين ميناء تونس وبين باقي الموانئ المجاورة[4]. إذ بادرت المدن الإيطالية الثلاثة بيزة وجنوة والبندقية إلى عقد اتفاقيات تجارية مع حكام تونس من الحفصين، فقد أرسلت جنوة سفيرها غليوم شيبو الذي عقد مع السلطان المستنصر الحفصي معاهدة جديدة في سنة 648هـ/1250م ،وارسلت البندقية السفير فيليب جيلياني وعقد مع ناظر ديوان تونس نيابة عن السلطان سنة 649هـ/1251م معاهدة تجارية مدتها أربعون سنة، أما بيزة فقد أرسلت إلى مدينة تونس السفير البيزي بارنت فسكتني الذي عقد معاهدة تجارية مدتها عشرون عام مع السلطان المستنصر الحفصي عام 662هـ/1265م[5].

أما بخصوص البضائع التجارية المتبادلة فكانت أهم الصادرات تتركز على الإنتاج الحيواني والزراعي، ومنها الصوف والجلود، والماشية والعسل والشمع[6]. ويصدر إلى البندقية الملح[7]. أما عن واردات تونس فيأتي النحاس من بيزة وجنوة

---

(1) موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص276 .

(2) برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 271/2 .

(3) الطيبي، دراسات في تاريخ صقلية الإسلامي ، ص91.

(4) خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ، ص268.

(5) جبودة، التجارة في بلاد أفريقية وطرابلس الغرب، ص136.

(3) Mas Latrie, p 216.

(7) جبودة، التجارة في بلاد أفريقية وطرابلس الغرب، ص145.

بكميات كبيرة إضافة إلى القصدير والحديد[1]. وكذلك التوابل بجميع أنواعها وتاتي هذه التوابل عن طريق سفن جنوة وبيزة والبندقية والتي تحملها من مواني أوربية أو من مستودع التوابل في الهند أو في مصر[2]. وكذلك يتم استيراد مواد الطلاء من بيزة وجنوة والبندقية[3].

وقد شجع السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1434م) على عملية فداء الأسرى وأوقف لها أموالاً طائلة وكان يوصي تجار النصارى ان يأتوا بكل من يقدرون عليه من أسرى المسلمين، فأصبحت تجارة رائجة لهم[4]. ومما يذكر انه أوقف الأوقاف الكثيرة وعين ناظراً للاوقاف الخاصة بفداء الاسرى .

خامساً : الصادرات والواردات :

أ- صادرات مدينة تونس إلى المشرق:

ما يخص الصادرات إلى المشرق يذكرها ابن حوقل بقوله: ((فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق فالمولدات الحسان الروقة..... والغلمان الروقة الروم والعنبر والحرير والاكسية الصوف الرفيعة والدنيَّة إلى جباب الصوف وما يعمل منه ، والانطاع والحديد والرصاص والزئبق والخدم المجلوبون من بلاد السودان والخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الأندلس)) [5]، ومما يدل على اتصال شمال افريقيا ببلاد الشرق ادخال بعض النباتات الشرقية مثل القطن وقصب السكر والزعفران إلى

(1) جبودة، التجارة في بلاد أفريقية وطرابلس الغرب، ص146 .

(2) فهمي ، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في اواخر العصور الوسطى , القاهرة، 1973، ص205 .

(7) Mas Latrie, p 211.

(4) عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ،ص84-85 .

(5) صورة الأرض، ص94-95 .

بلاد المغرب بصورة عامة[1].

ب- الواردات:

تستورد مدينة تونس من مصر الكتان وهو السلعة المعتاد شحنها إلى تونس[2]. حتى أن كثيراً من تجار الكتان التونسيين إستقر في أماكن زراعة الكتان وانتاجه في مصر[3]. وكذلك تستورد الجوري[4]. ومن واردات تونس الأخرى فقد ذكر ان ((لباس عامة أهل أفريقية من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن الثياب القطن، فمن لبس غير هذا مما يجلب من طرائف الاسكندرية)) [5].

وبالرغم من اشتهار مدينة تونس بالصناعات النسيجية فقد كانت تاتي إليها المنسوجات الأخرى التي لا يوجد فيها، ((وخير الاكسية من الصوف المصري))[6] ومن وارداتها الأخرى مواد الاصباغ ومنها النيل، وكذلك تستورد تونس القرنفل[7]، كما كان الورق من صادرات مصر إلى بلدان العالم الإسلامي، ومن ضمنها مدينة تونس بلا شك[8].

وتستورد تونس من السودان الرقيق[9]. وللأندلس دور كبير في هذا المجال، إذ تستورد تونس من الأندلس بعض المواد الخام فضلاً عن الكتان الحرير وادوات

(1) لويس، القوى البحرية والتجارية، ص254 .

(2) البرزلي، فتاوي البرزلي، 450/3 .

(3) احمد ، علاقات الفاطمين في مصر بدول المغرب، ص117 .

(4) المراكشي، المعجب ، ص154 ؛ البرزلي، فتاوي البرزلي، 26/2 .

(5) القلقشندي، صبح الأعشى ، 143/5؛ باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي، ص49 .

(6) الجاحظ، التبصر بالتجارة ، ص22 .

(7) البرزلي، فتاوي البرزلي، 449/3.

(8) القلقشندي ، صبح الأعشى ،517/2 .

(9) مجهول ، الأستبصار ، ص146 .

الصباغة ، مثل الزعفران والقرمز والزئبق والكبريت الأحمر[1].

وكذلك تستورد مدينة تونس عدد آخر من المواد التي تصدرها الأندلس إلى تونس منها الادوات الخشبية وادوات الموسيقى والمصوغات المعدنية وخاصة الذهب منها، والوشي المذهب والبسط[2].

ومن وارداتها إلى تونس((الخدم الصقالبة، والغلمان الرومية والافرنجية والجواري الأندلسيات وجلود الخز والوبر والسمّور ومن الطيب الميعة والمصطكى))[3] ومن أهل تونس من دخل إلى الأندلس لغرض التجارة، موسى بن عاصم بن سفيان التونسي، ويكنى أبو هارون، ويفهم من هذا انه من أهل تونس، وقد دخل إلى الأندلس سنة 431هـ/1039م لغرض التجارة[4]. وكان لصقلية نصيب من الواردات التونسية، فكان من بين واردات صقلية إلى تونس القمح[5]، وكذلك القطن[6]. وكان استيرادها للقمح في أغلب الأحيان في سنوات القحط.

وقد عملت مدينة تونس على استيراد حاجاتها من عدة دول ولم يقتصر الاستيراد على الحاجيات الضرورية بل تعدى ذلك إلى الحاجات الكمالية، ومن جزيرة صقلية ((منها يجلب الجوز واللوز والقسطل والفستق والبندق إلى بلاد أفريقية وغيرها ، ويجلب منها كثير من القطن والميعة الطبية السائلة وهي من أعظم الادوية وأكثرها فائدة ومنفعة)) [7]، علماً ان جزيرة صقلية بينها وبين تونس اربعون ميلاً[1].

---

(1) المقري ، نفح الطيب ،146/1 ؛ الخزاعي ، أسواق بلاد المغرب، ص104 .

(2) المقري ، نفح الطيب ،201/3 ؛ الخزاعي ، أسواق بلاد المغرب، ص100 .

(3) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص95 .

(4) ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ)، الصلة في تاريخ ائمة الأندلس، عني بنشره وتصحيحه عزت العطار الحسيني، ط2، نشر مكتبة الخانجي، 1955،1/578.

(5) الونشريسي ، المعيار المعرب، 306/6 ؛ موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص327 .

(6) عباس ، العرب في صقلية ، ص73 .

(7) الزهري، كتاب الجغرافية ، ص131 .

وتصدر صقلية نحو تونس الجوز والبلوط والمرجان، وكذلك تصدر الزئبق والحديد والرصاص، والمواد الصالحة للصباغة إلى سائر البلدان[2]. ومن الطبيعي كانت مدينة تونس تستورد ذلك.

وأما واردات تونس من المشرق لاسيما من العراق، فقد ذكر ابن حوقل[3] خلال وصفه لمدينة تونس قائلاً:((ويعمل بها غضار حسن الصباغ وخزف حسن كالعراقي المجلوب)). ويبدو من خلال هذا النص أن مدينة تونس استوردت من العراق الأواني الخزفية. ونتيجة لكثرة التجار النصارى في مدينة تونس وقيام نشاط تجاري كبير، أدى إلى كثرة المترجمين بين النصارى والمسلمين[4].

المبحث الخامس : الثروة الحيوانية وأنواع الحيوانات:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾[5]. ساعد قيام الزراعة في مدينة تونس وما يوجد بها من نباتات طبيعية ان حظيت المدينة بثروة حيوانية، حيث توفر العلف للحيوانات ، فضلاً عما توفره هذه الحيوانات من عناصر غذائية للإنسان كاللحوم والالبان ومشتقاتها ، فانها توفر الموارد الأولية الداخلة في صناعة الغزل والنسيج والصناعات الجلدية ، بالإضافة إلى مالها من دور كبير في حمل الاثقال ونقل البضائع ولاسيما الابل والخيل والبغال والحمير[6].
﴿ **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** *

(1) الزهري، كتاب الجغرافية ، ص130 .
(2) باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص70 .
(3) صورة الأرض ، ص75 .
(4) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب ، ص77 .
(5) سورة النحل ، الآية 5 .
(6) باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ،ص50 .

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وخلال وصفه لمدينة تونس يذكر ابن حوقل[2] قائلاً: ((وكثيرٌ من الماشية مختصة بها)) ، في حين ذكر اخرون بشيء من التفصيل ((وبها من الدواب الخيول العراب المشابهة لخيل برقة، والأبل والبغال والحمير والبقر والغنم والمعز والجاموس))[3].

وتوجد بمدينة تونس أسواق خاصة للحيوانات منها رحبة الغنم وبطحاء الخيل (المركاض)[4] وقد ذكر ان ((القصابين الذين يذبحون الخرفان أكثر من غيرها لاسيما في الربيع والصيف)) [5]، ويبدو من هذا ان أسعار الحيوانات في الربيع والصيف تكون مناسبة فضلاً عن توفر العلف.

وقد كان اكابر القوم والمحاربين يستعملون لركوبهم الجياد العربية والخيول المغربية، بوصفها من أحسن الدواب من حيث السرعة والصمود، اما الحمير فتستعمل للركوب وحمل الأثقال، فقد كانت متوفرة لانها كانت في متناول الفقراء من الناس[6]. وتستخدم الحيوانات في مدينة تونس لتحريك الطاحونات التي تطحن القمح[7]. وكذلك تستخدم البغال والجمال والحمير في عملية إستخراج الماء من الآبار لسقي المزروعات من خلال تحريكها الآلات المستعملة للسقي (النواعير) [8]، ويبدو ان جبل زغوان قرب تونس كان مصدر البغال الرئيسي ، وللبغال أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية فهي ركوبة الخاصة ، وقد تستعمل في حمل الأثقال او نقل المحاصيل الزراعية[9].

---

(1) سورة النحل ، الاية 7-8 .

(2) صورة الأرض ، ص75 .

(3) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، 88/4 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، 113/5 ؛ عبد الله الترجمان ، تحفة الاريب ، ص83 ؛ البرزلي ، فتاوي البرزلي ، 174/3 .

(4) ابن عامر ، الدولة الحفصية ، ص99 ؛ الدولاتلي ، مدينة تونس ، ص70 .

(5) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 75/2 .

(6) برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 234/2 .

(7) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 76/2 .

(8) ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، 75/2 ؛ باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص50 .

(9) موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص200 .

وكانت تربية الدواجن بانواعها منتشرة، وأما الأرنب فقد جلب من الأندلس وسبتة وتم تدجينه بمدينة تونس خلال القرن السابع الهجري[1].

أما عن الرعي فهناك نوعان للرعي، الرعي المختلط بمناطق الزراعة والرعي شبه الصحراوي، ففي الحالة الأولى عادة ما يكون صاحب الماشية هو المزارع او صاحب الأرض، بينما في الحالة الثانية لا يتعاطى صاحب الماشية مهنة غير الرعي[2].

وفيما يتعلق بالثروة السمكية فقد كان الصيد البحري نشيطاً في كافة سواحل أفريقية، ولاسيما منها مدينة تونس وكان أكثر ما يصطاد منها السمك إذ انه يعتبر غذاء رئيسي ورخيص للسكان[3].

وفي اثناء وصفه لمدينة تونس يذكر البكري[4]: ((وبها من اجناس الحوت الذي لا يكون مثله في غيرها مالا يحصى كثرة منها جنس يعرف بالعبانق وجنس يعرف بالاكتوبري، وجنس يعرف بالأشبارس وجنس يعرف بالمنكوس وجنس يعرف بالبقونس))، وفي مدينة تونس حيث يباع السمك من كثرته بأرخص الأسعار[5]. إذ وصفت مدينة تونس ((وبها أصناف من الحوت الذي لا يكون مثله في غيرها مالا يحصى كثرة)) [6]، وتستعمل النقارة لصيد الأسماك في مدينة تونس[7].

---

(1) ابن عامر ، الدولة الحفصية ، ص98 ؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، 235/2 .

(2) موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص198 .

(3) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص84 ؛ ادريس ، الدولة الصنهاجية ، 245/2 .

(4) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص41 .

(5) الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية ، ص.84

(6) مجهول ، الأستبصار ، ص121 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص144 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ،ص10 .

(7) موسى ، النشاط الأقتصادي ، ص203 .

الفصـــل الرابــــع

المظاهـر العمرانيـة في مدينـة تونس

المبحث الأول : المساجد والجوامع والزوايا في مدينة تونس .

أ- المسجد الجامع في مدينة تونس (جامع الزيتونة)

ب- المساجد والجوامع الأخرى في تونس.

ج- الزوايا .

المبحث الثاني : المباني الإدارية وملحقات المدينة .

أولاً : المباني الادارية .

أ- دار الإمارة (القصبة) .

ب- دار الضرب .

ثانياً : ملحقات المدينة .

أ- الأبواب .

ب- الأسوار .

ج- الأرباض .

المبحث الثالث : مباني الخدمات العامة في مدينة تونس

أ- الحمامات .

ب- الفنادق .

ج - البيمارستانات

د - المقابر .

المبحث الأول : المساجد والجوامع والزوايا في مدينة تونس :

أ- المسجد الجامع في مدينة تونس (جامع الزيتونة) :

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾[1] ، من خلال هذه الآية الكريمة يتبين اهتمام القادة المسلمين في بناء المسجد لتقام فيه شعائر المسلمين ولعبادة الله سبحانه وتعالى ولانها شرف عظيم لما تحمله من معانٍ سامية[2]. ويعد المسجد الجامع من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية لما له من دور أساسي في حياة المجتمع فبجانب وظيفته الدينية كان المسجد مركزاً لبحث الشؤون السياسية والتربوية والأجتماعية[3].

إختط حسان بن النعمان الغساني (74-85هـ/603-704م) مسجد الزيتونة في مدينة تونس سنة 84هـ/703م خلال بنائه للمدينة، وكان هذا المسجد بسيطاً مسقوفاً بالخشب، كما بنى حسان القبلة وما يليها بالمدر بنياناً ضعيفاً[4]. في حين ذهب قسم من المؤرخين إلى أن عبيد الله بن الحبحاب هو الذي بنى جامع الزيتونة خلال ولايته على افريقية (116-123هـ/735-742م)[5]. ومنهم من ذكر أن بناء المسجد تم في

---

(1) سورة النور: آية 36 .

(2) الدليمي، منذر عطا الله شيحان، الحياة الأجتماعية والأقتصادية والفكرية في مدينة القيروان حتى نهاية العصر الاموي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) 2004م، ص111 .

(3) عثمان، المدينة الإسلامية، ص234 .

(4) ابن قتيبة، المنسوب له الأمامة والسياسة ، 72/2؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص13؛ عبد الوهاب ، ورقات، 115/1-116 ؛ بن مامي، لمحة تاريخية حول تونس ، ص278 .

(5) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص71 ؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية

عهد حسان بن النعمان وعبيد الله بن الحبحاب هو الذي وسع فيه وكملت ضخامته على يده[1]. ومهما يكن من إختلاف فأن حسان بن النعمان هو الذي بنى جامع الزيتونة في تونس، في غاية البساطة على ما جرت به العادة والضرورة، ثم أعاد بنائه بأحسن من ذي قبل الوالي عبيد الله بن الحبحاب سنة 116هـ/735م، لانه من غير الطبيعي أن يبقى المسلمون في مدينة تونس من غير مسجد جامع للصلاة فيما بين بناء المدينة على يد حسان بن النعمان 84هـ /703م وولاية عبيد الله بن الحبحاب 116هـ/735م أكثر من ثلاثين سنة وجلّهم من التابعين، وتم تجديده في زمن الأغالبة سنة 250هـ/864م في زمن الأمير الأغلبي زيادة الله الثاني[2].

أما عن تسمية الجامع بهذا الأسم فهي تعود إلى وجود شجرة زيتون في موضع المسجد، وسمي المسجد بجامع الزيتونة[3]، ((وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر الجالس فيه إلى جميع جواريه ويرقا إلى الجامع من جهة الشرق على اثنتى عشرة درجة.))[4] (ينظر ملحق رقم3 ص279)وهذا الجامع من أحسن الجوامع واتقنها وأكثرها اشراقاً[5]. وخلال وصفه لمدينة تونس يذكر الزهري[6]: ((وفيها الجامع المكرم المسمى بجامع الزيتونة، وهو جامع كبير فيه خمسمائة سارية من الرخام

والمغرب، ص37؛ مجهول، الأستبصار، ص120؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 51/1 ؛ النويري، نهاية الارب، 31/24؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص36؛ الحميري، الروض المعطار، ص123؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ص320 .

(1) ابن أبي دينار، المؤنس، ص130؛ ابن الخوجة، محمد، تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، تحقيق الجيلاني بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي، ط2 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،1985 ،ص43؛ ناجي، دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص247؛ بن مامي، لمحة تاريخية حول مدينة تونس، ص278 .

(2) ابن أبي دينار، المؤنس، ص13؛ عبد الوهاب، ورقات، 115/1-116 .

(3) ابن أبي دينار، المؤنس، ص8 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص41-42 .

(4) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب, ص40 .

(5) العبدري، رحلة العبدري، ص111 .

(6) كتاب الجغرافية، ص108 .

الأبيض وبإزاء المحراب سوار من الرخام المجزع مطليات الرؤوس بالذهب، وفيه صحن عظيم أبيض من شرقيّه، وصحن اخر فيه ثلاثة جباب من الرخام المجزع برسم ماء المطر، وفي شرقي الجامع الصحن المفروش بالرخام الأبيض مرتفع نحو الخمسة عشر ذراعاً، يشرف على شارع البلد وعلى السوق)) .

وكان جامع الزيتونة كبير في غاية الجمال والسعة، كثير المستخدمين، وله صومعة عالية[1]، (ينظر ملحق رقم4 ص280) ويتوسط مدينة تونس[2]، ((وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأتقنها وأكثرها اشراقاً، ودائره مسقف ووسطه فضاء، قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجُدُر وشدت اليها حبال متينة في حِلقٍ من حديد مثبتة فيها وفي السقوف شداً محكماً، فاذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شُقق الكتان المطبقة الموصولة حتى تُظَلل جميع الفضاء، ذلك دأبهم فيها حتى ينصرم فصل الصيف)) [3] .

أما عن تخطيط المسجد (ينظر ملحق رقم 5 ص281) فهو محصور في مربع غير منتظم الاضلاع، طول جدار القبلة الخارجي 61 متر، والجدار الشرقي 65 متراً، والجدار الشمالي 57 متراً، والجدار الغربي 76 متراً، وبيت الصلاة ينقسم إلى سبعة اساكيب موازية لجدار القبلة، يبلغ طول كل واحد منها أربعة وخمسين متر ونصف المتر، وتجتازها خمسة عشرة بلاطه، تبلغ طول الواحدة منها خمسة وعشرون متراً، ومتوسط عرض كل من الاساكيب والبلاطات فيما بين الاعمدة ثلاثة أمتار، عدا اسكوب المحراب، فعرضه أربعة امتار وثلاثون سنتمتراً، وبلاطة المحراب عرضها أربعة امتار وثمانون سنتمراً[4].

وأما بهو المسجد فيكون مستطيلاً غير منتظم الاضلاع يبلغ أكثر أضلاعه طولاً

---

(1) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، 76/2 ؛ كربخال، أفريقيا، 22/3 .

(2) عبد الوهاب، حسن حسني، جامع الزيتونة يؤدي رسالة الدين الاسلامي، المجلة الزيتونية، مجلد 3 ، جزء 2 ، لسنة 1939 ، ص75 .

(3) العبدري، رحلة العبدري، ص110-111 ؛ السراج، الحلل السندسية، ص322 .

(4) فكري، أحمد، مسجد الزيتونة الجامع في تونس، الاسكندرية، مصر، 1952 ، ص70 .

57 متراً وهو الجدار الشمالي[1]. وللجامع منبر من صنع الأغالبة أمراء تونس[2].

وبطبيعة الحال فقد حظي الجامع على مر التاريخ باحترام واجلال سكان مدينة تونس وأهل البلاد بصفة عامة، مما دفع بكل الحكام والسلاطين إلى الاعتناء بهذا الجامع[3]. ففي عهد أمراء بني خراسان (450-555هـ /1059-1160م) أضافوا ستة أبواب جديدة للجامع، وهم الذين بنوا مقصورة الامام، ومن الأبواب التي اضافها بني خراسان باب جديد في الرواق الشرقي سنة 457هـ/1064م وباب اخر يفتح على سوق العطارين سنة 474هـ/1081م[4]. وفي سنة 648هـ /1250م في عهد السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المستنصر(647-675هـ/1249-1277م) بنيت السقاية شرقي جامع الزيتونة[5]. وفي سنة 716هـ/1316م أمر السلطان الحفصي أبو يحيى زكريا اللحياني(711-717هـ/1311-1317م) بعمل عوارض وأبواب من خشب لبيت الصلاة وكتب ذلك في أعلى باب البهو[6]. وفي جامع الزيتونة ثريا من النحاس كبيرة الحجم، بديعة الصناعة تنتصف بلاطة المحراب، صنعها أبو بكر بن أحمد الزبيدي، وفرغ من عملها وتعليقها في مكانها من الجامع في شهر رمضان من سنة 721هـ/1321م[7].

وفي سنة 767هـ/1366م جدد الأمير أبو اسحاق المستنصر (751-770هـ/

---

(1) فكري، مسجد الزيتونة الجامع في تونس، ص70 .

(2) عبد الوهاب، ورقات، 120/1 .

(3) ابن مامي، محمد الباجي، جامع الزيتونة أهم معالم مدينة تونس الاثرية والتاريخية، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 16، خريف، 2000، ص4 .

(4) ادريس، الدولة الصنهاجية، 34/2 ؛ ابن مامي، جامع الزيتونة، ص7 .

(5) ابن القنفذ، الفارسية، ص117 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص33 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص128 .

(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص63 ؛ الوزير السراج ، الحلل السندسية، ص322 ؛ الحشائشي، محمد بن عثمان، تاريخ جامع الزيتونة، تح الجيلاني بن الحاج يحيى، ط2 ، تونس (بلا. ت)، ص23 .

(7) فكري، مسجد الزيتونة، ص69 .

1351-1370م) الكتابة التي باللازورد في قبة جامع الزيتونة[1]. وفي سنة 822هـ/1419م أمر السلطان أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1434م) بعمل الخزانة بجوفي جامع الزيتونة وحبس ما فيها وفي غيرها من الكتب في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب والتاريخ والأدبيات وغير ذلك[2]. وفي عهد السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) تم بناء ميضأة للوضوء والطهارة، وكانت ضخمة وفي غاية الأتقان، والتي تقع بدرب ابن عبد السلام جوفي جامع الزيتونة وأمر بتسخين الماء فيها في فصل الشتاء[3].

وفي سنة 854هـ/1449م أمر السلطان أبو عمرو عثمان ببناء خزانة للكتب بجامع الزيتونة[4]. وفي سنة 868هـ نصب السلطان أبو عمرو عثمان القلاع فوق صحن الجامع الأعظم ليقي الناس من حر الشمس يوم الجمعة في فصل الصيف[5].

ب- المساجد والجوامع الأخرى في تونس :

يوجد إلى جانب جامع الزيتونة في مدينة تونس جوامع ومساجد أخرى لا تقل أهمية عن جامع الزيتونة منها:

(1) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص106 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص141 .

(2) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص87 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 ؛ بن مامي، جامع الزيتونة، ص12 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص126 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144 ؛ بن مامي ، جامع الزيتونة، ص12 .

(5) العبدري، رحلة العبدري، ص111 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص155 ؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ص322 .

❖ جامع القصبة (جامع الموحدين): (629-633هـ/ 1231-1235م)

بدأ السلطان أبو زكريا يحيى الحفصي (627-647هـ/1228-1249م) ببناء هذا الجامع المعروف بجامع القصبة بتونس سنة 629هـ/1231م، وعندما اكتمل بناء الصومعة في شهر رمضان سنة 630هـ/ 1233م صعد السلطان أبو زكريا بنفسه وأذنَ فيها، ويذكر انه في سنة 633هـ/1235م انتهى من بناء الجامع[1]. ويقع هذا الجامع في القسم الجنوبي الشرقي من القصبة[2]. وقد سمي هذا الجامع، بجامع القصبة لانه يقع في قلب القصبة، وفي الوقت نفسه سمي بجامع الموحدين، وهذه التسمية اختفت وأطلق عليه الجامع الحفصي[3]. وذلك عندما اعلن الاستقلال عند دولة الموحدين .

وان عمد الجامع الذي هو من الرخام المنجور المحكم الصنعة نقل إلى جامع القصبة من منزل باشوا، ((فأقيم عليها جامع قصبتها))[4]. وقد نصبت المقصورة في هذا الجامع على يد أبو عبد الله المستنصر الحفصي (647-675هـ /1249-1277م) يوم الجمعة في شهر جمادي الآخر سنة 648هـ/1250م[5]. وكان ممن شغل الخطابة في هذا الجامع أبو عبد الله محمد بن على القاضي الجمي(ت 664هـ) [6]، وفي زمن

---

(1) ابن القنفذ، الفارسية، ص109؛ابن الشماع، الأدلة البينة، ص56 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، 26-27 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص158 .

(2) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 375/1 .

(3) ابن القنفذ، الفارسية، ص117؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص33؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص128؛ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص157؛ زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص39.

(4) التجاني، رحلة التجاني، ص13 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 375/1؛ زبيس ، بين الاثار الإسلامية، ص39 .

(5) ابن القنفذ، الفارسية، ص117؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص33 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص128 .

(6) ابن القنفذ، الفارسية، ص127 .

السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي (839-893هـ/ 1435-1488م) قام ببناء السابلة شرقي صومعة جامع القصبة سبيلاً للعطاش والدواب[1].

أما عن تخطيط الجامع، تبلغ المساحة الكلية للجامع 3465 متر مربع، وتخطيطه عبارة عن ساحة مسقوفة للصلاة (رواق الصلاة) تتقدمها سقيفتان أحداهما شمالية والأخرى شرقية، وقد شيد الجامع بالاحجار، وصنعت الأبواب والشبابيك والأثاث من الخشب، واستخدام الرخام في الاعمدة والتيجان والمنبر وكسوة المحراب، يشمل رواق الصلاة من الداخل مساحة مستطيلة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 30 متر وعرضها من الشرق إلى الغرب 85، 22 متر ويتكون من تسع بلاطات موازية لجدار القبلة، ويتوسط جدار القبلة محراب، والمئذنة تقع في الركن الشمالي الشرقي للجامع مربعة الشكل.[2] (ينظر ملحق رقم6 ص282) .

❖ جامع التوفيق (جامع الهواء):(650هـ/1252م)

جامع التوفيق ويسمى ايضاً بجامع الهواء، لحسن مناخه وارتفاع موضعه[3]. وتم بناء هذا الجامع من قبل الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي (627-647هـ /1229-1249م) أسسته في مدة إمارة ابنها الأمير محمد المستنصر بالله الحفصي (647-675هـ/1249-1277م) سنة 650هـ/ 1252م[4]. علماً بان الأميرة عطف كانت نصرانية واهتدت للاسلام، بل ان أغلب سلاطين بني حفص كانت امهاتهم وزوجاتهم نصرانيات ودخلن الاسلام عن طيب نفس وأسسن الجوامع والمدارس

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136 .

(2) عجلان، عامر حسن أحمد، المساجد الجامعة بمدينة تونس في العصر الحفصي دراسة اثارية معمارية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة سوهاج، كلية الاداب, 2011 ، ص144-163.

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص63 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص121-122؛ ابن عامر ، الدولة الحفصية، ص105 ؛ زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص39 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص63 ؛ابن أبي دينار، المؤنس، ص127-128؛ عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات، ص106 .

وغير ذلك من مساعي البر[1].

وقد علل أحد المؤرخين المحدثين أن بناء هذا الجامع بعد نحو عشرين سنة من بناء جامع القصبة جاء نتيجة زيادة عدد سكان مدينة تونس[2]. وقد تولى الأمامة والخطابة في هذا الجامع جماعة من مشاهير فقهاء المذهب المالكي[3]. يقع هذا الجامع بالقرب من رحبة الغنم في مدينة تونس[4]. ويمتاز انه مبني حسب القواعد التونسية، وعلى المحراب قبة تشبه قبة البهو في جامع الزيتونة. وفيه صومعة، تقع في الركن الشمالي الغربي بعيداً عن رواق الصلاة[5].

يشغل الجامع مساحة مستطيلة، يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 26,60م وعرضها من الشمال إلى الجنوب 22,55م ويتكون من ست بلاطات موازية لجدار القبلة، وقد شيدت جدران الجامع وعقود المئذنة بالأحجار[6].

❖ جامع باب البحر: (682هـ/ 1283م)

يعرف هذا الجامع بعدة أسماء منها جامع باب البحر[7]، وذلك لقربه من باب البحر[8]، ويسمى بجامع الزيتونة البراني[9]، وذلك لتميزه عن جامع الزيتونة الكبير.

---

(1) الباجي، الخلاصة النقية ،ص83 ؛ ابن عامر، الدولة الحفصية، ص86 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص121 .

(2) الطويلي، أحمد، تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري، ط1 ، الشركة التونسية للنشر، 2002، ص53 .

(3) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص122 .

(4) عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص164 .

(5) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص39 ؛ عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص167.

(6) عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص165-167 .

(7) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص47 .

(8) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص123 .

(9) الدولاتلي، مدينة تونس، ص124؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص123 .

تم تشيد هذا الجامع من قبل الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي (681-683هـ/1283-1285م) الذي بويع للأمارة في تونس 17/ شوال/681هـ[1]. وكان تشيده في مكان فندق تباع فيه الخمر، وتم هدم الفندق وبنى موضعه جامع للخطبة[2]. وتم المباشرة به في 19/صفر/682هـ وتم الانتهاء منه في 20/شعبان/682هـ واقيمت فيه الصلاة[3]. وعن الدعي فقد ذكر المؤرخون انه ((ولم تُعلم له منقبة سوى انه رفع النزول عن أهل تونس وكانوا يلقون منه أمراً عظيماً وبنى جامعاً للخطبة))[4]

والجدير بالذكر أن هذا الجامع تم تأسيسهُ في ظروف غير طبيعية مرت بها مدينة تونس، اذ كانت المدينة تعيش آنذاك فترة من أصعب فتراتها بسبب قيام الدعي ابن أبي عمارة المسيلي (681-683هـ/1283-1285م) السيطرة على مقاليد الحكم في تونس، وقد ذكر ان الدعي حاول جلب قلوب الناس والتظاهر بالتدين فاتخذ أمرين الأول يتعلق برفع النزول على سكان تونس والثاني اقامة خطبة جديدة مكان فندق ترتكب فيه المعاصي[5].

وكان ((جامعاً خارج البحر))[6] ويوجد في هذا الجامع بيت للصلاة بسيطاً، وفيه محراب مصنوع ومزخرف على نمط القباب التونسية[7].

---

(1) ابن خلدون، التاريخ، 328/6؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص123؛ اذ يذكر ان البيعة في 27/شوال من نفس العام، ابن الشماع، الأدلة البينة، ص79 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص47؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص124 .

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص47؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص124 .

(4) ابن القنفذ، الفارسية، ص124؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص132.

(5) ابن القنفذ، الفارسية، ص144؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص79؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص47 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص132؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص124؛ وللمزيد عن الدعي ينظر، ابن خلدون، 326/6-330 .

(6) ابن أبي دينار، المؤنس، ص132 .

(7) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص39 .

يشغل الجامع مساحة غير منتظمة الشكل تبلغ 1317 متر مربع، حيث تم بناؤه في موضع فندق قديم أي تم البناء في ظل المساحة المتاحة (أي مساحة الفندق)، وتم تشيد الجامع بالاحجار، وصنعت الأبواب والشبابيك والأثاث الأخرى من الخشب يشغل رواق الصلاة مساحة مستطيلة، اذ يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 16,75 متر وعرضها من الشمال إلى الجنوب 16 متر، ويتكون من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة، وللجامع منبر خشبي متحرك، وله مئذنة ذات تخطيط مربع الشكل[1].

❖ جامع أبي محمد المرجاني[2] : (683-694هـ/1285-1295م)

يعرف هذا الجامع بأسم جامع أبي محمد المرجاني نسبة إلى مؤسسه[3]، وقد تم انشاء هذا الجامع في عهد حكم السلطان الحفصي أبي حفص عمر (683-694هـ/1285-1295م) ، وأول من خطب في هذا الجامع هو أبو عبد الله العوفي الذي كان يعمل مؤدباً في كتاب مقابل الفندق الذي اقيم بدلاً عنه الجامع واقيمت أول صلاة جمعة في الفندق نفسه قبل تحويله إلى جامع وذلك بإيعاز من الشيخ أبي محمد المرجاني وبحضور كبار الفقهاء ورجال الدين[4]. يقع هذا الجامع في ربض باب السويقة الربض الشمالي، ويطل الجامع بواجهته الرئيسية الغربية على سوق

---

(1) عجلان ، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص175-183 .

(2) أبي محمد المرجاني: هو عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الله البكري التونسي الاسكندري المشهور بالمرجاني، ولد في الاسكندرية سنة 633هـ وتوفي في تونس سنة 699هـ من أصحاب الصوفي الشهير أبي الحسن الشاذلي، ابن الطواح، عبد الواحد محمد (ت القرن الثامن الهجري)، سبك المقال لفك العقال، تح محمد مسعود جبران، ط2، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2008 ، ص137 .

(3) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص127 .

(4) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص133 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص129 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص126 .

الحلفاويين[1]. وقد تم بناء الجامع مكان فندق قديم كانت تباع فيه الخضر والبقول[2]. ولم نقف على تاريخ بناءهُ بالتحديد لكنه ضمن المدة ما بين 683-694هـ /1285-1295م ، أي في فترة السلطان الحفصي أبو عمر حفص .

يشغل صحن الجامع مساحة غير منتظمة، حيث يبلغ طوله من الشمال 16متراً ومن الجنوب 15,50 متراً والشرق 13,40متراً والغرب11,15متراً وقد فرشت ارضيته بالحجر، ويحتوي الجامع على محراب ومنبر ومئذنة وميضأة[3]. وهو بناء بسيط ليس فيه تكلفة الا الصومعة فهي من الكذان والحرش وتعد تحفة من الفن الحفصي[4].

❖ جامع باب الجزيرة البراني: (683-689هـ/1285-1291م)

يسمى الجامع بعدة أسماء منها جامع أبي عبد الله المغربي[5]، وجامع باب الجزيرة البراني، وذلك لوجوده خارج باب الجزيرة بالسور الأول ويعرف ايضاً بجامع الجنائز وذلك لقربه من مقبرة الزلاج، حيث كانت تصلى فيه على الجنائز وتخرج منه إلى المقبرة[6]. تم بناء هذا الجامع في فترة حكم السلطان أبي حفص عمر (683-694هـ)[7]، وتم تشيده بفضل الشيخ أبي عبد الله محمد المغربي والأميرة كعيب – زوجة السلطان أبي اسحاق ابراهيم بن أبي زكريا الذي تولى الحكم 678-683هـ/1279-1285م، ووالدة السلطان أبو يحيى أبو بكر الشهيد (ت 709هـ)-

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص152 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص125-126 .

(2) الدولاتلي، مدينة تونس، ص126 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص127 .

(3) عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص187-196 .

(4) زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، ص22 .

(5) الدولاتلي، مدينة تونس، ص115؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص126 .

(6) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص126؛عجلان ،المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص196.

(7) الدولاتلي، مدينة تونس، ص125 .

والتي كلفت الشيخ أبي عبد الله محمد المغربي بالسهر على بناء الجامع[1].

في حين يذكر أحد المؤرخين المحدثين[2] ان هذا الجامع تم بنائه من قبل أهل ربض باب الجزيرة. ولم تذكر المصادر تاريخ بناء هذا الجامع بالتحديد، واذا علمنا ان وفاة الشيخ أبو عبد الله محمد المغربي في اوائل شهر رجب من سنة 689هـ[3]. نستطيع القول ان بناء الجامع ينحصر في المدة من سنة 683-689هـ.

يشغل الجامع مساحة غير منتظمة تبلغ نحو 1669,5 متر مربع وتخطيطه عبارة عن صحن ورواقين، يشغل الصحن مساحة غير منتظمة ، اذ يبلغ طوله من الشمال17,35 متر ومن الجنوب 20,35 متر ومن الشرق 11 متر ومن الغرب 16متر، وتم تشيده بالأحجار وتم تصنيع الأبواب والشبابيك والأثاث من الخشب، وللجامع منبر خشبي متحرك[4].

❖ جامع سيدي يحيى السليماني: (747هـ/1346م)

في عهد الأمير أبو حفص عمر الثاني (747-748هـ/1346-1347م) أحدث خطبة سابعة في جامع سيدي يحيى السليماني سنة 747هـ، وكان يقال من علامة خراب تونس سبع خطب تكون بها[5].

يعرف هذا الجامع بعدة أسماء منها جامع سيدي يحيى السليماني، نسبة إلى الشيخ الفقيه يحيى السليماني، الذي كان يعتكف بالجامع للتدريس والعبادة[6]، ويعرف

---

(1) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص83-84 ؛ الزركشي تاريخ الدولتين، ص58؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص125؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص55 .

(2) زبيس، حول مدينة تونس، ص23 .

(3) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص151 .

(4) عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص198-201 .

(5) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص93؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص137؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 381/2 .

(6) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص135؛ عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس،

ايضاً بجامع السور، لانه كان مجاوراً لأسوار المدينة الخارجية[1]. ويبدو ان هذا الجامع كان مسجداً للصلوات الخمس بناه الفقيه يحيى السليماني (ت 749هـ) وبعد ذلك قام السلطان الحفصي أبو حفص عمر الثاني (747-748هـ) بتحويله إلى جامع للخطبة عام 747هـ[2]. ومن غريب الصدف انه لم يمضِ عامان على إحداث الخطبة في هذا الجامع، حتى كان الوباء الجارف والاحتلال المريني لمدينة تونس، ونكبة كثير من كبار العلماء أمثال ابن عبد السلام (ت 749هـ) قاضي الجماعة بتونس، والشيخ يحيى السليماني (ت749هـ) المنسوب اليه الجامع، وكثر الوباء حتى انتهى عدد الاموات إلى الالف شخص[3].

يتكون رواق الصلاة في هذا الجامع من مساحة شبه مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب يبلغ طولها 51,50 متر وعرضها من الشرق 18,80 متر ومن الغرب 15,60 متر ويتكون من ست بلاطات موازية لجدار القبلة، وفي الجامع محراب ومنبر وله مأذنة[4].

❖ جامع الحِلَق:

يعرف هذا الجامع بجامع الحلق، وسبب هذه التسمية يرجع إلى ((ان تأسيس هذا الجامع يرجع الفضل فيه لأمة زنجية من أهل العقيدة والنية الصالحة، كانت تملك حِلقاً ذهبية (أساور) فباعتها، وأنفقت ثمنها في تأسيس هذا المصلى تقرباً إلى الله زلفا)) [5]،

ص210.

(1) الدولاتلي، مدينة تونس، ص126 .

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص93؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص137؛ عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص211 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة،ص98 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص88 ؛ الدولاتلي ،مدينة تونس، ص126.

(4) عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص216-221 .

(5) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص140؛ ابن عامر، الدولة الحفصية، ص106؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص55 .

لكن دون تسمية هذه المرأة. وقد ذكر ان هذا الجامع كان عند تأسيسه مسجداً للصلوات الخمسة ولم يكن جامعاً للخطبة[1].

ويقع هذا الجامع في ربض باب الجديد، وكان بنائه بسيطاً ليس فيه تكلفه[2]. وقد ذكر ان صومعة جامع الحِلَق تحمل نقش يشير إلى ترميمها سنة 777هـ/ 1375م، مما يدل على وجود هذا الجامع في هذا التاريخ ولعله كان موجوداً منذ القرن السابع الهجري لكنه كان مسجداً للفروض، وعندما تم تجديد المأذنة كان تجديداً لعمارة سابقه ابلاها الزمان[3]. وقد ذكر أحد المؤرخين ان بنائه في القرن الثامن الهجري[4].

❖ جامع الملاسين: (838هـ/1435م)

انفرد أحد الباحثين المحدثين بذكر هذا الجامع الذي يعرف بجامع الملاسين، وتسميته هذه ترجع إلى بنائه في حي يسمى الملاسين، شيده السلطان أبو عبد الله محمد المنتصر بالله (837-839هـ/ 1434-1435م)، ويشير نص الانشاء المثبت على الجهة الجنوبية للمئذنة انه تم بناء الجامع في شهر شوال من عام 838هـ/1435م[5]. علماً بانه لم نجد في المصادر[6]، التي اهتمت بتلك المدة من ذكر ذلك ولم يتطرقوا إلى هذا الجامع عند ذكر الأعمال التي قام بها السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المنتصر بالله (837-839هـ).

---

(1) الدولاتلي، مدينة تونس، ص127 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص139 .

(2) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص40 .

(3) الدولاتلي، مدينة تونس، ص127 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص139 .

(4) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص40 .

(5) عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص232-233 .

(6) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص120-121 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص132-133 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص146 .

❖ جامع سيدي جعفر بالتبانين (باب الأقواس): (855هـ/1451م)

خلال حديثه عن اعمال السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839-893هـ /1435-1488م) ذكر الزركشي[1]:((وفي اوائل ربيع الثاني من سنة خمسة وخمسين وثمانمائة أحدث بتونس خطبة ثامنة بجامع سيدي جعفر بالتبانين بربض باب السويقة))، ويعرف هذا الجامع بعدة أسماء منها جامع سيدي جعفر، وجامع النفافته وهي الأسماء الأولى له منذ ان كان مسجداً للفروض وقبل ان يتحول إلى مسجد جامع، واسم النفافته نسبة إلى عائلة النفافته التي تولت امامة الجامع[2]. ويسمى ايضاً بجامع التبانين لوقوعه بحي التبانين حيث كان يباع التبن في ايام الدولة الحفصية، كما عرف بجامع باب الأقواس لوقوعه بالقرب من باب الأقواس[3]. انشأهُ السلطان أبو عمرو عثمان (839-893هـ) سنة 855هـ/1451م، وكان في البداية مسجداً للفروض وتم تحويله إلى مسجد جامع[4].

يشغل هذا الجامع مساحة تبلغ نحو 583 متر، وتخطيطه عبارة عن رواق للصلاة تحيط به مجموعة من الوحدات، وقد شيد الجامع بالاحجار وتم صنع الشبابيك والأبواب والأثاث الأخرى من الخشب واستخدام الرخام في كسوة المحاريب، يشغل الصحن مساحة شبه مستطيلة من الشمال إلى الجنوب يبلغ طوله 11,77 متر وعرضه من الجنوب 7,25 متر ومن الشمال 6,85 ، اما رواق الصلاة يشغل مساحة شبه مربعة يبلغ قياسها من الشمال إلى الجنوب 16 متر ومن الشرق إلى الغرب 16,35 متر ويتكون من خمس بلاطات موزاية لجدار القبلة[5].

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 381/1 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144؛ ابن عامر، الدولة الحفصية، ص106 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص136.

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144؛ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص136؛ عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص235.

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص136-137 .

(5) عجلان ، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص237-240 .

كان هذا استعراضاً لأهم جوامع الخطبة في مدينة تونس فضلاً عن ذلك كانت هناك مساجد صغيرة للفروض منها، مسجد عبد الله قرب ميناء تونس[1]، ويبدو ان هذا المسجد هو الذي ذكرهُ البكري خلال وصفه لمدينة تونس: ((وعلى شاطئ الميناء مسجد يعرف بمسجد عبد الله)) [2]، ومسجد الاشبيلي الذي يقع في سوق البلاط ويرجع بنائه إلى القرن الرابع الهجري، وان محراب هذا المسجد مزخرف بالفسيفساء الملون على غرار باب البهو في جامع الزيتونة[3].

ومسجد سيدي معاوية يقع قرب زاوية محرز بن خلف وهو يحمل اسم معاوية بن عتيق أحد أصحاب الشيخ محرز بن خلف[4]. ومسجد المهراس وهو من تأسيس عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان (488-500هـ)، ويقع قرب باب البحر[5]. وكذلك مسجد القصر الذي يرجع تاريخه إلى بني خراسان، ويقع في حي باب منارة وهو من بناء الأمير أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق (500-522هـ) في القرن السادس الهجري[6]. ومسجد الصفصافة[7], ومسجد سوق البلاط ويقع في سوق البلاط[8]، ومسجد القبة والذي يقع في القسم الجنوبي لمدينة تونس[9]، ومسجد سوق الفلقة. ويبدو من تسميته انه يقع في سوق الفلقة[10].

---

(1) الدولاتلي، مدينة تونس، ص261 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 35/2 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص38 .

(3) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص83 .

(4) الدولاتلي، مدينة تونس، ص261 .

(5) الدولاتلي، مدينة تونس، ص261 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 35/2 .

(6) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص38 .

(7) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 381/1 .

(8) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 381/1 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص127 .

(9) ابن عظوم، أبو القاسم بن محمد مرزوق(كان حياً عام1009هـ)،كتاب الاجوبة، تح محمد الحبيب الهيلة، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون، بيت الحكمة، تونس،2004، 19/1.

(10) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 382/1 .

ج – الزوايـــا:

كانت الزوايا التونسية على نوعين منها الزاوية المبيت، ومهمتها ايواء المسافرين الذين يباغتهم الليل، والزاوية التي يوجد فيها قبر والتي يقصدها الناس للزيارة والتبرك[1]. وقد ظهرت الزاوية المبيت لأول مرة في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز(796–837هـ) وقد اقيمت هذه الزاوية على أبواب الحاضرة لاستقبال المسافرين الواردين عليها من كل الافاق، بل كانت تعد داراً للضيافة ومأوى للفقراء والمساكين[2].

ففي سنة 801هـ/1399م أمر السلطان أبو فارس عبد العزيز(796–837هـ) بهدم الفندق الذي كان بباب البحر في تونس وقد كانت تستباح فيه المعاصي من الخمور وغيرها وقد كان مجبى هذا الفندق اثنى عشر الف دينار ذهباً في كل عام فترك هذه الأموال وهدم الفندق وبنى مكانه زاوية عظيمة البناء والنفع، وكانت موضعاً للصلاة ولتدريس العلم وقراءة القرآن وسكن الطلبة وأوقف عليها أوقافاً جمة من محترث وفدادين زيتون ومعصرة بازائها وجعل فيها سماطاً جارياً للمقيمين بها والواردين عليها[3].

وانشأ الأمير أبو عبد الله محمد بن السلطان أبي فارس((زاوية سيجوم، وعمل فيها جامعاً للخطبة، ودرساً لقراءة العلم، ورباطاً لسكن طلبة العلم، وقراءة القرآن، واوقف عليها حبساً قوياً، يكفيها وجعل فيها سماطاً للمقيمين فيها والواردين عليها، فعم النفع بها، وعمرت عمارة قوية)) [4]، ومن مآثر السلطان أبو عمرو عثمان(839–893هـ)

---

(1) الدولاتلي، مدينة تونس، ص141 .

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص128 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 384/1 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص141 .

(3) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص196؛ عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص85–86 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص114–115؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص120 ، ابن أبي دينار، المؤنس، ص146 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص128 .

انه عمل سبيلاً بزاوية سيجوم ينتفع به المسافرون الواردون عليها ويأمنون على دوابهم ورحالهم وانفسهم من أي سوء[1]. وفي عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز تم انشاء زاوية أخرى ((خارج باب أبي سعدون بحومة باردو وجعلها منهلاً من أي افق كان يأوي اليها عشية إلى ان يشخص من هنالك سحراً وحبسِ عليها ما يقوم بها)) [2]، وتم بناء زاوية جديدة ايضاً في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز تلك الزاوية التي بحومة الداموس خارج باب علاوة، وجُعلت ملجأ للواردينَ من تلك الجهة اذا لم يستطيعوا الوصول إلى المدينة[3].

وتواصل العمل ببناء الزوايا في عهد السلطان أبو عمرو عثمان(839-893هـ) على الطرقات المؤدية إلى مدينة تونس، وهي بمثابة المراحل التي يستريح بها المسافر، فبنى زاوية بعين الزميت وجعل فيها جامعاً للصلاة ودرساً لقراءة العلم ورباطاً للقاطنين وسماطاً للمقيمين بها والوافدين عليها وأوقف عليها أوقافاً كافية، وكانت هذه الزاوية بين مدينة تونس ومدينة باجة[4]. وكذلك تم بناء زاوية أخرى هي زاوية الفندق فوق غابة شُريك قبلي جبل زغوان، جعلت ملجأ لمبيت الواردين من ناحية تونس او من ناحية القيروان[5]. يتبين من خلال هذا بان الزاوية عبارة عن منشأة علمية ذات صبغة دينية .

وأما النوع الآخر من الزوايا فهو الزاوية التربة (المقبرة) وهي التي بها ضريح يزوره الناس لأجل التبرك، ومنها زاوية الشيخ الصالح أحمد بن عروس، وزاوية سيدي

---

(1) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص128 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص141 .

(3) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص86 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص141 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص124؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص147 .

(5) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص86 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136 .

الكلاعي وزاوية سيدي قاسم الزليجي[1].

(1) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص120؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص146 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 383/1-384 .

المبحث الثاني : المباني الأدارية وملحقات المدينة :

أولاً : المباني الأداريـة :

أ- دارالأمارة (القصبة) :

لم نجد أي اشارة لوجود دار الأمارة (القصبة) تم بنائها اثناء بناء المدينة من قبل الوالي حسان بن النعمان الغساني (74-85هـ/693-705م) اذ تم بناء دار الأمارة (القصبة) في عهد الأغالبة (184-296هـ/799-908م) أمراء تونس، فكانت القصبة من أعمال بني الأغلب،[1] ولما آلَ حكم البلاد إلى بني الأغلب صرف أمراء هذه الدولة عناية خاصة لتمدينها (أي مدينة تونس) فأنشأوا في اعلاها قصراً لسكناهم يعرف بدار الأمارة.[2] وفي سنة 281هـ /893 أمر الأمير ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (261-289هـ/874-901م) ان تبنى له بتونس قصور ومساكن فبنيت، ثم انتقل أهل بيته وجميع قواده ومواليه معه[3]. ومن بعده الأمير عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب (289-290هـ/901-902م) الذي استقر في مدينة تونس ((فقعد بتونس لمظالم الرعية))[4].

ويذكر ابن فضل الله العمري[5] بأن :((القصبة هي القلعة في مصطلح المغاربة وهي سكن السلطان)). ويقول القلقشندي[6]: ((وللسلطان بها قلعة جليلة يسكنها يعبرون

(1) النويري، نهاية الارب، 72/24؛ لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق3 ، ص36 ، ابن أبي دينار، المؤنس، ص7 و 10 و 14 ؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص14 .

(2) عبد الوهاب، ورقات، 292/1 .

(3) النويري، نهاية الارب، 72/24 .

(4) لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق3، ص36 .

(5) مسالك الابصار، 89/4 .

(6) صبح الاعشى،102/5 .

عنها بالقصبة))، وتقع قصبة مدينة تونس في وسط الجانب الغربي من المدينة، على ربوة مرتفعة تمكن في آن واحد من مراقبة المدينة ومسالك تونس الوسطى والشمالية[1].

وعندما تمكن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) من الاستيلاء على مدينة تونس 554هـ/1160م، قد اعاد بناء القصبة واحدث فيها ابراجها المثلثة الزوايا، وفصلها عن المدينة بسور يحيط بها[2]، وقد بلغت تكاليف هذا البناء نصف الضريبة التي فرضها عبد المؤمن على سكان تونس[3]. في حين ذكر أحد المؤرخين ان عبد المؤمن بن علي لم يجر فيها الا تعديلات طفيفة لجعلها صالحة للاستعمال بعدة تركها مدة من الزمن[4].

وفي سنة 603هـ /1207م عندما تولى المولى أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الأمارة في افريقيا من قبل الموحدين، دخل مدينة تونس فجلس للامارة بقصبتها وذلك يوم السبت 10/شوال/603هـ /1207م[5].

وفي الفترات اللاحقة توالت على القصبة الأعمال والترميمات منها، خلال ولاية أبي زكريا يحيى الحفصي(627-647هـ/1230-1249م) وفي سنة 629هـ/1232م ((حصن تونس وجدد رسوم قصبتها))[6] ، أي أعاد ترميمها، ومن ثم أدخل الأمير المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) بعض التعديلات والأصلاحات على القصبة منها في سنة 651هـ /1253م أمر المستنصر بالله ببناء ((قبة الجلوس بتونس

---

(1) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 383/1 .

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص153 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص37 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 383/1 .

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص153 ؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ص250؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص50 .

(4) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص21 .

(5) ابن أبي دينار، المؤنس، ص124 .

(6) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص57 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص26 .

التي بأساراك[1] المشرفة على باب ينتجمي[2]، وبنى الممشى من القصبة إلى رأس الطابية لكي تحتجب فيه حرمه وأوصله إلى رياض أبي فهر))[3]

وقد كانت القلعة تفضي إلى المدينة من الجهة الشمالية بواسطة باب ينتجمي[4]. وكذلك هناك أبواب أخرى متفاوتة في الأهمية في إتجاه الجهات الأصلية الثلاث، ففي الشمال باب الجبلية والذي يفضي إلى خارج القصبة، وفي الغرب باب الغدر[5]، الذي لم يكن كما في المدن الأخرى، وتسميته بربرية وتعني الباب السري[6]. وفي الجنوب يوجد باب لم نعرف إسمه، ونادراً ما كان يفتح لانه مخصص للسلطان والحاشية الرسمية، وكانت تلك الأبواب مقوسة الشكل يحرسها الجيش صباح مساء[7].

وكانت القصبة عبارة عن مدينة صغيرة، محصنة، يوجد فيها قصر السلطان أو قصر الوالي وقصور الحاشية والدواوين الأدارية، وثكنات الجيش والشرطة وتكون متصلة بالمدينة الكبيرة، لوجودها بأزائها ومنفصلة عنها في الوقت نفسه لكونها محاطة داخل سور المدينة يحميها عند الحاجة من الثورات[8]. وقد جهزت القصبة بمنشآت مستقلة من مساكن مختلفة وكذلك جامع للخطبة، يسمى جامع القصبة، والذي تم

---

(1) أساراك: يذكر ابن خلدون انها في اللسان المصمودي تعني القوراء الفسيحة، أي بمعنى الساحة او الفناء، وفي تلك الساحة شيد الأمير المستنصر بالله جناحاً مرتفعاً كان يجلس فيه لحضور الاستعراض والاحتفالات ومشاهد الاعياد، ابن خلدون، التاريخ، 300/6؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص34 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 374/1 .

(2) باب ينتجمي او أنتجمي: وهو الباب الرئيسي للقصبة، وتسميته بربرية كان يقع امام قبر ابن نفيس، الدولاتلي، مدينة تونس، ص257 .

(3) **ابن الشماع، الأدلة البينة، ص66-67؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص34؛ للمزيد ينظر ابن خلدون، التاريخ، 299/6-300 عن وصف قبة الجلوس.**

(4) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص118؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص34.

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص106 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص9 .

(6) الدولاتلي، مدينة تونس، ص57 .

(7) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 374/1 .

(8) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص24 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص50 .

الانتهاء من بناءه سنة 633هـ/1236م[1] . وقد كانت القصبة مقراً مركزياً للدولة بكل النشاطات الأدارية، علاوة على هذا تميزت بشخصية عمارتها ذات الطابع المغربي، ويوجد فيها مساكن للحراس، ومخازن للمواد الغذائية ومخازن السلاح، بل وكانت موضع اجتماع الاجناد وغيرهم[2].

ب- دار الضرب:

كانت دار الضرب تقع في مدينة القيروان بوصفها حاضرة الولاية، وفي هذه الدار كانت تضرب النقود لجميع مدن الشمال الافريقي، وعلى اختلاف أنواعها وكانت مجاورة لدار الأمارة بالقرب من المسجد الجامع[3]، وعندما انتصبت الدولة الفاطمية (296-362هـ/908-973م) في شمال افريقيا بعد سقوط دولة الأغالبة (184-296هـ/799-908م) ضربت نقودها الأولى في مدينة رقادة، وبعدها تم نقل دار الضرب إلى مدينة المهدية سنة 308هـ/920م، ولم تصاغ النقود الا بها[4]. وبطبيعة الحال كان تعامل أهل تونس بهذه النقود. وبقي الحال حتى تمكن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (457-558هـ/1064-1163م)، من السيطرة على مدينة تونس، واقام بها مصالح الحكومة ودواوينها، فاستقرت دار الضرب في مباني قصبة تونس منذ ذلك الوقت[5].

وخلال العصر الحفصي كان ضرب النقود في دار السكة بتونس[6]. وكان للدار

---

(1) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص109 ؛ابن الشماع، الأدلة البينة، ص56؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص26-27 .

(2) **الوزير السراج ، الحلل السندسية، ص309 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص52 .**

(3) عبد الوهاب، ورقات، 410/1 .

(4) عبد الوهاب، ورقات، 411/1 .

(5) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص93 ؛ عبد الوهاب، ورقات، 416/1 .

(6) أبو مصطفى، جوانب من الحياة الأجتماعية والاقتصادية, ص78 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 67/2 .

ناظر خاص يشرف على نظامها وسير العمل بها، ويباشر الأعمال بالدار عمال ماهرون توفرت فيهم شروط الخبرة بإذابة المعادن وسبكها، ولهم معرفة بالوزن والنقش والطبع، وكان يطلق على العامل الذي يعمل في دار الضرب بـ (السكاك)[1].

ثانياً : ملحقات المدينة :

أ- الأبواب:

لقد ذكر البكري[2] في وصفه لمدينة تونس قائلاً: ((ولها خمسة أبواب)). ولكنه لم يذكر منها سوى أربعة وهي باب الجزيرة وباب قرطاجنة وباب السقائين وباب أرطة[3]، أما الباب الخامس فهو على الأرجح باب البحر[4]. في حين يذكر الأدريسي ((ولها أبواب ثلاثة)) [5]، يرجع هذا الاختلاف إلى انه في مدة حياة الأدريسي لم تكن الأوضاع في تونس وما حولها مستقرة بسبب غزو قبائل بني هلال، ولذلك كانت أبوابها التي تقع في زمانهم قليلة لأسباب أمنية لان قلة الأبواب تعين على زيادة قدرة الدفاع عن المدينة امام المهاجمين ((وليس لها خارج السور شيء يعول عليه والعرب تجاور ارضها)) [6].

لذلك فمن الطبيعي ان تنخفض اعداد الأبواب بسبب عدم إستقرار الأوضاع الأمنية في المدينة ولما إستقرت أوضاع المدينة وعم الأمن فيها ، وكلما اخذت المدينة بالاتساع نجد ان أعداد الأبواب يرتفع، وهذا ما ذكره العبدري خلال رحلته إلى تونس

---

(1) عبد الوهاب، ورقات، 1/410-411 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 2/148 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص39–40 ؛ ينظر ابن أبي ديار، المؤنس، ص9 .

(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص39–40 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/60–61 .

(4) ادريس، الدولة الصنهاجية، 2/31 .

(5) وصف أفريقيا الشمالية، ص81 .

(6) الأدريسي، وصف أفريقيا الشمالية، ص81 ؛ مقديش، نزهة الانظار، 1/117 .

((ولها أبواب عديدة)) [1]، علماً بان هذه الأبواب كانت تغلق ليلاً، كما كانت تغلق ايضاً وقت صلاة الجمعة وهذا ما ظهر في اواخر الدولة الحفصية[2]. وقد بلغ عدد أبواب المدينة بحسب ما ورد ذكره بالمصادر أربعة عشر باباً ، وسوف نقوم بتسليط الضوء على هذه الأبواب وأهم المعالم الحضارية والعمرانية التي توجد بها. (ينظر ملحق رقم7 ص283) .

❖ باب الجزيرة:

وهو من أبواب مدينة تونس[3]، قبلي ينسب إلى جزيرة شريك[4]، ويخرج منه إلى القيروان، ويقابله جبل يسمى جبل التوبه، وهو جبل عالٍ لا ينبت شيئاً في اعلاه قصر مبني مشرف على البحر، وبشرقي هذا القصر غار محني الباب يسمى المعشوق وبالقرب منه عين ماء، وبغربي هذا الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة، فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع[5]. وكذلك يوجد جامع يسمى جامع باب الجزيرة البراني، يقع خارج باب الجزيرة بالسور الأول، ويعرف ايضاً بجامع الجنائز، وذلك لقربه من مقبرة الزلاج حيث كانت تصلى فيه على الجنائز وتخرج منه إلى المقبرة[6]، وكذلك يوجد

---

(1) رحلة العبدري ، ص110 .

(2) ابن الخوجة، محمد، أبواب مدينة تونس 2 ، المجلة الزيتونية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، 1360هـ/1941م ، ص245 .

(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص39 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 60/2؛ لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق3 ، ص38 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص108؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص34 .

(4) جزيرة شريك : مدينة بأفريقية بين سوسة وتونس وتنسب إلى شريك العبسي وكان عاملاً عليها ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 54/3 .

(5) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص39 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 60/2 .

(6) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص126 .

خندق كبير في باب الجزيرة[1].

❖ **باب قرطاجنة:**

وهو من أبواب مدينة تونس، ويقع شرق المدينة ، دونه داخل الخندق بساتين كثيرة وآبار سواقي تعرف بسواقي المرج، ويتصل بها جبل أجرد يقال له جبل أبي خفاجة[2]. وقد ذكر ان هذا الباب كان موجوداً في القرن الثاني للهجرة، لانهم كانوا يدخلون منه الحجارة المجلوبة من انقاض قرطاجنة لتعمير مدينة تونس[3].

وقد ذكر انه من مآثر السلطان أبي العباس أحمد (772-796هـ/1370-1394م) انشاء السبالة بداخل باب قرطاجنة وأوقف عليها أوقافاً جليلة، فعم النفع بها جميع الناس[4].

❖ **باب السقائين:**

جوفي نسب إلى السقائين، لأن بئراً تعرف ببئر أبي الغفار تقابله وهي بئر كبيرة عذبة الماء[5]، يأتي اليها السقائون بدوابهم وقربهم فيملؤون هذه القرب بالماء وينطلقون لبيعها في المدينة[6]، يكون من جهة الشمال، وهو الذي أصبح فيما بعد يسمى باب السويقة، نسبة إلى السويقة التي أنشأها الفقيه محرز بن خلف[7]. ويوجد فيه مقام (قبر) الفقيه محرز بن خلف ((ومقامه بداره بداخل بباب السويقة)) [8]. وكذلك من

---

(1) التجاني، رحلة التجاني، ص355 .

(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 61/2؛ التجاني، رحلة التجاني، ص355 ؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ص256 .

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 62/2 ؛ ابن الخوجة، أبواب مدينة تونس2 ، ص247 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص111 .

(5) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 .

(6) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، 76/2 .

(7) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 371/1 .

(8) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص38 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص11 .

المعالم العمرانية الأخرى، وجود مدرسة ابن تافراجين الكائنة بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة[1].

❖ **باب أُرطة:**

وهو أحد أبواب مدينة تونس، ويقع غرب المدينة، تجاورهُ مقبرة تعرف بمقبرة سوق الأحد، ودون الباب من داخل الخندق يوجد غدير كبير يعرف بغدير الفحامين، وكذلك وجود ربض المرضى وبقبلي ربض المرضى الملاحة الكبيرة، ((منها ملحهم وملح من جاورهم))[2]، وعن تسمية الباب بهذا الأسم يذكر انه نسبة إلى بشر بن أرطه، او لمكان او منطقة مجاورة لتونس من الناحية الغربية كما يستفاد من ذلك قول البكري[3]: ((سار حسان بن النعمان إلى أرطه فقاتل الروم بفحص تونس)) ، ويبدو ان هذا هو الرأي الراجح.

❖ **باب البحر:**

وهو من أبواب مدينة تونس القديمة، وربما يرجع تاريخه إلى أيام الأغالبة، ثم توالت عليه الاصلاحات في جميع العصور[4]. ويعتبر سوره هو الحافظ للمدينة من جهة البحر كما يدل عليه اسمه[5]. ويقع في الجهة الشرقية للمدينة ويربط بين المدينة والميناء[6].

ومن المعالم العمرانية الموجودة، توجد مجموعة من الفنادق خارج أسوار المدينة

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص101 .

(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 61/2 .

(3) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص37 ؛ ابن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، ص363 ؛ ابن الخوجة، أبواب مدينة تونس2، ص218 .

(4) زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص42 .

(5) ابن الخوجة، أبواب مدينة تونس2 ، ص247 .

(6) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 1/ 371 .

على بعد نصف ميل من باب البحر[1]. وكذلك يوجد جامع يعرف بجامع باب البحر، من بناء الدعي أحمد بن مرزوق المسيلي سنة 682هـ[2]. وكذلك توجد زاوية من بناء السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796–837هـ) تم بناؤها سنة 801هـ، بمكان فندق تباع فيه الخمر، وتم بناء زاوية عجيبة البناء اتخذت موضعاً للصلاة ولتدريس العلم وقراءة القرآن الكريم[3]. وكذلك هناك يقع حمام زرقون قرب باب البحر[4].

❖ **باب الجديد:**

تم بناء هذا الباب في عهد السلطان أبو زكريا يحيى الواثق (675–678هـ)، في حدود سنة 676هـ/1277م[5]. وتم بنائه على نمط الأبواب الموحدية والمرينية في البلاد المراكشية[6]. من أبرز المعالم العمرانية وجود جامع يسمى جامع الحلق في ربض باب الجديد[7]. وكذلك توجد سقاية للماء من بناء السلطان أبو فارس عبد العزيز (796–837هـ)[8].

❖ **باب المنارة:**

سمي بهذا الأسم لانه كانت بجداره مشكاة لهداية أبناء السبيل، تم بناء هذا الباب

---

(1) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، 77/2 .

(2) ابن القنفذ، الفارسية، ص124 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص47 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص132 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص123 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص114-115 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص80 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص132 .

(5) الدولاتلي، مدينة تونس، ص203 ؛ ابن الخوجة، أبواب مدينة تونس2 ، ص248 .

(6) زبيس، حول مدينة تونس، ص25 .

(7) زبيس، حول مدينة تونس، ص49 .

(8) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 .

من قبل الأمير أبو زكريا يحيى (627-647هـ)[1]. ومن أهم المعالم العمرانية الموجودة في هذا الباب ، مصلى العيدين خارج باب المنارة بتونس بناه الأمير أبو زكريا يحيى سنة 627هـ[2]. وكذلك يوجد كُتّاب لتعليم الصبيان قراءة القرآن الكريم وهو من بناء السلطان أبي عمرو عثمان (839-893هـ) [3].

❖ باب الخضراء:

أحد أبواب مدينة تونس، يفضي هذا الباب إلى البساتين التي كانت خارج المدينة، واليه كانت تسمى هذه المنطقة بالخضراء, وايضاً سميت تونس بالخضراء من اجلها وهذا الباب من إنشاء الحفصين[4]. وهو من أبواب سور الربض الشمالي للمدينة[5].

❖ باب أبي سعدون:

أول إشارة إلى وجود هذا الباب تعود إلى عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1443م) عندما أسس سنة 823هـ/1420م زاوية خارج باب أبي سعدون باتجاه ضاحية باردو، وجعلها منهلاً للوارد من أي أُفق يأوي اليها وحبسَ عليها ما يقوم بها[6]. ((وبناء سبالة للماء الكائنة بداخل باب أبي سعدون من تونس سبيلاً للناس والدواب)) [7]، سنة 838هـ وهي من بناء أبي عبد الله محمد

---

(1) الدولاتلي، مدينة تونس، ص203 ؛ ابن الخوجة، أبواب مدينة تونس2، ص248.

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص56 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص25 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص61 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص125 .

(4) زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، ص25 .

(5) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

(6) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص86 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص113 .

(7) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص123 .

المنتصر(837-839هـ/1434-1435م) [1]. وهذا الباب من أبواب سور الربض الشمالي[2].

❖ **باب الأقواس:**

يوجد هذا الباب في الجانب الغربي من الربض الشمالي (باب السويقة) في العصر الحفصي، ويسمى باب الأقواس، ويبدو انه عوضاً عن باب العلوج[3]. أما عن أبرز المعالم الحضارية، وجود جامع سيدي جعفر أو جامع التبانين، كما يسمى ايضاً جامع الأقواس لوقوعه بالقرب من باب الأقواس، وهذا الجامع بالقرب من باب الأقواس، وهذا الجامع من انشاء السلطان أبو عمرو عثمان(839-893هـ) في سنة 855هـ بعد ان كان مسجداً للفروض[4].

❖ **باب علاوة:**

وهو أحد أبواب مدينة تونس، من أبواب سور الربض الجنوبي للمدينة[5]. توجد زاوية بضاحية الداموس خارج باب علاوة، وجعلت ملجأ للواردين من تلك الجهة اذا لم يستطيعوا الوصول إلى المدينة، وهي من بناء السلطان أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1434م) [6]. وفي سنة 881هـ/1477م ((شرع في فسقية باب علاوة من تونس وجلب الماء اليها من هنشير حمزة[7])) [1]، ونجد امتداد مقبرة

---

(1) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص120 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص146 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص81 .

(2) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

(3) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 387/1 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص136 ؛ عجلان، المساجد الجامعة بمدينة تونس، ص235 .

(5) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

(6) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص86 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 .

(7) هنشير حمزة: محلة تقع جنوب مدينة تونس تتجمع بها بطريقة ما، مياه بئر القصبة. الدولاتلي

الزلاج من خارج باب علاوة[2].

❖ باب الفلة:

أحد أبواب المدينة ، من بقايا العصر الحفصي في دور انحطاطه، سمي بذلك لانه كان ثلمة في السور ولما دهم أهل تونس العدو من النصارى الاسبان، فروا بأنفسهم وخرجوا من هنالك خفية ان تؤخذ عنهم الأبواب فخرج أكثرهم من هنالك فكان يقول بعضهم لبعض اخرجوا من الفلة، فلزمه الأسم[3]. ويعد هذا الباب من أبواب سور الربض الجنوبي[4].

❖ باب القرجاني:

أحد أبواب تونس، سمي بهذا الأسم نسبة إلى أحد الرجال الصالحين علي الكبير القرجاني، من رجالات المائة السابعة[5]. وهو من أبواب سور الربض الجنوبي[6].

❖ باب خالد:

أحد أبواب مدينة تونس، يسمى باب المنصور او باب سيدي قاسم الزليجي لقربه من ضريح الفقيه سيدي قاسم الزليجي(ت 902هـ)[7]. توجد زاوية سيدي قاسم

مدينة تونس، ص12 .

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص159 .

(2) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 387/1 .

(3) ابن الخوجة، أبواب مدينة تونس2 ، ص249 .

(4) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

(5) الباجي، الخلاصة النقية، ص64 ؛ ابن الخوجة، أبواب مدينة تونس2، ص248.

(6) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

(7) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

الزليجي، والتي دفن بها[1]. وتوجد اراضي سبخة بالقرب من الباب[2]. وهو من أبواب سور الربض الجنوبي[3].

ب- الأسوار:

انطلاقاً من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة، عدَّ السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن، واعتبر الإسلام بناء الأسوار من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي مقاصد الإسلام، ومن هنا صنفها الفقهاء تصنيفاً يضعها في عداد البناء الواجب، ولاسيما اذا كانت الحاجة ملحة لاستخدامها في الدفاع عن حرمات المسلمين ووقف عليها الاحباس لترميمها وتقويتها[4].

لقد وردت أول اشارة لسور تونس عند اليعقوبي[5] بقوله : ((وكان على تونس سور من لبن وطين وكان سورها ما يلي البحر بالحجارة))، وخلال ثورة صاحب الحمار أبي يزيد مخلد بن كيداد(333-336هـ) الذي أكثر من التخريب زمن الفاطميين، وقد أصاب مدينة تونس ما أصابها من النهب والدمار والخراب، استطاع الفقيه محرز بن خلف من إعادة امور المدينة والاشراف على بناء وتجديد الأسوار التي لحقها الخراب والدمار، وليزيدها تحصيناً[6].

وخلال مدة حكم بني خراسان، يذكر بان الأمير أحمد بن عبد العزيز بن عبدالحق(500-522هـ/1106-1128م)، الذي حصن مدينة تونس ((وضبطها وبنى

---

(1) ابن أبي دينار، المؤنس، ص150-151 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص137 .

(3) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

(4) عثمان، المدينة الإسلامية، ص135 .

(5) البلدان، ص187 .

(6) ابن أبي دينار، المؤنس، ص7 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 34/2 ؛ ابن مامي، لمحة تاريخية حول مدينة تونس، ص279 .

أسوارها)) [1]، ويبدو ان هذه الأسوار هي التي ذكرها الأدريسي[2] بقوله: ((وعليها سور تراب وثيق)) ، ويحيط بمدينة تونس سور تبلغ مساحته إحدى وعشرون الف ذراع[3]، وقيل ((ولها سور يدور بها ويقال ان دورها أربع وعشرون الف ذراع)) [4]، وقد ذكر أحد المؤرخين، بان مدينة تونس ((يستدير بها خندق وسور حصين)) [5]، وقيل بانها مدينة مسورة[6]، ولها خندق حصين[7]. وقد توالت على أسوار المدينة عمليات التجديد والترميم في حقبات متفاوتة من الزمن، فقد وردت أول اشارة لوجود أسوار حول الأرباض في سنة 717هـ/1317م خلال مدة حكم الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي ضربة(717-718هـ) الذي دعا سكان الأرباض إلى حماية انفسهم بواسطة بناء سور على الأرباض فأجابوه إلى ذلك، إلا أن هذا العمل لم يكتمل[8].

وفي سنة 748هـ/1347م خلال سيطرة المرينين على مدينة تونس، بادر السلطان أبو الحسن المريني باصلاح مجموعة الأسوار واحاطة المدينة بخندق، ولعله اكمل في نفس الوقت الاشغال التي شرع بها الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي ضربة[9]. وفي مدة الأمير أبو إسحاق إبراهيم ابن المولى أبي بكر(751-770هـ/1351-1369م)

---

(1) ابن خلدون، التاريخ، 165/6 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص54 .

(2) وصف أفريقيا الشمالية، ص81 ؛ ينظر، مقديش، نزهة الانظار، 117/1 .

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص87 ؛ ابن الفقيه، البلدان، ص132؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 60/2 ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع، 282/1 .

(4) مجهول، الأستبصار، ص120 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص36 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص143؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص7 .

(5) القلقشندي، صبح الاعشى، 102/5 .

(6) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 89/4 .

(7) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص39 .

(8) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص66 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص70 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص101 .

(9) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص85 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 ، الدولاتلي، مدينة تونس، ص104.

الذي قام بتكليف وزيره ابن تافراجين بتدبير امور الدولة، والذي شرع في بناء السور البراني المحيط بجميع ارباض تونس وحبسَ عليه نصف خراج الارض، نصف كراء المعاصر التي بداخله لاصلاح ما يختل منه[1].

وقد ذكر أن السلاطين الحفصين جددوا أسوار تونس عاصمة ملكهم وجعلوها بالحجارة والبناء المرصوص[2]. وقد رسم لنا أحد المؤرخين المحدثين طريق هذه الأسوار قائلاً: ((واعلم ان حاضرة تونس، كان لها في الأول سور واحد يحيط بالمدينة وهذا السور يبدأ من باب البحر، ثم باب قرطاجنه، فباب السويقة، فباب البنات، فالقصبة، فباب المنارة، فالباب الجديد، فباب الجزيرة، فباب البحر حيث البداية، وهذا هو السور القديم الذي كان موجوداً في المائة الرابعة في عهد الفقيه محرز بن خلف، وكانوا ينعتونه بالسور الدخلاني، اما السور الثاني فهو الذي أحدثه سلاطين بني حفص وهو المضاف إلى سور باب البحر، وباب الجزيرة، فباب علاوة، باب الفلة، باب القرجاني، باب سيدي قاسم، باب سيدي عبد الله، ثم باب غدر، فباب العلوج، فباب سعدون، فباب عبد السلام، فباب العسل، فباب الخضراء، ومنه يلتحق بسور قرطاجنة وباب البحر حيث البداية، وهذا السور ينعتونه بالسور البراني)).[3] وقد تبين انه كان لمدينة تونس سور يحيط في المدينة، اما في العهد الحفصي فقد أحدث سلاطين بني حفص سوراً اخر أحاط في المدينة ليجعلها أكثر حصانه .

ج - الأرباض:

لقد تطورت مدينة تونس تطوراً كبيراً في عهد بني زيري وبني خراسان وزاد خراب

---

(1) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص102 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص140 .

(2) ابن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، ص358 .

(3) ابن الخوجة، محمد، تاريخ أبواب تونس، المجلة الزيتونية، المجلد الرابع، الجزء السابع، المطبعة التونسية، 1941، ص214 ؛ ابن الخوجة ، تاريخ أبواب تونس ، دائرة المعارف التونسية ، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، الكراس 5 ، لسنة 1995 ، ص94 .

القيروان في نهضتها، فأضيف إلى المدينة. نتيجة التوسع العمراني ربضان كبيران، هما ربض باب السويقة في الناحية الشمالية من المدينة، وربض باب الجزيرة في الناحية الجنوبية من المدينة[1]. وقد أُشير إلى وجود ارباض واسعة خارج المدينة، ولكن تميز في ذلك الوقت ربضين اساسيين هما ربض باب السويقة وربض باب الجزيرة[2]. فقد قدر عدد منازل ربض باب السويقة بإلفي منزل بينما ربض باب الجزيرة فقد كان فيه الف منزل[3].

في حين يذكر أن عدد منازل مدينة تونس كانت سبعة الآف منزل[4]. وهذا يعني كلما ازداد عدد السكان كلما ازداد البناء والعمران. وقد وصف العبدري[5] الذي زار مدينة تونس سنة 688هـ بقوله: ((وعند كل باب منها ربض متسع على قدر البلد المستقل)) ، في حين يذكر بأن لمدينة تونس ((ثلاث أرباض كبيرة من جهاتها)) [6]، ويوجد الربض الثالث خارج باب البحر، وفي هذا المكان توجد المخازن ودور التجار النصارى الذين يقصدون تونس للتجارة، ولا يزيد عدد دور هذا الربض على الثلاثمائة دار، ثم انها من الدور الصغيرة، يسكنها النصارى والمسلمين[7]. وفي عهد السلطان أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) عندما بويع بالخلافة ورد عليه أخواله فأسكنهم بالربض الملاصق للقصبة المعروف بحومة العلوج[8]. او ما يعرف

(1) المراكشي، المعجب، ص252 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 34/2 .

(2) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، 74/2 .

(3) كربخال، أفريقيا، 20/3 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص105 .

(5) رحلة العبدري، ص110 .

(6) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 4 /145 ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، 102/5 .

(7) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، 145/2 ؛ كربخال، أفريقيا، 20/3 .

(8) **ابن أبي دينار، المؤنس، ص159؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص83؛ ابن عامر، الدولة الحفصية، ص86 ،عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص126 ؛ ابن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، ص352 .**

بربض النصارى[1]. وفي سنة 855هـ في فترة السلطان أبو عمرو عثمان(839-893هـ) عندما أراد زواج ابنه ولي العهد المولى أبي عبد الله محمد أعطى ((لأهل ربض باب السويقة ستين رأساً بقراً وستين قفيزاً قمحاً، وفعل ذلك لأهل ربض باب الجزيرة)) [2]، وهذا يدل على ان اعداد السكان في هذين الربضين كان كثيراً.

أما عن أبواب الربض الشمالي (ربض باب السويقة) فكانت تتمثل في باب الخضراء وباب أبي سعدون وكذلك باب السويقة، وكذلك يوجد في الجانب الغربي من الربض باب الأقواس وهو عوضاً عن باب العلوج، أما عن أبواب سور الربض الجنوبي (ربض باب الجزيرة) فكان يشمل على أربعة أبواب وهي باب علاوة وباب الفلة وباب القرجاني وباب خالد ويسمى باب المنصور أو باب سيدي قاسم[3].

أما عن المعالم العمرانية فيوجد في ربض باب السويقة جامع أبي محمد المرجاني ويطل الجامع بواجهته الغربية على سوق الحلفاوين[4]. وكذلك يوجد ((جامع سيدي جعفر بالتبانين بربض باب السويقة)) [5]، أما عن ربض باب الجزيرة، فيوجد جامع باب الجزيرة البراني او ما يسمى جامع أبي عبد الله المغربي[6].

---

(1) **ابن أبي دينار، المؤنس، ص159** ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 477/1 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144-145 .

(3)ابن الشماع، الأدلة البينة، ص38وص108 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 373/1 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص152 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس،ص125-126 ؛ زبيس، حول مدينة تونس، ص22 .

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص144 .

(6) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص83-84 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص58 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص126 ؛ زبيس، حول مدينة تونس، ص23 .

المبحث الثالث : مباني الخدمات العامة في مدينة تونس :

أ- الحمامات:

يعكس انشاء الحمامات العامة بالمدينة الإسلامية مدى الحاجة الماسة اليها، تلك الحاجة التي ارتبطت في المقام الأول بعدم قدرة جميع سكان المدينة على إنشاء حمامات خاصة بمنازلهم لما يتطلبه ذلك من تكاليف الانشاء والمساحة والتزود بالماء وتسخينه، وان كثرت الحمامات أوجدتها فريضة الأغتسال في الاسلام لدواعي النظافة والتطهر، وقد توجه الاستثمار إلى إنشاء هذه الحمامات لما تدره من دخل وفير لاستخدام سكان المدينة المستمر للحمام[1].

وعند وصفه لمدينة تونس يذكر البكري[2]: ((وبمدينة تونس خمسة عشر حماماً))، لكن دون ذكر لاي اسم منها،ويصفها ابن فضل الله العمري[3] بقوله:((وبها الحمامات)) ، وقد ذكر ان أقدم حمام في مدينة تونس هو حمام سوق القرانة، والذي أمر بإنشائه الفقيه محرز بن خلف وجعله وقفاً للفقراء واليتامى وذلك بحدود سنة 388هـ/998م[4]. وادى إعتناء أهل تونس بالنظافة إلى الاكثار من تشييد الحمامات، ومنها حمام الرميمي والذي يقع في الربض الشمالي ربض باب السويقة، والذي أنشأه أحد الاثرياء الأندلسيين من مدينة المرية ويدعى محمد بن الرميمي، بعد إقامته في تونس[5]. وهناك

---

(1) عثمان، المدينة الإسلامية، ص353 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 ؛ وينظر ابن أبي دينار، المؤنس، ص10 ، الوزير السراج، الحلل السندسية، ص309 .

(3) مسالك الابصار، 145/4 ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، 102/5 .

(4) الدولاتلي، مدينة تونس، ص39 .

(5) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 386/1 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص258؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص253وص 255 ؛ ابن عامر، الدولة الحفصية، ص76 .

حمام اخر يدعى حمام الهواء بالقرب من جامع ومدرسة الهواء[1]. وحمام زرقون الذي كان موجوداً في نهج زرقون والذي يقع قرب باب البحر[2]. وهناك حمام يسمى حمام سوق الفلقة والذي يقع قرب المدرسة المنتصرية[3] وكذلك يوجد حمام قرب خلوة أبي الحسن الشاذلي خارج باب المنارة، وحمام العبدي الذي كان محبساً على زاوية السيجومي[4].

وأثناء وصفه لمدينة تونس يذكر ليون الافريقي[5]: ((الحمامات متعددة، وهي أكثر تنسيقاً وتسهيلاً من حمامات فاس، الا انها اقل منها حسناً وسعة)) وبطبيعة الحال كلما تكبر المدينة وتاخذ حيز اكبر من المساحة ويزداد عدد السكان، فهذا ينعكس على مرافق الحياة الأخرى ومنها بدون شك الحمامات التي تقدم خدمة للناس. وفي زمن ابن أبي دينار يذكر: ((وبها أربعون حماماً))[6].

ب- الفنادق:

وهي المباني التي كانت تقام غالباً على الطرق حتى ينزل بها الغرباء من التجار والمسافرين، ويكون هذا الفندق للمسافرين والبضائع وقد كان له دور كبير في الحياةالأقتصادية والأجتماعية في المغرب العربي، وتوجد في الفندق سقيفة بها شهود عدول لتحرير عقود البيع والايجار وعامة الاحالات والأشهاد على المتعاقدين، وسمسار ليكون واسطة بين البائع والمشتري، وكذلك وجود مترجم، ويوجد كذلك برادعي أو سراج لأصلاح أدوات الدواب وصفائحي (بيطار) ليعالج الدواب، ومستودعات للعربات والدواب والعلف والبضائع، وفي الدور الأول غرف يستأجرها المسافرون

---

(1) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 1/385-386 .

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص80 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص132 .

(3) الدولاتلي، مدينة تونس، ص58 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 1/386 .

(4) الدولاتلي، مدينة تونس، ص135 .

(5) وصف أفريقيا، 2/77 ؛ كربخال، أفريقيا ، 3/23 .

(6) المؤنس، ص10 ؛ وينظر الوزير السراج، الحلل السندسية، ص309 .

للمبيت، وتوجد هذه الفنادق عادة عند الأبواب المؤدية إلى داخل المدينة(1).

وعند وصفه لمدينة تونس يذكر البكري(2) وفيها: ((فنادق كثيرة رفيعة))، وقد ذكر أن الفنادق غالباً ما تقع خارج المدينة، ففي مدينة تونس توجد مجموعة من الفنادق وتكون خارج أسوار المدينة، على بعد نصف ميل من باب البحر(3). وفي الربض الذي هو خارج باب البحر، ينزل التجار الاجانب، أمثال تجار جنوة والبندقية، ولهم فيه فنادق وملاجئ خاصة(4). ولممارسة شعائرهم الدينية كانت توجد لهم كنيسة في فندقهم، ((ان النصارى أحدثوا كنيسة في فندقهم)) (5).

وقد كانت الفنادق تسمى احياناً بأسم البضائع التي تخزن فيها مثل، فندق الخضرة وفندق الملح، وفندق الفحم، وفندق الزيت(6)، وفندق الزيتون وفندق الادام(7). وهناك فنادق أخرى في مدينة تونس منها فندق باب السويقة في ربض باب السويقة وكان مخصصاً للصناعات النسيجية، وكذلك فندق الهناء ايضاً للصناعات النسيجية، ويوجد فندق اخر يحمل اسم فندق الرصاص، وفندق الصابون(8).

وقد ذكر انه من مآثر السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1434م) ترك أموال عظيمة لوجه الله تعالى كانت مفروضة على

---

(1) الكعاك، عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، مطبعة لجنة البيان العربي، 1965 ، ص64-65 ؛ زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، ص12 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 61/2 .

(3) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، 77/2 .

(4) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، 74/2 ؛ زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، ص18 .

(5) البرزلي، فتاوي البرزلي، 20/2 ؛ الونشريسي، المعيار المعرب، 215/2 ؛ زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، ص19 .

(6) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص88 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص117؛ ابن أبي دينار ، المؤنس، ص145؛ المطوي، السلطنة الحفصية، ص595-596 .

(7) ابن أبي دينار ، المؤنس، ص144-145 .

(8) الدولاتلي، مدينة تونس، ص260 .

الأسواق والفنادق ((فانقطع ضررها عن الناس))[1]، ومنها مجبا فندق الزيت خمسة الاف دينار ذهباً، ومجبا فندق الخضرة ثلاثة الاف دينار ذهباً، ومجبا فندق الادام خمسون ديناراً ذهباً، ومجبا فندق الفحم الف دينار ذهباً[2].

وفي حالات أخرى نجد أن الأمراء والسلاطين يقومون بهدم الفندق الذي ترتكب فيه المعاصي وتحويله إلى مسجد جامع او زاوية، فقد أمر السلطان أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ) بهدم الفندق الذي كان بباب البحر وقد كانت تستباح فيه المعاصي من الخمور، وكان مجباه اثنى عشر الف دينار ذهباً، فتركها وهدم الفندق وبنى بدلاً عنه زاوية عظيمة البناء والنفع[3].

ج - البيمارستانات:

البيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض او عليل او مصاب و(ستان) بمعنى مكان او دار فهي اذاً دار المرضى، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان[4].

تعد البيمارستانات من المنشآت التي أُنشئت لتوفير الخدمات العلاجية والطبية للعامة، وواكب انشاء البيمارستانات النمو السكاني والعمراني للمدينة، ونظراً لتكاليف الانشاء الضخمة والمصاريف الكثيرة للبيمارستانات فقد اختصت القدرة على انشائها بالسلاطين والحكام، وكان الدافع وراء انشائها خيرياً في المقام الأول[5].

---

(1) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص87-88.

(2) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص87-88 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116-117؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص144-145 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص114-115 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص120؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص146 .

(4) عيسى، أحمد، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981، ص4 .

(5) عثمان، المدينة الإسلامية ، ص249-250 .

تذكر المصادر التاريخية بأن أول من قام ببناء المارستان في تونس هو السلطان أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ) ومن عظيم مآثره ((إحداث المارستان بتونس للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين واوقف على ذلك اوقافاً كثيرة تقوم به))[1]. ولم يسبقه بذلك في افريقيا أحد، وكان هذا سنة 823هـ/1420م[2].

لقد كان الغرض من انشاء هذا المارستان هو لمعالجة الضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين، ومن أشهر الأطباء الذين عملوا في هذا المارستان محمد الشريف الحسني الزكراوي[3].

في حين يذكر أحد مؤرخي تونس، بأن البيمارستان كان موجوداً في مدينة تونس منذ زمن الأغالبة في المكان المسمى المركاض في الجهة الغربية من المدينة[4]. مستدلاً بهذا الكلام على قول البكري: ((وربض المرضى خارج عن المدينة)) [5]، وهذه التسمية وحدها تدل دلالة قوية على ان البيمارستان كان واقعاً هناك. والظاهر ان هذا البيمارستان قد اندثر بدليل ان المؤرخين يعتبرون المارستان الذي شيد في عهد أبي فارس عبد العزيز سنة 823هـ/ 1420م هو أول مارستان في تونس[6].

وعلى أي حال فأن هذا لا ينفي عدم وجود أطباء يعملون بمهنة الطب حتى ولو

---

(1) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص87 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116؛ عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص280 .

(2) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص87 .

(3) محمد الشريف الحسني الزكراوي: نسبه إلى جده أبو زكريا الفاسي نزيل تونس، كانت وفاته بمدينة تونس في ذي الحجة عام 874هـ، وكان اديباً طبيباً، ولي البيمارستان بتونس واقرأ العقليات مع مشاركه في الفقه واعتناء بالتاريخ . السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ)، الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (بلا. ت)، 10/122-123 ؛ عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص280 .

(4) عبد الوهاب، ورقات، 1/293 .

(5) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 .

(6) ابن عامر، الدولة الحفصية، ص94 .

كانت بصورة بسيطة، لان الحاجة كانت تدعو إلى ذلك، واذا علمنا ان المدة الأولى التي صاحبت تأسيس المدينة كانت مدة حروب تحرير، والتي كانت تتطلب من يقوم بتضميد الجرحى وإلى غير ذلك.

وقد عمل عدد من الأطباء الذين اختصوا بخدمة الأمراء والسلاطين في مدينة تونس، فمنهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الاموي[1] (ت 674هـ/1276م) الذي استدعاه الخليفة المستنصر (647-675هـ/1249-1277م) ليكون طبيبه الخاص[2]. وكان للسلطان أبي العباس أحمد (772-796هـ/1370-1394م) طبيبه الخاص ويسمى يوسف الطبيب وكان نصرانياً[3].

د- المقابـــر:

عندما تم بناء مدينة تونس وأصبحت مستقراً للعرب المسلمين تطلبت الحاجة إلى

---

(1) أبو القاسم محمد بن أحمد محمد الاموي، هو الفقيه الحكيم الحادق، أبو القاسم محمد بن أحمد محمد الاموي المعروف بابن اندراس، من أهل مرسية، ورد على بجاية في سنة 660هـ استدعاه الخليفة الحفصي المستنصر، كانت وفاته بتونس سنة 674هـ. الغبريني، عنوان الدراية، ص75-76 .

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص75-76 .

(3) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب، ص72.

إيجاد مقابر لدفن موتى المسلمين، فكان في المدينة مقابر عديدة نتيجة للتوسعات التي شهدتها المدينة عبر العصور.

فقد ذكر ان لمدينة تونس مقبرة تسمى مقبرة سوق الأحد مجاورة لباب أرطة غرب المدينة[1]. فكانت هذه أول مقبرة للمدينة. ولم تكن عادة أهل تونس دفن موتاهم داخل أسوار المدينة باستثناء الأولياء الصالحين الذين كانوا يدفنون في الأماكن التي نشروا فيها بركاتهم ومنهم ((الامام العابد محرز بن خلف ذو المناقب الشهيرة ومقامه بداره بداخل باب سويقة)) [2]. او من تؤهلهم قرابتهم او وضعيتهم السياسية والأجتماعية للدفن بجوار الأولياء، فمن ذلك ان ضريح محرز بن خلف فقد جلب إلى جواره تربه خاصة بعدة افراد من الأسرة السلطانية، فعند وفاة أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي فارس عبد العزيز والذي توفى بمدينة طرابلس نقل إلى مدينة تونس فدفن بتربته بالقرب من دار الشيخ محرز بن خلف[3]. وكذلك عند وفاة السلطان أبو عبد الله محمد بن المنتصر بالله(838-839هـ/1435-1436م) دفن في تربة ابائه بجوار دار الشيخ محرز بن خلف[4].

كما شيدت في حدود سنة 486هـ/1093م مقبرة لبني خراسان أمراء تونس, وهي عبارة عن تربة تضم اعضاء تلك الأسرة وترتكز على عضادات أربع واحدة في كل ركن، وأطلق عليها فيما بعد اسم سيدي ابن نفيس ثم مقبرة السلسلة وبالرغم من انها كانت متصلة بمقبرة السلسلة والباب الكبير للمسجد الجامع لبني خراسان[5].

---

(1) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 61/2 .

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص38 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص144 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص11 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 386/1 . .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص119؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص128 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص146 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص121.

(5) ادريس، الدولة الصنهاجية، 35/2 ؛ زبيس، بين الاثار الإسلامية، ص41 ؛ زبيس، حول

وعلى مقربه من جامع القصر توجد مقابر تنسب لبني خراسان[1]. لكن اغلب المقابر كانت موجودة بالقرب من المدينة خارج الأسوار، وبالقرب من مصلى العيدين انتصبت مقابر شيوخ الموحدين والتي تسمى الروضة الهنتاتية او المقبرة الهنتاتية (نسبة إلى قبيلة هنتاتة التي ينسب اليها الحفصيون حكام تونس)، وقد ضمت هذه المقبرة عدد من افراد الأسرة الحفصية وشيوخ الموحدين وكبار رجال الدولة والمختصين بخدمة السلطان، والتي سميت فيما بعد بمقبرة القرجاني[2].

ومن أهم مقابر مدينة تونس الأخرى مقبرة الزلاج التي تمتد من خارج باب علاوة على الارض المنخفضة والمرتفعات المحيطة بها، ويوجد فيها مسجد يسمى مسجد الزلاج[3]. واحتوت مقبرة الزلاج عدد كبير من قبور العلماء والقضاة والرجال الصالحين[4]. ومنهم ابن أبي الدنيا قاضي الجماعة بتونس المتوفي سنة 684هـ/1286م[5]. والشيخ الصالح المرجاني المتوفي سنة 696هـ/1297م[6]. وبها قبر قاضي الجماعة بتونس محمد بن عبد السلام الهواري المتوفي سنة749هـ/1348م، وكذلك الفقيه ابن عرفة الورغمي المتوفي سنة 803هـ/1398م، وقاضي الجماعة بتونس أبو مهدي عيسى الغبريني المتوفي سنة 812هـ/1416م ، وغيرهم كثير [7].

مدينة تونس العتيقة ، ص24 .

(1) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص169 .

(2) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص146 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص79 ؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص56 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 386/1 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص145 .

(3) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 387/1 .

(4) ابن القنفذ، أنس الفقير، ص104 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص144 .

(5) ابن رشيد، ملء العيبة، 404/2 .

(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص54 .

(7) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص88 وص 120 وص 124 .

وتوجد مقبرة أخرى تعد من المقابر الكبيرة في مدينة تونس وتعرف بمقبرة السلسلة، وسميت بهذا الأسم لأنها أحدثت ابتداءً من ناحية القصبة وامتدت من باب المنارة إلى الباب الجديد محاذية لأسوار المدينة، وتقع في الجهة الجنوبية للمدينة وهي من المقابر القديمة في مدينة تونس(1). وهناك مقبرة صغيرة تسمى مقبرة ابن مهنا قرب جبانة الشيخ ابن نفيس شرق باب ينتجمي أحد أبواب القصبة(2). وهناك مقابر أخرى مثل مقبرة أحمد السقا ظهرت في العصر الحفصي، ومقبرة القرجاني نسبة إلى عبد الله القرجاني(3).

(1) عبد الوهاب، ورقات، 408/3 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص262 .
(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص39 .
(3) الدولاتلي، مدينة تونس، ص262 .

الفصـــل الخامس

الحياة الفكرية في مدينة تونس

المبحث الأول : عوامل تنشيط الحركة الفكرية في مدينة تونس.

أ- دور الأمراء والخلفاء في تنشيط الحركة الفكرية .

ب- الرحلة في طلب العلم .

المبحث الثاني :المؤسسات التعليمية ودورها في الحياة الفكرية.

أ- الكتاتيب

ب- المساجد والجوامع

ج – المدارس

د- المكتبات

المبحث الثالث : أبرز العلوم والمعارف .

أولاً: علوم القران الكريم

1- علم القراءات

2- علم التفسير

ثانياً : علوم الحديث النبوي الشريف

ثالثاً : الفقه

رابعاً : الشعـــــر

خامساً: النثـــــر

سادساً : التاريـــخ

سابعاً : الجغرافيـــة

المبحث الأول : عوامل تنشيط الحركة الفكرية .

أ- دور الأمراء والخلفاء في تنشيط الحركة الفكرية في مدينة تونس:

يرجع الفضل الكبير في تطور الحركة الفكرية في مدينة تونس إلى خلفاء الدولة العربية الإسلامية وولاتها الذين استطاعوا نشر الإسلام واللغة العربية، لأن الفتح العربي الإسلامي كان فتحاً دينياً وثقافياً إذ انه جاء لنشر تعاليم الدين الإسلامي المتمثلة بالقرآن الكريم، فبموجب ذلك عني العرب المسلمين بالتعليم، وقد اسلم عدد كبير من سكان الشمال الافريقي ودخلوا الدين الإسلامي[1].

وقد كان لتشجيع الأمراء الدور الكبير في انتشار التعليم، فقد ذكر أن المعز بن باديس أمير أفريقية(406-454هـ/1015-1062م) كان محباً لأهل العلم، كثير العطاء ومدحه الشعراء[2]. وفي عهد بني خراسان ازدهرت مدينة تونس، ولاسيّما في عهد الأمير أحمد بن عبد العزيز (500-522هـ/1107-1129م) الذي قال عنه ابن خلدون[3]:((كان مجالساً للعلماء محباً فيهم)) ، وقد كان لتشجيع الخلفاء والأمراء الحفصين الأثر الكبير في نشر العلم وتطور الحركة الفكرية، فقد ذكر ان الأمير أبي محمد عبد الواحد(603-618هـ/1206-1221م) كان عالماً فاضلاً[4].

وخلال ولاية الأمير أبي زكريا يحيى(627-647هـ/1229-1249م) والذي يوصف بأنه ((من الصالحين والعلماء العاملين ختم على الشيخ الرعيني السوسي، كتاب المستصفى للغزالي وغيره من الكتب المفيدة، وناظر في النحو على ابن عصفور، وكان فقيهاً اديباً وكان معدوداً من العلماء والشعراء))[5]، واهتم ببناء المدارس،

---

(1) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص97 ؛ المالكي، رياض النفوس، 56/1 ؛ التوزري، إبراهيم العبيدي، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، (بلا. ت)، 76/1.

(2) الطويلي، أحمد، أبحاث في الأدب والتاريخ، تونس، 1979، ص37 .

(3) التاريخ، 165/6 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص18 .

(5) ابن أبي دينار، المؤنس، ص126-127 .

واقتناء الكتب وجمعها بمختلف أنواع العلوم[1]. وجمعت دولته العلماء والشعراء وأهل الصلاح مالم يجتمع لغيره[2]. فمن الطبيعي ان يكون هذا الأمير من المهتمين في تنشيط الحركة الفكرية، وكذلك في عهد الخليفة المستنصر بالله (647-675هـ /1249-1277م) الذي رتب لمجالسته أعلاماً من الفقهاء والأدباء، كالمحدث الحافظ أبي بكر بن سيد الناس(ت 659هـ)، وابن عصفور(ت669هـ) والكاتب البليغ أبي عبد الله ابن الابار(ت 658هـ)، والفقيه أبي المطرف بن عميرة(ت 658هـ) وغيرهم من الأعلام[3]. فهذا يدل على الرعاية الكاملة للأمراء والخلفاء للأدباء والعلماء وتقريبهم من مجالسهم الخاصة.

واثناء ولاية الأمير أبي حفص عمر بن المولى أبي زكريا(683-694هـ/1284-1295م) الذي ذكر انه: ((كان يعظم الفقهاء والصلحاء ويبرهم ويبادر إلى حوائجهم))[4] وكان نزيه النفس، محباً للعلم وأهله[5]. حتى ذكر انه هدم فندقاً كان يسكنه أهل السرف وامر ببناء مدرسة للعلم بمكانه[6].

وزيادة في تعظيم واحترام المعلمين والفقهاء حتى بعد مماتهم، فقد ذكر انه في زمن السلطان الحفصي أبي زكريا ابن اللحياني(711-717هـ/1311-1317م) ((وكان معلمه الذي علمه القرآن الشيخ القاضي أبو عمر الجبالي، وكان حفيده ابن ابنه إذا سافر إلى تونس، ودخل يسلم على السلطان يجعل السوط الذي كان جدهُ يضرب به

(1) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص155 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس،ص127.
(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص57 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص127 .
(3) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص123 .
(4) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص148 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص82.
(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص51 .
(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص51 .

الخليفة زمان التعليم على كتفه الأيمن ظاهراً فإذا رآهُ احسنَ اليه وقضى حوائجه›› [1]، وكان السلطان أبو يحيى زكريا مشاركاً في العلم والأدب، ولذلك كان يألف أهل العلم[2].

وفي عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1434م) إذ يذكر ابن القنفذ[3]، بانه حضر مجلسه في العلم بالقصبة في التفسير والحديث، وكان جلوس السلطان على البساط الذي يجلس عليه الطلبة، وكان المدرس قاضي الجماعة أبو مهدي عيسى الغبريني، يلقي الدرس في التفسير والحديث، وحضر الدرس مجموعة من الطلبة إلى مجلسه، وكان السلطان يقرأ على القاضي. وكذلك كان السلطان أبو عبد الله المنتصر(837-839هـ/1434-1436م) يتصدق على طلبة العلم، وكذلك امر ببناء المدرسة الكائنة بسوق الفلقة[4].

ومن مآثر السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان(839-893هـ) والتي خدمت الحركة الفكرية، بناؤه مدرسة في غاية الحسن وجعل فيها مسجداً للصلاة ودرساً لقراءة العلم، ومأوى لسكن الطلبة وجعل فيها سماطاً مستمراً يتصدق به على المحتاجين وجعل فيها ماء للسبيل وأوقف عليها ما يكفيها، وكذلك اهتمامه بالكتب وجعلها في خزانة بالمقصورة الشرقية لجامع الزيتونة، وأوقف عليها من يقوم بها. وكذلك اكمال بناء المدرسة التي بسوق الفلقة والتي شرع فيها اخيه السلطان المنتصر[5].

كل هذه الأعمال ساعدت بشكل أو آخر على ازدهار الحركة الفكرية في مدينة تونس، والتي أصبحت دار علم وفقه[6].

---

(1) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص162-163 .

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص86 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص62 .

(3) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص197 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص132 .

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136 وص 141؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص147 .

(6) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 ؛ الطويلي، أبحاث في الأدب والتاريخ، ص37 .

وخلال وصفه للمدينة يقول العبدري[1]: ((لا تنشد بها ضالة من العلم الا وجدتها)). ويصفها في مكان آخر قائلاً: ((وما مِن فن من فنون العلم الا وجدتَ بتونسَ به قائماً ولا موردٍ من موارد المعارفِ الا رأيتَ بها حَولَهُ وارداً وحائماً)) [2].

ب – الرحلة في طلب العلم:

يذكر ابن خلدون[3]:((في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم، والسبب في ذلك ان البشر يأخذ من معارفهم واخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارةً علماً وتعليماً والقاءً، وتارةً محاكاة وتلقينا بالمباشرة، الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد إستحكاماً واقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها)).

فالرحلة لابد منها في طلب العلم ولاكتساب الفوائد[4]. علماً بأن الحياة العلمية التي ظهرت في أفريقية بصورة عامة ومدينة تونس على وجه الخصوص كانت مبنية على الارتحال لبلاد الشرق قصد التزود بالعلوم والمعارف، ولاسيما إلى مصر وبغداد وبلاد الحرميين حيث كانت الرحلة من أبرز مميزات طلب العلم، وعندما يلتقي الطلبة بالعلماء، يحصلون منهم على الاجازة التي تخولهم عند رجوعهم تعليم الطلبة[5].

وبالرغم من ازدهار العلم بتونس، ظلت الرحلة مستمرة، وكان الطلبة يفخرون بالاستماع إلى علماء المشرق، ولربما هذا الميل يرجع إلى اداء فريضة الحج، فكان الطلاب والعلماء يؤدون هذه الفريضة فيغتنمون فرصة وجودهم للاستماع إلى شيوخ

---

(1) رحلة العبدري، ص109 .

(2) العبدري، رحلة العبدري، ص113 .

(3) المقدمة، ص578 .

(4) ابن خلدون، المقدمة، ص579 .

(5) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 149/1 ؛ بو يحيى، الشاذلي، الحياة الأدبية بأفريقية في عهد بني زيري، نقله إلى العربية محمد العربي عبد الرزاق، بيت الحكمة، تونس، 1999، 514/2

مكة والمدينة[1]. وقد قال البكري:((ومدينة تونس دار علم وفقه)) [2]، وهذا دليل على ان مدينة تونس لها نشاط علمي وفقهي، وفي فترة الرحالة العبدري الذي زار المدينة سنة 688هـ/1289م يقول: ((لا تنشد بها ضالة من العلم الا وجدتها)) [3]، وكذلك يقول في مكان آخر: ((وما مِن فَن مِن فنون العلم الا وجدت بتونس به قائماً ولا مورد من موارد المعارف الا رأيت بها حوله وارداً وحائماً)) [4]. فهذه النصوص تدل على ان المدينة ازدهرت في الحياة الثقافية والعلمية وفي كل فنون المعرفة، بعد ان كانت في البداية تتركز على الدراسات الشرعية والفقهية، وأصبحت كل انواع العلم والمعرفة تدرس فيها ولها من العلماء والمختصين من يقوم بها.

أما عن أبرز من رحل إلى المشرق من أهل مدينة تونس من اجل التزود بالعلم والمعرفة، أبو سعيد لقمان بن يوسف الغساني(ت319هـ)، من أهل تونس رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وجلس في مصر وسمع حديثاً كثيراً من علمائها، كان عالماً باللغة وبصيراً بالحديث، وعارفاً بالرجال[5]. يذكر انه كان عالماً باثني عشر صنفاً من العلوم[6]. سمع من اصحاب سحنون، حافظاً لمذهب الأمام مالك، توفى بمدينة تونس سنة 319هـ[7].

وكذلك أبو حبيب نصر الرومي التونسي(ت 332هـ)، كان يتكلم في الفقه كلاماً

---

(1) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 146/1 .

(2) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص40 ؛ وينظر، مجهول، الاستبصار، ص121، ابن الشماع، الأدلة البينة، ص36 .

(3) رحلة العبدري، ص109 .

(4) العبدري، رحلة العبدري، ص113 .

(5) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص171 .

(6) المالكي، رياض النفوس، 193/2 .

(7) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص171؛ المالكي، رياض النفوس، 193/2 ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 296/5-297 .

صالحاً، درس بتونس، اصله مملوكاً، أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، رحل إلى مصر وجلسَ في حِلَق العلماء ولازم حلقة ابن عبد الحكم، حتى انتفع بها، وكان يستعير الكتب ويجعل لمن يقرأها عليه اجراً، فحفظ علماً كثيراً وتفقه ورجع إلى تونس، فأعلم مولاه خبرهُ فاعتقهُ، وانصرف إلى مصر مرة أخرى، وجالس الفقهاء، ورجع إلى تونس وكان معظماً بها، وتوفى سنة 332هـ/943م(1).

وقد كان الفقيه الأبياني، عبد الله بن أحمد بن إسحاق التميمي المشهور بالأبياني(ت352هـ)، قد رحل إلى المشرق لغرض أداء فريضة الحج، وعند رجوعه دخل مصر، وقصد جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، فتلقاهُ نحو اربعين عالماً لم يكن فيهم أعلم منه، وعاد إلى تونس وجلس للاقراء بجامع الزيتونة(2).

أما ابن حربون، الحسن بن عبد العزيز بن حربون، أصيل تونس، فقد رحل هو الآخر إلى المشرق سنة 409هـ/1019م وتوجه إلى مكة المكرمة واقام بها يتولى تأديب ابناء أحد اعيانها، وهو شاعر مشهور(3). وكذلك نجد ابن الحداد، عبد الرحمن الازدي التونسي(ت 625هـ) من علماء القراءات، كانت له رحلة إلى مصر والأندلس(4). وكذلك أبو الحسن بن رزين(ت 661هـ) من تونس، فقيه ومحدث، له رواية واسعة، كانت له رحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وجالس العلماء هناك، ورجع بعلم كثير إلى تونس(5). وايضاً ابن أبي الدنيا، عبد الحميد بن أبي البركات(ت 684هـ) ارتحل إلى المشرق مرتين الأولى سنة 624هـ/1227م والثانية سنة 633هـ /1236م فأخذ بالإسكندرية عن الأمام عبد الكريم بن عطاءالله الجذامي وشيخ القراء عبد الصمد الصفراوي وقاضي الجماعة بالإسكندرية جمال الدين بن قائد الربعي وعز

---

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 23/6 .

(2) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 10/6 ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص136 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 637/2-638 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 35/1-36 .

(3) بو يحيى، الحياة الأدبية بأفريقية، 78/1 .

(4) محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 117/2 .

(5) العبدري، رحلة العبدري، ص92 .

الدين بن عبد السلام، وعاد إلى تونس وانتصب للتدريس وتولى الخطابة بجامع الزيتونة، ومن ثم قضاء الجماعة بتونس، وتوفي بتونس سنة 684هـ/1286م[1].

وكذلك رحل إلى المشرق ابن زيتون، أبو القاسم بن أبي بكر قاضي الجماعة(ت691هـ) فقد كانت له رحلتان إلى المشرق الأولى سنة 648هـ/1250م رحل في طلب العلم، فأخذ عن السراج الارموني وعز الدين بن عبد السلام، وسمع الحديث من عبد العظيم المنذري وحج ورجع إلى تونس بعلم ورواية واسعة والثانية في سنة 656هـ/1258م واقام في القاهرة بالمدرسة الفاضلية، وأخذ عن أعلامها ورجع إلى تونس، وابن زيتون، هو الذي تولى عقد وكتابة الصلح مع الصليبيين خلال الحملة الصليبية الثامنة على تونس، عندما بعث الأمير المستنصر(647-675هـ) مشيخة من الفقهاء لعقد الصلح[2].

ويذكر ابن خلدون[3]، وارتحل إلى المشرق من أفريقية، القاضي أبو القاسم بن زيتون، ورجع إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن، وجاء على اثره من المشرق أبو عبد الله بن شعيب الدكالي، كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخة أهل مصر، ورجع إلى تونس وأستقر بها، وكان تعليمه مفيداً، فأخذ عنهما أهل تونس.

وممن كانت له رحلة إلى المشرق اللبلي، أحمد بن يوسف(ت691هـ) الاديب النحوي، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ولقي جماعة من العلماء في الاسكندرية والشام والحجاز، من مؤلفاته ((شرح الفصيح)) و((شرح أبيات الجمل)) عاد إلى تونس وزاول التدريس بها، وكانت وفاته سنة 691هـ/1292م[4]. وممن ارتحل إلى

---

(1) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص192 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 710/2 .

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص79 ؛ ابن خلدون ، التاريخ، 318/6 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص193 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 715/2 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 432/2.

(3) المقدمة، ص467-468 .

(4) الغبريني، عنوان الدراية، ص345 ؛ العبدري، رحلة العبدري، ص116 ؛ ابن رشيد، ملء

المشرق ايضاً، أبي يحيى بكر ابن جماعة الهواري(ت712هـ)، الفقيه، وقد أخذ بالمشرق عن القاضي ابن دقيق العيد، وحج سنة 699هـ/1300م ، ثم عاد إلى تونس، وممن قرأ عليه القاضي محمد بن عبد السلام وغيره، وله مؤلفات فقهية[1].
وممن كانت له رحلة إلى المشرق، ابن راشد القفصي، محمد بن عبد الله بن راشد (ت736هـ) كانت ولادته بقفصة، ثم انتقل إلى تونس واوطنها، وأخذ في طلب العلم، كانت له رحلة إلى المشرق، رحل إلى الاسكندرية سنة 680هـ، وبعدها إلى القاهرة فأخذ عن شيخ المالكية هناك شهاب الدين الغرافي ومن القاضي ابن دقيق العيد، كان له تضلع في اللغة والأدب، وتخصص في اصول الدين توفى سنة 736هـ ودفن بمقبرة الزلاج، له مؤلفات منها ((تلخيص المحصول في علم الاصول، الفائق في معرفة الأحكام والوثائق))[2].

ولاشك ان للمهاجرين من أهل الأندلس كان لهم اثر كبير في نهضة تونس ومنها الناحية العلمية بكل فروعها، وقد إستقر بمدينة تونس علماء وفقهاء نذكر منهم ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي (ت658هـ) الفقيه المحدث، النحوي الاديب، الكاتب البارع، المؤرخ، من مؤلفاته الحلة السيراء، والتكملة ، وإعتاب الكتاب، جاء رسولاً من والي بلنسية إلى تونس في مدة الأمير أبو زكريا يحيى(627-647هـ) لطلب المساعدة والنجدة، لما تعرضت له مدن الأندلس، من النصارى، وأنشد قصيدته المشهورة بين يدي الأمير التي مطلعها:

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا   ان السبيل إلى منجاتها درسا

إستقر بمدينة تونس، وعمل كاتباً، وبعدها ترقى إلى كتب العلامة، توفى في تونس

العيبة، 209/2 .

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص63 و 76 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص250 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 722/2 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 48/2 .

(2) التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، (بلا . ت) ، 392/2-394 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص207-208 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 738/2-739 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 329/2 .

سنة 658هـ[1]. وكذلك إستقر بمدينة تونس، الشيخ الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن ابن سيد الناس اليعمري الاشبيلي(ت659هـ) الفقيه المحدث، اللغوي التاريخي، اصله من أبده من عمل جيان، كان راويه حافظاً للحديث، عارفاً برجاله، وبأسمائهم وتاريخ وفاتهم، وكان من خواص الحاضرين بمجلس الأمير المستنصر بالله(647-675هـ)، ويذكر انه كان يستظهر عشرة الاف حديث باسانيدها، واقبل على تدريس الحديث بتونس فاقرأ صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وكان ابناء السلطان واقاربه يحظرون دروسه بجامع االقصبة، وحصل على اجازات الحديث من علماء مصر والشام والحجاز والعراق، وله من الشعر :

أيا سائراً نحو الحجاز وقصده إلى الكعبة البيت الحرام بـلاغُ

ومنه إلى قبر النبي محمــــــد يكون له بالروضتين مـــــراغُ

وكانت وفاته بمدينة تونس سنة 659هـ[2]. وكذلك من أهل الأندلس ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي، المعروف بابن عصفور(ت669هـ) الفقيه النحوي، واللغوي المؤرخ، من أهل اشبيلية، انتقل إلى تونس وكان من جلساء الأمير المستنصر بالله(647-675هـ/1249-1277م) المقربين، من مؤلفاته، المغرب في اللغة والنحو، توفى في تونس سنة 669هـ/1269م[3].

ومن بين هؤلاء ، ابن حبيش، محمد بن الحسن بن يوسف اللخمي المرسي، (ت679هـ/1281م) اصله من مرسية، تجول بالأندلس ومن ثم بجاية، وبعدها إستقر بتونس لطلب العلم، كان اديباً وشاعراً ونحوياً، فقيهاً حافظاً، كانت وفاته بتونس سنة

---

(1) الغبريني، عنوان الدراية، ص309-313 ؛ ابن خلدون، التاريخ، 310/6-311 ؛ ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص123 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص59؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص27-28 .

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص291-295 ؛ ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص123؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص38 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 305/1-306 .

(3) الغبريني، عنوان الدراية، ص317-318 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص39 .

679هـ[1]. والتقى العبدري خلال رحلته إلى مدينة تونس بالكثير من الفقهاء والعلماء الأندلسيين نذكر منهم، الشيخ الفقيه أبي العباس بن محمد الغماز البلنسي (ت693هـ) كان من أهل الحديث ومواضباً على تدريسه لطلبة العلم في تونس[2]. ويرجع الفضل إلى هؤلاء العلماء والفقهاء في ازدهار وتطور مدينة تونس الذين اسهموا بشكل او بآخر في نهضة المدينة العلمية.

المبحث الثاني : المؤسسات التعليمية واثرها في الحياة الفكرية:

أ- الكتاتيب:

يذكر ابن منظور بأن ((الكتّاب موضع تعليم الكتاب (أي الكتابة) والجمع الكتاتيب والمكاتب))[3]. وقد اشتق اسمه أي الكتاب من التكتب وتعليم الكتابة، وهو الموضع الذي يتم فيه تعليم الصبيان القرآن والقراءة والكتابة[4]. وقد التفت العرب المسلمون إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً-كتاباً-بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن[5].

وقد أدت الكتاتيب دوراً كبيراً في نشر التعليم، وقد ساعد على ذلك بساطة مبنى الكتاب الذي لم يكن كبيراً بل تكفيه حجرة من منزل يوقفها المعلم على تعليم الصبيان،

---

(1) ابن رشيد، ملء العيبة، 84/2 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 91/2 .

(2) رحلة العبدري، ص116 .

(3) جمال الدين محمد بن مكرم(ت 711هـ)، لسان العرب، بدون طبعة، دار لسان العرب، بيروت، (بلا. ت) ، 193/2 .

(4) حسن، الحياة الدينية في المغرب العربي، ص222 ؛ التليسي، بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، ط1 ، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003 ، ص365 .

(5) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص297 .

وفضلاً عن هذا ان اثاث الكتاب الذي لا يتعدى حصيراً يطرح على الارض في الحجرة ويجلس فوقه المعلم ويتحلق حوله الصبية الصغار[1]. ومن هنا يبدو ان الكتاتيب كانت منفصلة عن المساجد لكنها كانت ملتصقة بها مكاناً وهذا يذكره أحد المؤرخين: ((كان الكتاب وما يزال عبارة عن حجرة مجاورة للجامع او بعيده عنه او غرفة في منزل))[2] وان الكتاتيب اعتبرت من أول دخول العرب المسلمين إلى أفريقية، كملحقات للمساجد وتوابع لها فما من حارة او درب من دروب المدائن التونسية الا وكان بها عدد من الكتاب، بل وجدت ايضاً بوفرة في دور الأعيان والأغنياء، والأحرى في قصور الأمراء والوزراء[3]. وفي هذا يذكر ابن خلدون[4]: ((أعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يَسبِقُ فيه إلى القلوب من رسوخ الأيمان وعقائده من آيات القرآن، وصار القرآن اصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل من الملكات وسبب ذلك ان التعليم في الصغر اشد رسوخاً وهو اصلٌ لما بعدهُ)).

أما عن تعليم المناهج في الكتاب، فأن برنامج تعليم الصبيان يعتمد اعتماداً كلياً على تعليم مبادئ الدين الإسلامي، فضلاً عن هذا احتوى المنهج على مواد تفيد الصبيان في حياتهم العامة وترفع من مستواهم العقلي والعلمي[5]. وكان المنهج يحتوي على مواد اجبارية وأخرى اختيارية، فالإجباري منها يشتمل على تحفيظ القرآن الكريم كاملاً او جزءاً منه، واعراب القرآن، والقراءة والكتابة، والخط الحسن، والاختياري منها كالحساب وأيام العرب واخبارها والشعر[6].

---

(1) القابسي، نجاح، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد19 ، لسنة 1981 ، بغداد، ص177 .

(2) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 103/1 .

(3) عبد الوهاب، ورقات، 95/1 .

(4) المقدمة، ص575 .

(5) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 105/1 .

(6) القابسي، أبو الحسن علي(ت 403هـ)، الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين

وينبغي للمعلم أن يعلم الصبيان على الصلاة إذا كانوا ابناء سبع سنوات، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر سنوات(1). وقد ذكر أن أحد الآباء أرسل رساله إلى معلم أولاده يقول فيها: ((علمهم كتاب الله ولا تُكرِهَهُم عليه فَيملوه، ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحكموه فان ازدحام العلوم مقللة للفهوم، وعلمهم من الشعر عفه، ومن الحديث اشرفه، وكن لهم كالطبيب الذي لا يضع الدواء الا في موضع الداء، وهددهم واضربهم دوني يزدادوا بذلك صلاحاً والسلام)) (2)، من خلال هذه الرسالة يتضح لنا أن الآباء كانوا حريصين اشد الحرص على تعليم ابنائهم القرآن الكريم كتاب الله سبحانه وتعالى، والحديث النبوي الشريف والشعر.

أما عن نظام التعليم في الكتاب، فيبدأ التعليم بالكتاب من صباح يوم السبت وينتهي ظهر يوم الخميس، ويكون يوم الجمعة استراحة، ويبدأ الصبيان يومهم الدراسي بحفظ القرآن الكريم من الصباح الباكر إلى الضحى، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر وبعدها ينصرفون إلى بيوتهم لتنأول الغداء ثم يعودون بعد صلاة الظهر، وتخصص حصة المساء بتعليم الصبيان بقية المواد مثل الحساب والنحو والعربية والشعر وأيام العرب، وتكون المراجعة التي أخذها الصبيان في الأسبوع من مساء يوم الأربعاء وصباح يوم الخميس للتخابر والاستظهار وتدوم هذه الحصة إلى بعد صلاة العصر (3).

ويشترط في المعلم صفات منها دينية وخلقية وعلمية، فمن الناحية الدينية يشترط

والمتعلمين، تحقيق خالد أحمد،ط1، تونس، 1986 ، ص113؛ الونشريسي، المعيار المعرب، 224/8 ؛ التوزري، تاريخ التربية بتونس، 106/1-107 .

(1) ابن سحنون، محمد (ت 256هـ)، كتاب اداب المعلمين، تح حسن حسني عبد الوهاب، ط2 ، تونس، 1972 ، ص109 .

(2) المغراوي، أحمد بن أبي جمعة(ت920هـ)، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين واباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، ص39-40 .

(3) ابن سحنون، كتاب اداب المعلمين، ص104 ؛ التوزري، تاريخ التربية بتونس، 109/1 .

فيه ان يكون تقياً ورعاً لا يأتي الكبائر ولا الصغائر، قائماً بفروض دينه، ومن الناحية الاخلاقية يجب عليه أن يكون رفيقاً بالصبيان ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقاً فإنما هو عوض عن ابائهم، واما العلمية فيجب على المعلم أن يكون حافظاً للقران الكريم حفظاً جيداً وعارفاً بالهجاء والنحو والشكل واصول الدين مع الاخلاص والاجتهاد[1]. ويجب ان يكون المعلم مهاباً لا يكون عبوساً مغضباً، ومنبسطاً مترفقاً بالصبيان دون لين وعليه أن يزجر المتخاذل في حفظه لا بالشتم، وأن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم[2]. وكذلك ينبغي للمعلم أن يؤدبهم عن الكذب والسب والهرب من الكتاب، ويمدح لهم السخاء والشجاعة والكرم[3]. وعلى المعلم ان لا يولي أحد الصبيان ضرب غيره، ولا يضرب وجهاً ولا رأساً[4]. ويلزم المعلم الاجتهاد وليتفرغ لهم، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز الا فيما لابد منه من يلزمه النظر في أمره، لانه أجير لا يدع عمله، ولا يتبع الجنائز ولا عيادة المرضى[5].

وأما عن أيام العطل في الكتاب، فيأذن لهم في الأعياد، عيد الفطر يوماً ولابأس ان يأذن لهم ثلاثة أيام، وعيد الاضحى ثلاثة أيام، ولابأس ان يأذن لهم خمسة أيام[6]. وكذلك جرت العادة على أن يخلي الصبيان يوماً أو بعض يوم بمناسبة ختم أحد اقرانهم تعظيماً لختم القرآن الكريم[7].

ونجد أن قسماً من العلماء والفقهاء مارس التعليم في بيته، فنجد أبرز مؤدبي مدينة

---

(1) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 1/126-127 .

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، 8/250 ؛ المغراوي، جامع جوامع الاختصار، ص35 .

(3) المغراوي، جامع جوامع الاختصار، ص39 .

(4) القابسي، الرسالة المفصلة، ص141 ؛ المغراوي، جامع جوامع الاختصار، ص35 .

(5) ابن سحنون، كتاب اداب المعلمين، ص100 ؛ القابسي، الرسالة المفصلة، ص141 .

(6) ابن سحنون، كتاب اداب المعلمين، ص97 ؛ القابسي، الرسالة المفصلة، ص136 ؛ التوزري، تاريخ التربية بتونس، 1/110 .

(7) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 1/110 .

تونس، الفقيه أبي العباس الأبياني التميمي(ت 352 او 361هـ/961 او971م)، أحد فقهاء تونس، فقد ذكر انه كان يقول لمن اجتمع عنده بمنزله في تونس من العلماء دعونا من السماع القوا المسائل، وكان مجلسه يضم عدد من العلماء، وقد عرض عليه منصب القضاء في زمن الفاطمين الا انه رفض ذلك[1]. ويعد الأبياني من شيوخ القابسي (صاحب الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين) بل ويعدهُ من ألمع المشايخ المغاربة والمشارقة وربما أعلمهم[2]. وكذلك الفقيه محرز بن خلف(ت 413هـ) والذي علم الفقه في بيته لطلبة العلم في تونس، ويعد مؤدب مدينة تونس المشهور، وكان يشتغل بتربية الصبيان وتأديبهم حتى عرف بالمربي[3]، فكان يعلمهم القراءة والخط والقرآن والعبادات، وكذلك أبو محمد عبد العزيز التونسي، الذي خرج من القيروان إلى تونس، ومارس فيها تعليم الصبيان[4].

ويبدو أن الفقيه محرز كان يعلم الصبيان في الكتاب ويعطي دروساً في الفقه في منزله. ومن الذين مارسوا مهنة التأديب في تونس، يذكر الرحالة العبدري انه التقى في مدينة تونس الشيخ الفقيه ابا العباس أحمد بن موسى ابن عيسى بن أبي الفتح البطرني، وهو مؤدب في بعض ارباض تونس، كان ضرير البصر، معتنٍ بالعلم وروايته، وكانت وفاته سنة 703هـ/1303م[5].

ومن الافعال الواضحة على اهتمام الأمراء بالكتاتيب وتشجيعهم للصبيان، ما ذكر انه خلال ولاية الأمير أبي زكريا يحيى(627-647هـ/1229-1249م) انه كان ((إذا خطا على مكتب في طريق يأمر معلم الأولاد ان يسرح اطفال المكتب ليدخل عليهم السرور))[6]، ويبدو ان هذا العمل يعتبر محبباً لدى الاطفال، وكذلك لكي لا يمل الطفل

---

(1) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص163 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 1/35-36 .

(2) القابسي، الرسالة المفصلة، ص9 .

(3) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص83 ؛ الطويلي، أبحاث في الأدب والتاريخ، ص39 .

(4) **البسام، لطيفة بنت محمد،الحياة العلمية في أفريقية في عصر بني زيري،الرياض،2001، ص117.**

(5) رحلة العبدري، ص557 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 1/109 .

(6) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص114؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص56.

من الكتاب. ونجد عند وفاة الفقيه أبو إسحاق بن عبد الرفيع(ت 733هـ) قاضي الجماعة بتونس دفن بدار اعدها، وجعل بازائها مكتباً لتعليم القرآن[1]. ويبدو من هذا العمل لكي تكون صدقة جارية له بعد مماته. وخلال عهد السلطان أبو عمرو عثمان(839-893هـ) بنى ثلاثة مكاتب لتعليم قراءة القرآن الكريم، إحداهما قبلي الجامع الاعظم جامع الزيتونة، واثنان بربض باب المنارة[2].

ونتيجة للاهتمام بالتعليم من قبل الفقهاء والعلماء في شمال افريقيا بصورة عامة، فقد كانت لهم عناية بالتاليف في مجال التربية والتعليم، فقد أَلف محمد بن سحنون(ت256هـ)كتاب آداب المعلمين وهو أقدم الكتب التي عنيت بالتربية والتعليم في أفريقية، وكتاب ((الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين)) لأبي الحسن القابسي(ت403هـ) [3].

ب- المساجد والجوامع:

إن الغرض من بناء المساجد عبادة الله سبحانه وتعالى أولاً، وكذلك لتعليم امور الدين الإسلامي، هذا وأصبحت المساجد مراكز فكرية وثقافية فضلاً عن ان المسجد كان له دور كبير في الحياة الاجتماعية، ففيه كان الخلفاء والأمراء يعقدون الاجتماعات للتشاور في شؤون الحرب والسلم وفي مختلف الأمور الأخرى[4].

وقد أصبحت المساجد مراكز فكرية لان الدراسة كانت في العهود الاسلامية الأولى دراسات لشرح تعاليم الاسلام وتفقيه الناس امور دينهم، وهذا له اتصال وثيق بالمسجد، واستمرت العلوم الشرعية من تفسير وحديث تروى في حِلَقْ التعليم بالمسجد، ومازالت العلوم تزداد تنوعاً وتشعباً، فتمخض علم الفقه وأصبح النحو يدرس على حده والعلوم

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص70 .

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص125 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص147 .

(3) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 94/1 .

(4) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 134/1 .

الأخرى[1]. وعندما ينتهي الصبيان تعليمهم في الكتاب ينتقلوا إلى التعليم في المسجد لتكون مرحلة المسجد اعلى مرحلة من الكتاتيب، وهذا الأمر متعارف عليه في جميع المدن الإسلامية[2]. وقد كان السلف يتحاشون تعليم الصبيان في المساجد، فلهذا نجد ان الكتاتيب تقع غالباً خارج المسجد[3]. وينهي القابسي عن تعليم الصبيان في المسجد((لانهم لا يحتفظون من النجاسة))[4]. لكن يرى ان المسجد قد يستعمل لتعليم الصبيان، في حالات قليلة، إذا اضطر المؤدب إلى ذلك[5].

إن أقدم نص تاريخي يشير إلى مزاولة التعليم في جامع الزيتونة، يرجع إلى اوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي من خلال ترجمة أبي البشر زيد بن بشير الازدي الذي استوطن مدينة تونس ((كان طريق بشر على سوق الخرازين فاقبل يوماً يريد الجامع وحوله الطلبة)) [6]، وقد سمع الناس منه بتونس، ورحل اليه من القيروان خلق كثير يسمعون منه الحديث، وكانت وفاته سنة 242هـ/854م[7].

وقد أصبح جامع الزيتونة مجمعاً لطلاب العلم، إذا تاتي اهميته بعد مسجد القيروان الكبير، ومن الشواهد التي تؤكد مزاولة التعليم بجامع الزيتونة في مدينة تونس هو ان الفقيه أبا العباس عبد الله بن أحمد الأبياني(ت 352هـ) كان يقرئ فيه الحديث ومسائل الفقه[8], فقد ذكر ان الفقيه الأبياني كان يأتي كل صباح راكباً دابته من قرية أبيانة

---

(1) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 1/134-136 .

(2) القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، ص178-179 .

(3) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 1/103؛ القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، ص177.

(4) الرسالة المفصلة، ص145 ؛ الونشريسي، المعيار المعرب، 7/83 .

(5) القابسي، الرسالة المفصلة، ص145 .

(6) المالكي، رياض النفوس، 1/390 ؛ وينظر أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص256؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 4/98-99؛ الطالبي، تراجم اغلبية، ص148 ؛ عبد الوهاب، ورقات، 1/124-125.

(7) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص256 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 1/70 .

(8) التليسي، الاتجاهات الثقافية، ص80 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، ص1/72 .

(قرية تقع في فحص مرناق قريبة من تونس) فيقضي جانباً كبيراً من النهار في التدريس والافتاء فيما يعرض له من قضايا، ثم يعود مساءً إلى قريته، وهكذا كان دأبه حتى وفاته خلال سنة 352هـ/963م[1].

وقد استمر التعليم بجامع الزيتونة وتطور بتطور العلوم حتى أصبح منارة فكرية وعلمية مع احتفاظه بدوره الديني. وقد ذكر ان من واجبات الفقهاء((ارشاد المتعلمين، وافتاء المستفتيين، ونصح الطالبين، واظهار العلم للسائلين))[2].

اما عن طريقة التعليم بالمساجد، فقد كان الشيخ يجلس على حصير او بساط ولربما كان بعضهم يجلس على كرسي حتى يسمعه كل الحاضرين، وكان الطلبة يجلسون حول الشيوخ حلقات تتفاوت عدداً حسب مكانة الشيخ العلمية وحسب الظروف والأحوال، وكان الشيخ يفتتح الدرس بالبسملة والتحميد لله سبحانه وتعالى، والصلاة على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وربما يتلو آيات من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة، التي تحث على طلب العلم[3]. وللطالب الحق أن يسأل أي سؤال لاستيضاح ما صعب عليه، وأن يكون السؤال تفقهاً لا تعنتاً ولا رياء، أو أن يقوم الشيخ فيلقي على الطلاب بضعة اسئلة ليختبر فهمهم واستيعابهم[4].

وكان الفقهاء في تونس يلبسون على رؤوسهم عمامة (قلنسوة) مكسوة بقماش طويل[5].

ومن الفقهاء الذين درسوا بتونس الفقيه ابن سيد الناس (ت 659هـ) إذ اقرأ بها

---

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 10/6 ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص136 ؛ التليسي، الاتجاهات الثقافية، ص80 ؛ عبد الوهاب، ورقات، 127/1 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 35/1-36 .

(2) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت 771هـ)، معيد النعم ومبيد النقم، تح علي النجار وآخرون، ط1 ، دار الكتاب العربي، مصر ، 1948، ص67 .

(3) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 138/1 .

(4) التوزري، تاريخ التربية بتونس، 140/1 .

(5) ليون الافريقي، وصف افريقيا، 75/2 .

صحيح مسلم والبخاري، وكان ابناء السلطان الحفصي المستنصر بالله (647-675هـ) واقاربه، يحضرون دروسه بجامع القصبة[1]. ويذكر الرحالة العبدري خلال تواجده بمدينة تونس سنة 688هـ، انه التقى بالعديد من العلماء وكان من بينهم أبو القاسم بن حماد اللبيدي الذي لا يتوانى عن حضور ((المجلس لإسماع العلم مع فادح ضعفه... وضرارة بصره، لا يتخلف عن المسجد ليلاً ولا نهاراً، ولا يقطع اسماع العلم وتعليمه واقراء القرآن))[2] وكانت وفاته سنة (702هـ). وخلال لقائه بالشيخ الاديب، والكاتب البليغ أبو الحسن علي بن إبراهيم التجاني التونسي (ت 714هـ)، له بيت عريق في العلم والأدب ((قال لي بمسجد اقرائه ، انا الثاني عشر مدرساً من ابائي على نسق ، كلهم قد قعدوا للأقراء)) [3].

يبدو من هذا النص ان أسرة التجاني، فيها عدد كبير من العلماء والفقهاء ممن عملوا في التدريس بالمساجد، ونجد ان الأمير الحفصي أبو عبد الله محمد المستنصر (647-675هـ/1249-1277م) رتب بجامع التوفيق (جامع الهواء) دروساً في العلم عهد بها لبعض شيوخ الأندلس الوافدين على تونس، وكان من أئمة هذا الجامع الشيخ الأبي شارح صحيح مسلم. وكذلك نجد في جامع يحيى السليماني، كان الفقيه السليماني يعتكف للتدريس والعبادة[4].

ج – المدارس:

ظهرت في مدينة تونس مجموعة من المدارس في مدة متأخرة، وكان لها الدور الكبير في الحركة الفكرية ليس في مدينة تونس فحسب بل في منطقة المغرب العربي من خلال طلبة العلم الذين وفدوا إلى هذه المدارس لينهلوا من انواع المعارف على ايدي كبار العلماء والفقهاء الذين عملوا في هذه المدارس، وإلى جانب الكتاتيب

---

(1) عبد الوهاب، كتاب العمر ، 305/1-306 .

(2) رحلة العبدري، ص495 .

(3) العبدري، رحلة العبدري، ص521-522 .

(4) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص122-135 .

والمساجد كان للمدارس الدور الكبير في الحياة الفكرية.

يذكر ابن فضل الله العمري[1]: ((وبتونس ثلاث مدارس الشماعية والمعرضية ومدرسة الهواء))، كان هذا في عهد العمري، لكن الحاجة دعت إلى زيادة المدارس، ومنها ازدياد عدد السكان والتوسع العمراني في المدينة، والأقبال على التعليم، فأصبحت المدارس أكثر من هذا العدد. أما عن اهم مدراس مدينة تونس فهي:

1-المدرسة الشماعية:

أسست من قبل الأمير الحفصي أبو زكريا يحيى (627-647هـ/1229-1249م) في سنة 633هـ/1235م، عند استقلاله عن الدولة الموحدية، وتقع هذه المدرسة في سوق الشماعين ومن هنا جاء اسم الشماعية الذي اطلق عليها[2]. (ينظر ملحق رقم8 ص284) .

وتعد من أقدم المدارس التي تم انشائها في مدينة تونس[3]. (ينظر ملحق رقم9 ص285) . وكانت قريبة ايضاً من جامع الزيتونة ومن سوق العطارين[4].

ومن أشهر مشايخها، القاضي أبو القاسم بن البراء قاضي الجماعة(ت 677هـ)، وابن عبد الرفيع قاضي الجماعة(ت 733هـ)، والفقيه أبو علي عمر بن قداح الهواري (ت 734هـ) والقاضي ابن عبد السلام الهواري (ت 749هـ)، والقاضي أبو القاسم

---

(1) مسالك الابصار، 145/4 ؛ وينظر القلقشندي، صبح الأعشى، 102/5 .

(2) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، 145/4 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص56 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص127 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص282 .

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، 102/5 ؛ عبد الوهاب، ورقات، 32/1 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص287 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، هامش3، ص56 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 382/1 .

القسنطيني (ت 846هـ) والفقيه حسن الزنديوي (كان حياً سنة 940هـ)[1]، وقد ذكر ان جراية المدرس بها عشرة دنانير في الشهر[2].

2-المدرسة التوفيقية:

من مدارس مدينة تونس، وتسمى ايضاً بمدرسة الهواء، تم بناء هذه المدرسة من قبل الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكريا يحيى في عهد ابنها الأمير أبو عبد الله محمد المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م)، مع جامع التوفيق (الهواء) المجاور لها، وكان ذلك في سنة 650هـ/1252م[3].

وقد درس في هذه المدرسة الفقيه أبو بكر ابن سيد الناس الاشبيلي (ت 659هـ) الذي إستدعاه الأمير المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) لشهرته ليدرس الحديث بالمدرسة التوفيقية[4]، وقد درس بها الأمام الفقيه ابن عرفه (ت 803هـ) أحد أعلام الفقه المالكي، وكان يدرس من الصباح إلى الزوال ولا سيما درسي التفسير والفقه، وكان عدد من تلاميذه يسكن المدرسة ومنهم الأبي (صاحب كتاب اكمال الاكمال) [5].

3-المدرسة المعرضية:

تم تأسيسها من قبل الأمير أبو زكريا ابن السلطان الحفصي أبو إسحاق إبراهيم

---

(1) البرزلي، فتاوي البرزلي، 576/3 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص56 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص70 و71 و137 و141 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر ،730/2 و 813 .

(2) ابن الخوجة ، تاريخ معالم التوحيد، ص287 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص63 ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس، ص128 .

(4) الغبريني، عنوان الدراية، ص291 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص63 .

(5) عبد الوهاب، كتاب العمر ، 330/1 ؛ ابن الخوجة ، تاريخ معالم التوحيد، ص288 ؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص53 .

بن أبي زكريا (678-681هـ/1279-1283م) بحدود سنة 679هـ/1281م ، وكان الأمير أبو زكريا نزيه النفس، محباً للعلم وأهله، وعندما علم بوجود فندق يباع فيه الخمر امر بهدم الفندق وبنى مدرسة للعلم مكانه، وحبس عليها ريعاً كثيراً من كتب نفيسة في كل فن من فنون العلم[1].

وعند الأنتهاء من بناء المدرسة جلس فيها الفقيه المدرس أبو العباس أحمد الغرناطي (ت 692هـ) (صاحب كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق) للتدريس ووجه له الأمير قرطاسين من ذهب وفضة[2]. لتوزيعها على كل من يجد في المدرسة، فسمع الناس بذلك فجاؤها من كل مدرسة حتى امتلأت ولم يعرف أحد اين يجلس، وكان الأمير أبو زكريا يحضر مجلس الوعظ فيها يوم الأثنين والجمعة، فيطلق العنبر والعود مادام المجلس، وأجرى على المدرس رزقاً قدره عشرة دنانير في الشهر، وجعل بين دار سكناه وبين المدرسة نافذه تشرف عليها ويسمع منها ما يقرأ في المدرسة[3]. ودرس فيها الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الستار التميمي(ت749هـ)[4] وايضاً الفقيه أبو عبد الله محمد الزنديوي(ت874هـ)، وكان موقع المدرسة قريباً من جامع الزيتونة، ومن سوق العبيد[5].

4-المدرسة العنقية (عنق الجمل):

هذه المدرسة قامت بتأسيسها الأميرة فاطمة أخت السلطان أبي يحيى ابن أبي زكريا سنة 742هـ/1342م[6]. وانتدبت للتدريس بها قاضي الجماعة محمد بن عبد

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص51 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص83 .

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص348 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص199 .

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص51 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص83 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص67 ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ،395/1 .

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص145 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 382/1.

(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص71 و 77 ؛ عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص106 ،

السلام الهواري (ت749هـ)، ثم قدمت مكانه القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة (ت746هـ) [1]، ودرس فيها الفقيه محمد بن عقاب (ت851هـ) [2]. واسمها مشتق من المكان الذي تقع فيه يسمى عنق الجمل[3]. وما كادت تفتح هذه المدرسة أبوابها حتى اقبل عليها طلبة العلم من كل مكان، رغبة منهم في التزود بالعلم والمعرفة[4].

5-المدرسة العصفورية:

إلى جانب الأمراء والسلاطين، نجد أهل العلم والفقهاء شرعوا ببناء مدارس تشجيعاً منهم لانتشار العلم والمعرفة وينسب تأسيس هذه المدرسة إلى أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي المعروف بابن عصفور(597-669هـ) من أهل اشبيلية، فقيه، نحوي تاريخي[5]. إرتحل إلى تونس فحظي بالاحترام عند السلطان المستنصر بالله (647-675هـ) وكان أحد خواص مجلسه[6]. تقع هذه المدرسة بدرب ابن عبد السلام، بالقرب من سوق العطارين[7]. لا نعرف سنة تأسيسها بالتحديد، لكن وفاة مؤسسها ابن عصفور سنة 669هـ/1269م فيكون تأسيسها قبل هذا التاريخ ،ومن الطبيعي ان ابن عصفور جلسَ للتدريس في هذه المدرسة.

برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 382/1 .

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص71 ؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص54 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص141 .

(3) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص293 ؛ زبيس، حول مدينة تونس، ص29 .

(4) عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص106-107 .

(5) الغبريني، عنوان الدراية، ص317 .

(6) الغبريني، عنوان الدراية، ص317 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص289 ؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص55 .

(7) ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص289 .

6-مدرسة ابن تافراجين:

أسست هذه المدرسة من قبل الحاجب أبو محمد عبد الله ابن تافراجين، خلال القرن الثامن الهجري، بمدينة تونس في مكان يدعى قنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة، وقد دفن ابن تافراجين في هذه المدرسة بعد وفاته سنة 766هـ[1]. وقد درس في هذه المدرسة الفقيه أبو محمد بن محمد ويعرف بابن عصفور[2].

7-المدرسة المنتصرية:

وهي التي شرع في بنائها السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المنتصر (837-839هـ) في عام 838هـ/1435م، وتقع هذه المدرسة بالقرب من سوق الفلقة بتونس، وتوصف بانها كبيرة[3]. ومات السلطان قبل اتمامها، فأتمها اخوة السلطان أبو عمرو عثمان(839-893هـ/1435-1488م) سنة 841هـ/1437م، فأكملها على أحسن وجه وأوقف عليها وقفاً موبداً لها، ولمن بها من الطلبة والقومة(الموظفون) فعمرت عمارة قوية[4]. والمدرسة المنتصرية زارها الرحالة القلصادي وسكن بها سنة ونصف إذ يقول: ((وكنت في اثناء ذلك آخذ في القراءة والأقراء، وسوق العلم حينئذٍ نافقة وينابيع العلوم على اختلافها مغدقة))[5]، وانتخب للتدريس بها المحدث القاضي أبو عبد الله محمد بن عقاب(ت851هـ)[6]، والذي يقول عنه القلصادي[1]: ((أنيطت به اجل

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص101 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 382/1 .
(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص139 .
(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص120 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص132 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص146 .
(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص127-128؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص147 .
(5) أبي الحسن علي القلصادي (ت891هـ)، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الاجفان ، تونس ، 1978، ص115 .
(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136.

المدارس، فازدحم لإفادته افواج الناس واقتبسوا من علمه، ولازمت حضور مجلسه، وحضرت عليه من التفسير من آخر سورة الحشر إلى آخر سورة البروج، وبعض صحيح مسلم والموطأ، وكتب شتى في مختصر المدونة للبراذعي، وسمعت عليه جميع صحيح البخاري، وكتاب الشفاء للقاضي عياض، وذلك مع الجمهور بالمدرسة المنتصرية))، وقد درس فيها الفقيه الشيخ أحمد القسنطيني قاضي الانكحة بتونس(ت865هـ) والفقيه أبو عبد الله محمد البيدموري[2].

8-المدرسة العثمانية:

تُعد من مآثر السلطان أبو عمرو عثمان(839-893هـ/1435-1488م) وكانت في غاية الحسن والأتقان، تقع بالقرب من مقام الفقيه محرز بن خلف، في باب السويقة بالدار المعروفة بدار صولة، ابتدأ بنائها سنة 840هـ/1440م، وجعل فيها مسجداً للصلاة، ودرساً لقراءة العلم، ورباطاً لسكن الطلبة، وأوقف عليها وقفاً يكفي من بها من الغرباء وغيرهم وجعل فيها سماطاً مستمراً يتصدق كل يوم على المحتاجين، وجعل فيها ماء للسبيل مستمراً[3]. وتم الأنتهاء منها سنة 844هـ/1444م، وتم تسميتها بالمدرسة العثمانية نسبة إلى السلطان أبو عمرو عثمان[4]. وتسمى كذلك بالمدرسة الجديدة[5]، ويذكر القلصادي انه أقام بها حولاً كاملاً، وممن أخذ عنه الشيخ الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن محمد القلشاني(ت863هـ) ((فحضرت عليه بعض

---

(1) رحلة القلصادي، ص121 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص152 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص295 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص142 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص147 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص140 ؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص56 .

(5) القلصادي ، رحلة القلصادي، ص112 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص132.

التفسير من الكتاب العزيز، وجميع صحيح البخاري، وبعض صحيح مسلم، وبعض ابن الحاجب الفرعي، ومختصر المدونة للبراذعي من مواضع مختلفة، وقرأتها عليه كذلك بلفضي، واجازني جميع ذلك)) [1]، ومن نظم الشيخ أحمد القلشاني تحريضاً لقراءة مذهب الأمام مالك:

إذا ما إعترف ذو علمٍ بعلم فعلم الفقه أشرف في اعتزازِ

فكم طيب يفوح ولا كمسك وكم طيرٌ يطيرُ ولا كـــبازي [2]

وكذلك درس في هذه المدرسة الفقيه الشيخ محمد الزنديوي[3].

9- مدرسة القائد نبيل:

يرجع تأسيس هذه المدرسة إلى القائد نبيل أبو قطاية، وهو من ذوي النفوذ، كان أحد القواد الكبار[4]. تقع هذه المدرسة شرق باب ينتجمي، أحد أبواب القصبة، ويرجع الفضل في اكمالها إلى السلطان أبي عمرو عثمان(839-893هـ/1435-1488م) في سنة 850هـ والتي شرع القائد نبيل في بنائها[5]. وعند وفاته سنة 857هـ، دفن في مقبرة في المدرسة كان أعدها لذلك[6]. درس في هذه المدرسة الفقيه أبو إسحاق إبراهيم الاخضري(ت 879هـ) وكذلك القاضي أحمد بن عبد الرحمن بن موسى المشهور بلقب حلولو، والذي عين شيخاً على كبرى المدارس في عصره وهي مدرسة القائد نبيل، وكانت وفاة حلولو بتونس سنة 898هـ[7].

---

(1) رحلة القلصادي، ص115-116 ؛ ينظر الزركشي، تاريخ الدولتين، ص137 .

(2) القلصادي، رحلة القلصادي، ص115-116 .

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 425/2 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص142 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 382/1.

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص142 ؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص140 .

(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص147 .

(7) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص142 و158 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 810/2 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 165/2 .

وقد عمل الأمراء على توفير كل سبل الراحة للطلبة وتوفير كل مستلزماتهم، فكانت هذه المدارس مراكز علمية مشعة تحتوي غالباً على مساجد للصلاة، ومأوى لسكن الطلبة، وأسمطة للطعام، ومياه للشرب، وكانت تحفل بالعلماء والطلبة الواردين على مدينة تونس قصد التزود من العلوم والمعارف بها، إذ كانت تلقى فيها دروس في مختلف الفنون، يليها نقاش وتتخللها في أحيان كثيرة أسئلة حول أدق المسائل العلمية والأدبية، وكان الطلبة ينتقلون من مدرسة إلى أخرى، وكانت المدارس مفتوحة ليلاً ونهاراً، وتبتدئ الدراسة فيها عادة من الصباح، وعلى هذه المدارس احباس وفيرة(1).

ويذكر ابن خلدون(2) ان المدة المعينة لسكن طلبة العلم بالمدارس في تونس هي خمس سنين، وهذه المدة بالمدارس من المتعارف هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية.

د- المكتبات:

لقد كان للعرب المسلمين عناية كبيرة بالكتب الشرعية والعلمية والحرص على إقتنائها ونسخها، والسعي إلى ايجاد اماكن لحفظها من العبث والضياع بقصد الانتفاع منها اكثر مدة، وايصالها إلى الاجيال الأخرى(3). إذ لم نجد أي اشارة في المصادر التي بين ايدينا إلى وجود مكتبات في مدينة تونس الا خلال العهد الحفصي عندما تأسست المدارس في المدينة، أخذت المكتبات في الظهور، فأصبحت الحاجة ملحة لوجودها. وقد ظهرت سوقاً تسمى سوق الكتبين، برزت في بداية الدولة الحفصية في تونس(4).

إن من أشهر المكتبات في مدينة تونس تلك التي أسسها الأمير أبو زكريا

(1) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص155-156 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص122؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص147 ؛ الطويلي، تاريخ مدينة تونس، ص55 .

(2) المقدمة، ص468 .

(3) عبد الوهاب، ورقات، 325/1 .

(4) ابن أبي دينار، المؤنس، ص130 ؛ زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، ص36 .

الحفصي (627-647هـ/1230-1249م) بقصره وضمت ست وثلاثين الف مجلد[1]. وقد بلغ من اهتمام الأمير أبو زكريا في إقتناء الكتب ووضعها في مكتبته بتونس، وجلبها من المدن الأخرى وبخط مؤلفيها، إذ سمع ((ان كتاب الفصيح بيع بخطه بطرابلس، فبرد بريداً إليها في البحث عنه فبحث عنه ووجه به اليه))[2]، وكذلك كتب أخرى.

وكانت أعداد الكتب الكثيرة تتطلب من يقوم بادارتها، فعمد الأمير أبو زكريا إلى تعين أُمناء يقومون بادارتها، كان من بينهم الفقيه الأديب أبو علي الحسن بن موسى الهواري الطرابلسي، الذي عزله الأمير أبو عبد الله محمد المنتصر(647-675هـ/1249-1277م) خلال ولايته، وأعيد في عهد الأمير أبو زكريا يحيى الواثق(675-678هـ/1277-1280م) فوجد إن عدة الآف من الكتب قد اتلفت وعندما سئل عن ذلك قال: ((المطر وأيدي البشر))[3].

وقد إستمرت هذه المكتبة بتقديم خدماتها إلى طلاب العلم والمعرفة إلى سنة 716هـ، إذ بعد أن إضطربت الأحوال في البلاد في عهد أبو يحيى زكريا ابن اللحياني(711-717هـ/1311-1317م) عمل على بيع ((جميع الذخائر التي كانت في القصبة حتى الكتب التي كان الأمير أبو زكريا الاكبر جمعها واستجاد اصولها ودواوينها، أُخرجت للكتبين فبيعت بدكاكينهم)) [4].

وعندما أسس الأمير أبو زكريا ابن السلطان أبي إسحاق(678-681هـ/1279-1283م) المدرسة المعرضية، اشترى من ماله الخاص ((كتب نفيسة في كل فن من فنون العلم))[5] ويذكر ابن القنفذ[1] عن هذه المكتبة بان الأمير أبو زكريا ((حمل لها من

---

(1) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص57 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص137 .

(2) التجاني، رحلة التجاني، ص263 .

(3) التجاني، رحلة التجاني، ص274-276 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 385/2.

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص63 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص134 .

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص51 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 385/2 .

الكتب ما يفوق الحصر عدداً وحسناً)).

ومن أعمال السلطان أبو فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1434م)، اقامته خزانة كتب في سنة 822هـ/1419م وكانت تشتمل على أمهات الدواوين أخرجها من قصره وجعل لها مقصورة بموضع بمجنبة الهلال جوفي جامع الزيتونة وأوقفها على طلبة العلم، ينتفعون بها بالنظر والنسخ بشرط ألا يخرج منها شيء من المجنبة، خشية ضياعها وجعل لها قومة (موظفون) يقومون بها في ترتيبها، ومناولتها للطلبة وردها لمكانها بعد الفراغ منها وكان لها وقتاً محدوداً كل يوم، من آذان الظهر إلى صلاة العصر، وأوقف عليها ما يكفيها[2]. وكانت هذه المكتبة تضم كتباً في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب والتاريخ[3]. وقد ذكر أن عبد الرحمن البرشكي (ت849هـ) كان من المقربين إلى السلطان أبو فارس عبد العزيز، حتى انه أرسله لشراء بعض الكتب النادرة من مصر[4].

وفي عهد السلطان أبو عمرو عثمان(839-893هـ/1435-1488م) تم إخراج خزانة الكتب التي بقصرهِ، وجعل لها خزانة بالمقصورة الشرقية من جامع الزيتونة، وذلك في سنة 854هـ/1454م، وجعل لها قومة يقومون بها، وأوقف عليها وقفاً موبداً كافياً، فعم نفعها[5].

وأما في مدة الأمير أبو عبد الله محمد الحسن(899-932هـ/1494-1526م) وهو الذي بنى المقصورة بطرف صحن جامع الزيتونة من الجهة الشرقية، وجعل فيها كتباً مفيدة وجعل لها أُمناء يقومون بها، ووقت الأنتفاع بها وقتاً محدوداً عند آذان

(1) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص156 .

(2) عبد الله الترجمان، تحفة الاريب،ص87 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص114 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص125 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص144 .

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص116 .

(4) عبد الوهاب، كتاب العمر، 338/1 .

(5) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص124 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص136 و 144 .

الظهر وبعد صلاة العصر[1]. ويطلق على هذه المكتبة (المكتبة العبدلية) [2]. وقد قيل أن قاضي الجماعة بتونس محمد بن أبي الفضل قاسم البكي الكومي، كان من المشجعين للأمير على تأسيس العبدلية بجامع الزيتونة[3].

المبحث الثالث : أبرز العلوم والمعارف :

أولاً : علوم القرآن الكريم

1- علم القراءات :

ابتدأت الحياة الفكرية في مدينة تونس بالعلوم الشرعية، وفي مقدمتها تعليم القرآن الكريم ، وكان عدد من علماء مدينة تونس ممن إستقر بالمدينة، أخذ بتعليم القرآن الكريم[4]، وقد اشترط سحنون على المؤدبين في تعليمهم للصبيان، فنوناً جعلها على قسمين اجباري واختياري، ((أما ما فرض تعليمه وجوباً فالقرآن الكريم مع اعرابه ورسمه بالشكل واتقان الهجاء والقراءة الحسنة من توقيف وترتيل، والانسب، ان تكون بقراءة نافع لحسن طريقتها)) [5].

---

(1) ابن أبي دينار، المؤنس، ص150 .

(2) عبد الوهاب، ورقات، 33/1 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 385/2-386 .

(3) عبد الوهاب، كتاب العمر، 522/2 .

(4) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص235-236 ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 296/5 .

(5) اداب المعلمين، ص42 ؛ ينظر : القابسي ، الرسالة المفصلة ، ص113 .

والقرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل على نبيه، وهو متواتر بين الأمة الا ان الصحابة رووه عن رسول الله (ρ) في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتناقل ذلك وإشتهر إلى ان إستقرت منها سبع طرق معينة، تواتر نقلها ايضاً بادائها ، فصارت هذه القراءات السبع اصولاً للقراءة[1]. وقد ظهرت كتب لمؤلفين في القراءات أبرزهم أبو عمرو الداني[2]، في كتابه التيسير، وهذا الكتاب يعد من الكتب التي يعتمد عليها في معرفة القراءات، والتي كانت تدرس في مدينة تونس[3]. وقد ذكر ابن خلدون انه لم يزل القراء يتداولون هذه القراءات إلى ان ظهر ((أبو عمرو الداني، وبلغ الغاية فيها، ووقفت عليه معرفتها وانتهت إلى روايته اسانيدها وتعددت تآليفه فيها، وعدل الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير)) [4]، وكذلك ذاع صيت قصيدة الشيخ أبي القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي(538–590هـ) في القراءات فقد نظم القواعد الواردة في كتاب التيسير واختصرها في قصيدته المعروفة والتي تسمى الشاطبية[5]، ليسهل على الناس استذكارها[6]. والتي وصفها ابن خلدون[7]

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص473 ؛ الصالح ، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط24، دار العلم للملاين، 2000، ص247–258 .

(2) ابو عمرو الداني : وهو الامام المقرئ عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الاموي الأندلسي القرطبي ثم الداني ويعرف قديماً بابن الصيرفي(ت444هـ) ، مصنف كتاب التيسير وجامع البيان ، والداني نسبه الى دانية مدينة في الاندلس من اعمال بلنسية . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، 77/18–80 (وكتاب التيسير في القراءات السبع كتاب مطبوع من تحقيق اوتو تريزل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1984) .

(3) العبدري، رحلة العبدري، ص115 وص 491 ؛ ابن خلدون، المقدمة،ص474 ؛ القلصادي، رحلة القلصادي، ص122 .

(4) المقدمة، ص474 .

(5) الشاطبية : او متن الشاطبية حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع ، كتاب مطبوع من تحقيق محمد تميم الزعبي ، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ،ط4 ، 2005 .

(6) ابن خلدون، المقدمة، ص475 ؛ القلصادي، رحلة القلصادي، ص122 .

(7) المقدمة، ص747 .

بقوله: ((وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس)).

ومن أبرز القراء الذين كان لهم دور في نشر علم القراءات نذكر:

– لقمان بن يوسف الغساني(ت319هـ)، من أهل مدينة تونس، ويذكر أنه كان محسناً للقراءة، يقرأ بقراءة نافع [1]، سمع من اصحاب سحنون، حافظاً لمذهب مالك، توفي بمدينة تونس سنة 319هـ[2].

– الأبياني، عبدالله بن أحمد بن إبراهيم(ت352هـ)، تفقه على يد يحيى بن عمر، حافظاً لمذهب مالك، جلسَ للاقراء بجامع الزيتونة[3].

– التجيبي، حسن بن عبد العزيز بن اسماعيل(كان حياً سنة 635هـ)، من أهل بلنسية، يعرف بالقشتليوني، نسبة إلى قرية بقربها، أخذ القراءات عن أبي الحسن بن هذيل وأجاز له إجازة عامة، وكان يكتب المصاحف وإستقر بمدينة تونس وأقرأ بها القرآن[4].

– ابن الغماز، أحمد بن محمد بن حسن(ت693هـ) ويكنى أبا العباس ابن الغماز الأنصاري[5]. قاضي تونس، مقرئ ومحدث، ولد سنة 609هـ/1209م، سمع الحروف السبعة من ابن أبي الربيع وأبي الحسن بن سلمون، قرأ عليه أحمد بن موسى البطرني لنافع، وسمع منه الحروف أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي[6]، يذكر العبدري

---

(1) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص171؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك، 296/5 .

(2) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص171؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 296/5-297.

(3) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 10/6-13 ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص136؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 637/2-638 .

(4) ابن الابار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي(ت658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1995، 215/1 .

(5) الغبريني، عنوان الدراية، ص119 .

(6) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن يوسف(ت833هـ)، غاية النهاية في طبقات

خلال وجوده بتونس، انه قرأ عليه اكثر التيسير، للامام أبو عمرو الداني[1]، كانت وفاته بتونس سنة 693 هـ/1294م[2].

– أبو يعقوب الجذامي، يوسف بن إبراهيم بن أحمد(ت692هـ) الشاطبي الصوفي، ولد سنة 613هـ، أخذ رواية نافع عن جدهِ لأمه مالك بن يوسف المعافري، إستوطن مدينة تونس وإستقر بها، توفي سنة 692هـ/1293[3].

– الحباسي الكتبي، محمد عبد السلام أبو عبد الله القيسي التونسي، إمام مقرئ، شيخ الاقراء بتونس، قرأ بالقراءات السبع على عبد الله بن أبي القاسم المكمشي وعامر بن محمد بن عامر التونسي، أخذ عنه جماعة من أهل العلم والقراءات، لقب لمعرفته بالقراءة وضبطه لها بمسند القراء في أفريقية، توفي بتونس لبضع وثلاثين وستمائة[4].

2- علم التفسير:

من العلوم المهمة التي ارتبطت أشد الأرتباط بالقرآن الكريم، علم التفسير الذي يقصد به النظر في كتاب الله سبحانه وتعالى وبيان ألفاظه، لان القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم، وكذلك لبيان معاني القرآن الكريم، وسبب نزول الآيات القرآنية وبيان معانيها[5]. ويعرف ايضاً بانه ((فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ρ)،وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات ويحتاج لمعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ))[6]، ويعتبر تفسير القرآن الكريم الخطوة الأخرى بعد علم القراءات من اجل

القراء، نشر مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة، ج، برجستراسر، 1351هـ، 110/1 .

(1) رحلة العبدري، 489-491 .

(2) الغبريني، عنوان الدارية، ص119 ؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ، 110/1 .

(3) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 392/2 .

(4) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 151/2 .

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص475-476 .

(6) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله(ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه،

الحصول على معاني القرآن، وكان بعض الفقهاء والصالحين يتحرجون من التفسير خشية الوقوع في الزلل وعدم الدقة في التفسير فيما اراد الله سبحانه وتعالى[1].

وبعد إتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية أصبح التفسير ضرورة دينية ملحة بسبب دخول أعداد كبيرة من غير العرب إلى الاسلام، ويصعب عليهم إدراك معاني القرآن الكريم، لذلك اتجه المسلمون في تفسير القرآن الكريم، بأتجاهين أحدهما يعرف بالتفسير المأثور وهو ما آثر عن الرسول(ρ) والصحابة الكرام، اما التفسير الآخر فيسمى التفسير بالرأي، وهو ما كان يعتمد على العقل اكثر من اعتماده على النقل، وهذا ما عمل به المعتزلة[2]. وقد نالت التفاسير القرآنية عناية خاصة من قبل العلماء وطلبة العلم، ومن أهم التفاسير التي درست في مدينة تونس، نجد تفسير ابن عطية، ويذكر ابن خلدون[3]: ((فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو اقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس)).

ومن أبرز من عمل في هذا المجال من أهل مدينة تونس نذكر:

- ابن بزيزة، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد التميمي(ت662هـ) يعد من الفقهاء وعلماء التفسير ورواة الحديث، كان مشاركاً في سائر العلوم تفقه على محمد بن عبد الجبار الرعيني وأبي محمد عبد السلام، له مؤلفات عديدة منها الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار، وشرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الأشبيلي وتفسير القرآن، شرح الأسماء الحسنى، وله ايضاح السبيل إلى مناهل التاويل، وله تفسير جمع فيه بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري[4].

1957، 13/1 .

(1) لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، 201/1-203 ؛ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت، 1996، 109/1-110.

(2) حسن، تاريخ الاسلام السياسي، 346/3 .

(3) المقدمة، ص476 .

(4) التنبكتي، نيل الابتهاج، 268/1 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 394/1-395 ؛ محفوظ،

– الغرناطي، أبو العباس أحمد بن عبد الله القريشيي الغرناطي(ت692هـ) الشيخ الفقيه المحدث، كان أعلم الناس بالكتب المصنفة واحفظهم لأسمائها، لم يزل عاكفاً على التدريس والتذكير مشتغلاً بعلم الرواية والتفسير، إلى ان مات بتونس سنة 692هـ[1]. من مؤلفاته كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق، وله تفسير وغير ذلك[2].

– الحميري، محمد بن محمد بن عبد النور(كان حياً سنة 726هـ)، له تفنن في سائر العلوم، أخذ العلم من القاضي الأمام ابن زيتون، والقاضي ابن برطلة الازدي، اختصر تفسير الأمام فخر الدين الخطيب في سبعة اسفار، اختصاراً حسناً سماهُ ((نفحات الطيب في اختصار تفسير ابن الخطيب)) [3].

– الأبي، أبو عبد الله محمد بن خلفة المعروف بالأبي الوشتاتي(ت828هـ) يعرف بالأبي نسبة إلى قرية أبة في الشمال الغربي من تونس، والوشتاتي نسبة إلى قبيلة بربرية هناك، وفد صغيراً إلى تونس، ونزل بمدرسة التوفيق، وقرأ على علمائها ولازم الأمام ابن عرفة حتى صار من اعيان اصحابه[4], تولى الأمامة والخطابة بجامع التوفيق وبعدها ولي القضاء ثم الفتوى بتونس[5]، له شرح على صحيح مسلم اسماهُ (إكمال إكمال المعلم لفوائد صحيح مسلم) ويسمى إكمال الأكمال، وتفسير القرآن في ثمان أسفار وقيل في عشرة أسفار، وكان من أبرز المفسرين[6].

تراجم المؤلفين التونسين، 95/1 .

(1) الغبريني، عنوان الدراية، ص347–348 .

(2) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص199 ، (ولم نقف على احوال هذا الكتاب) .

(3) ابن فرحون، الديباج المذهب، 330/2–331 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص206 ، (ولم نقف على احوال هذا الكتاب) .

(4) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص244 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 330/1–331 .

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص123 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص244 .

(6) السخاوي، الضوء اللامع، 182/11 ؛ الشوكاني، محمد بن علي(ت1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، تح محمد حسن العلاق، ط2، نشر دار ابن كثير، بيروت–

- الزنديوي، أبو عبد الله محمد بن عيسى العقدي التونسي(ت874هـ) الفقيه العلامة، قاضي الانكحة بتونس، من أصحاب الأمام ابن عرفة، له تأليف في فنون من العلم منها تفسير وشرح المختصر وله فتاوى، درسَ في المدرسة العثمانية بتونس، وبعدها درس في المدرسة الشماعية، عمل خطيباً ومفتياً بجامع التوفيق[1].

- الرصاع، محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني ثم التونسي، ويعرف بابن الرصاع(ت894هـ) لقب بالرصاع لان جده كان يصنع المنابر ويرصعها، اصله من تلمسان، قدم إلى تونس وهو صغير السن واقبل على طلب العلم بشغف كبير[2]،أخذ عن جماعة من العلماء أمثال البرزلي، والوانوغي وابن عقاب وغيرهم، وتفتحت امامه نوافذ العلوم، ختم القرآن الكريم، وحضر دروساً في المدرسة الشماعية، عمل بالتدريس في مدارس تونس ومساجدها، وتولى قضاء المحلة ثم قضاء الانكحة ثم خطة قضاء الجماعة، والأفتاء والخطابة والأمامة بجامع الزيتونة[3]. توفي بتونس سنة 894هـ، له مؤلفات كثيرة منها، الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية ((شرح حدود ابن عرفه)) وله الاجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، وكذلك الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب، رتب فيه آي مغني اللبيب على السور ثم فسرها[4]. وله ايضاً

دمشق، 2008، 169/2 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 330/1-331 .

(1) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص259 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 425/2 .

(2) الرصاع، أبي عبد الله محمد الأنصاري(ت894هـ)، شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الأمام ابن عرفة الوافية، تحقيق محمد أبو الاجفان والطاهر المعموري، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1993، القسم الأول، ص15-17؛ السخاوي، الضوء اللامع، 287/8 .

(3) الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، ق1، ص15-16 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 804/2 .

(4) شرح حدود ابن عرفة ، كتاب مستخدم في هذه الدراسة ، وكتاب الاجوبة التونسية ، كتاب مطبوع ، وأما كتاب الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب تم دراسته من قبل الباحث أحمد مصلح فايز البركاتي ، رسالة ماجستير (من أول سورة إبراهيم إلى آخر سورة سبأ) ، المملكة العربية السعودية ؛ وكذلك تم دراسته من قبل الباحث جمعان بن يونس بن جمعان السيالي ، اطروحة دكتوراه (من أول سورة ال عمران إلى آخر سورة الرعد) ، المملكة العربية

التسهيل والتقريب لرواية الجامع الصحيح، وله تفسير القرآن وذكر انه مات ولم يكمله[1].

ثانياً : علوم الحديث النبوي الشريف

كل شيء آثر عن الرسول(ρ) من قول أو فعل أو تقرير لشيء رآه، وتاتي مكانة الحديث عند المسلمين بعد القرآن الكريم مباشرة، إذ فيه تقرير لبعض الاحكام التي جاءت في القرآن فبينها الرسول(ρ) بالقول والعمل للمسلمين[2].

بدأت كتب الحديث تعرف طريقها نحو بلاد المغرب منذ أواخر القرن الثاني الهجري وازداد انتشارها فيما بعد، ويستفاد من بعض المصادر أن موطأ الأمام مالك بن انس قد دخل إلى تونس على يد علي بن زياد التونسي (ت183هـ) الذي سمع من مالك وسفيان الثوري[3]. وهو أول من أدخل جامع سفيان الثوري، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه، وهو معلم سحنون، ورحل إلى الحجاز والعراق[4].

وقد كان أهل القيروان ومنهم البهلول بن راشد يذهبون إلى تونس ليسمعوا من علي بن زياد[5]. فالكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين درسوا الموطأ برواية يحيى، وقد ذكر انه تم تدريس هذا الكتاب في مدينة تونس[6]. هذا لا يعني ان كتب الحديث

السعودية .

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج، 560/2 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 804/2-807 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 358/2-359 .

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص477 ؛ التليسي، الاتجاهات الثقافية، ص447 .

(3) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص251 ؛ المالكي، رياض النفوس، 234/1 ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 80/3-84 ،.

(4) المالكي، رياض النفوس، 234/1 .

(5) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص251-252 ؛ المالكي، رياض النفوس، 235/1 .

(6) العبدري، رحلة العبدري، ص491 و 520 ؛ القلصادي، رحلة القلصادي، ص121 .

الأخرى لم تنل نصيبها من الاهتمام، فقد ذكر أن أبا الحسن القابسي كان متكلماً في علم الحديث واصوله، وهو أول من أدخل صحيح البخاري إلى أفريقية[1].

وقد ذكر العبدري خلال زيارته إلى تونس ولقائه بمجموعة من الفقهاء والعلماء منهم الشيخ الفقيه ابن الغماز أحمد بن حسن (ت693هـ)، يذكر أنه سمع عليه من ((الموطأ وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي))[2] وفي مكان آخر وخلال لقائه الشيخ الفقيه ابن هارون الطائي القرطبي يذكر: ((فقرأت عليه بعض الموطأ رواية يحيى بن يحيى، وسمعت علية دولاً من صحيح مسلم وقد سمع جميعه))[3].

وان الحديث الشريف أحد أصلين قام عليهما التشريع الإسلامي باتفاق جميع المذاهب الإسلامية، وقد جعل أهل المغرب موطأ مالك من اصول كتب الحديث وكان في مدينة تونس وغيرها من المدن الأخرى[4]. ويعتبر من أهم الكتب ومن الطبيعي ان يكون الاعتماد عليه، إذ إن أهل أفريقية إتبعت المذهب المالكي، وان اهتمامات أهل المغرب بصورة عامة لا تقل عن اهتمامات أهل المشرق بالحديث بل ان أعداداً كبيرة من أهل مدينة تونس ممن تفوقوا في علم الحديث ووضعوا فيه المؤلفات[5].

أما عن أبرز رجال الحديث في مدينة تونس والذين كان لهم دور كبير في هذا المجال نذكر:

- أبو عبد الله بن صامت التونسي(ت332هـ)، يكنى أبا العباس، كانت له عناية

---

(1) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص99 ؛ التليسي، الاتجاهات الثقافية، ص452 .

(2) رحلة العبدري، ص491 .

(3) رحلة العبدري، ص115 .

(4) حسن، تاريخ الاسلام السياسي، 424/4 ؛ مقديش، نزهة الانظار، 118/1 .

(5) التليسي، الاتجاهات الثقافية، ص450 .

محمودة بالحديث والفقه والرجال، أخذ عن أبي جعفر بن نصر، ولقمان بن يوسف الغساني، كانت وفاته بتونس سنة 332هـ /943م[1].

– ابن مكي، أبو حفص عمر بن خلف الحميري المعروف بابن مكي(ت501هـ) الأمام اللغوي المحدث، قاضي تونس في عهد بني خراسان، فقيه وخطيب، له كتاب إسمه– تثقيف اللسان– وهو يدل على سعة إطلاعه وغزارة علمه، وهو من علماء الحديث واللغة، توفي بتونس ودفن بها سنة 501هـ/1108م[2].

– ابن الجلاّب، محمد بن أحمد المعروف بابن الجلاّب الفهري (ت664هـ)، اشبيلي الاصل، تونسي النشأة والسكن، كانت له عناية برواية الحديث ومعرفة رجاله، من مؤلفاته أشعار الأنام بأشعار المنام[3].

– الهواري، محمد بن عبد السلام بن يوسف(ت749هـ)، قاضي الجماعة بتونس، كان اماماً عالماً حافظاً، عالماً بالحديث والعربية. سمع من أبي العباس البطرني برع في الفقه وسائر العلوم الشرعية من تفسير وحديث، ولي قضاء الجماعة بتونس فكان لا تأخذه في الحق لومة لائم[4]. تتلمذ على يديه مجموعة كبيرة من الأعلام أشهرهم ابن خلدون وابن عرفة، من مؤلفاته تنبيه الطالب لفهم كلام ابن الحاجب[5]. توفى

---

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 22/6 .

(2) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن جلال الدين(ت911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، 218/2 ؛ ادريس، الدولة الصنهاجية، 414/2 ؛ (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان من تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، 1990) .

(3) محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، 46/2 ، (لم نقف على احوال هذا الكتاب) .

(4) ابن فرحون، الديباج المذهب، 329/2–330 ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، 406/1 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 747/2 .

(5) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص210 ؛ (تنبيه الطالب لفهم كلام ابن الحاجب ، دراسة

بمرض الطاعون الذي أصاب مدينة تونس سنة 749 هـ/1348م[1].

– الوادي آشي، محمد بن جابر بن قاسم، يكنى أبو عبد الله الوادي آشي (ت749هـ)، الوادي آشي نسبه إلى قرية وادي آشي من كورة البيرة بينها وبين غرناطة اربعون فرسخاً، انتقل إلى تونس وبها ولادته سنة 673هـ/1257 كان والده عالماً اديباً من كتاب الدولة. قرأ بتونس على شيوخها، امثال ابن الغماز وابن هارون، يعرف بصاحب الرحلتين[2]، أدى فريضة الحج وسمع من علماء الحجاز والعراق ومصر، كان من مشاهير القراء المحدثين، ويعرف بإمام المحدثين[3]، قرأ وحدث بالحرم النبوي الشريف، من مؤلفاته أحاديث الملاقاة والأربعون حديثاً البلدانية، كانت وفاته بتونس سنة 749هـ/1348م ودفن بمقبرة الزلاج[4].

– البرشكي، أحمد سليمان بن محمد العدناني البرشكي(ت780هـ) محدث وفقيه، اشتغل برواية الحديث وروى عنه، عبد الله بن مسعود بن القرشية وغيره من أهل تونس، من مؤلفاته ، حواشي على رياض الصالحين للنووي ، توفي بتونس سنة 780هـ[5].

– البرزلي، أبو القاسم بن أحمد اسماعيل(ت841هـ) ولد بالقيروان سنة 740هـ/1339م ثم قدم إلى تونس وسكنها ولازم الأمام ابن عرفة نحو ثلاثين سنة، فأخذ عنه الكثير من العلوم وقرأ عليه البخاري والموطأ وعلوم الحديث لابن الصلاح وغيرها. تولى عدة مناصب شرعية منها الأمامة والخطابة بجامع الزيتونة والافتاء،

وتحقيق ، عبير سليم حمود العمر ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى، 1427هـ) .

(1) ابن فرحون، الديباج المذهب، 2/329-330 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص88 .

(2) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص210 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 1/319-320 .

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ)، رحلة ابن خلدون، تح محمد بن تاويت الطنجي، ط2، لبنان، 2009، ص38-39 .

(4) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص210 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 1/319-320 .

(5) عبد الوهاب، كتاب العمر، 1/324 .

والاقراء بمدارس تونس[1]. الفقيه المفتي الحافظ، أحد الأئمة في المذهب المالكي مشهور في الفقه والنوازل حتى اطلق عليه لقب شيخ الاسلام، من أبرز مؤلفاته، جامع مسائل الاحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ويعرف باسم فتاوي البرزلي[2]، توفى في مدينة تونس سنة 841هـ/1440م ودفن بمقبرة الزلاج[3].

ثالثاً : الفقــه

يذكر ابن خلدون[4] :((الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحذر، والكراهة والاباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة ، فإذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها : فقه ، وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على اختلاف فيما بينهم)).

لقد عرفت مدينة تونس المذهب المالكي، الذي ساد أغلب مناطق المغرب العربي إذ يرجع الفضل بادخاله لتونس على يد علي بن زياد (ت183هـ) اثر رحلته إلى الحجاز وسماعه من الأمام مالك بن انس ((وهو أول من أدخل المغرب جامع سفيان الثوري وموطأ مالك ، وفسر لهم قول الأمام مالك ولم يكونوا يعرفونه)) [5]. وكان عدد من علماء القيروان يذهبون إلى مدينة تونس ليسمعوا من علي بن زياد الذي قام بتدريس كتاب الموطأ فيها[6]. وقد انتشر المذهب المالكي في أفريقية لا سيما بعد ان اعلن أمير أفريقية المعز بن باديس إنفصاله عن الخلافة الفاطمية في مصر، وفي هذا

---

(1) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص245 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 784/2 .

(2) التنبكتي، نيل الابتهاج، 368/1-369 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص245 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 785/2 .(وهذا الكتاب مستخدم في هذه الدراسة) .

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص139 .

(4) المقدمة ، ص482 .

(5) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص251؛ المالكي، رياض النفوس، 158/1؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، 80/3-84 .

(6) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص251-252؛ المالكي رياض النفوس، 235/1؛ العبدري، رحلة العبدري، ص491 .

السياق يذكر ابن الاثير[1] قائلاً: ((وهذا المعز أول من حمل الناس بأفريقية على مذهب الأمام مالك، وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة))، لكن المذهب الحنفي لم يعمر طويلاً بالمغرب وذلك لان أهل أفريقية كانوا يتحاشون المغامرة في أعمال الرأي خيفة من الوقوع في الزيغ والانحراف[2].

وعندما استولى الموحدون على مدينة تونس، وجدوا المذهب الوحيد الجاري به العمل المذهب المالكي ، إلا ان المذهب الموحدي كان يتعارض مع المذهب المالك حول نقطتين ، هما الأعتقاد في عصمة الأمام المهدي بن تومرت ، ورفض جميع الأعمال المتعلقة بالفروع والتي ضبطها الفقهاء التابعون لمختلف المذاهب السنية ومنها مذهب الأمام مالك ورجوعهم إلى الاصل أي إلى القرآن والسنة[3]. وقد كان يوجد بتونس عدد من معتنقي المذهب الظاهري[4].

اما عن أبرز فقهاء مدينة تونس منهم :

– البرجيني، عبد السلام بن عيسى القرشي(ت630هـ)، يكنى أبا محمد شهر البرجيني، نسبة إلى قرية البرجين بالساحل التونسي، قرأ في مدينة المهدية ثم تحول في اوائل الدولة الموحدية إلى سكن تونس وتقلد بها مناصب شرعية، درس بها العلوم الفقهية وتولى الخطابة في جوامعها، وله فتاوى مشهورة توفى سنة 630هـ/1230م[5].

– ابن علوان، عمر بن محمد بن علوان الهذلي، يكنى أبو علي (ت710هـ) [6]، الفقيه المفتي، من كبار فقهاء مدينة تونس وعلمائها تولى الافتاء بها ودرس بجامع الزيتونة فأخذ عنه كثيرون، كانت وفاته في تونس سنة 710هـ/1310م[7].

---

(1) الكامل في التاريخ، 319/7–320؛ التوزري، تاريخ التربية بتونس، 137/1 .

(2) التوزري ، تاريخ التربية بتونس، 91/1 .

(3) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 299/2؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص79 .

(4) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 301/2؛ الدولاتلي، مدينة تونس، ص79.

(5) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص168 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 707/2–708 .

(6) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص60 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 720/2 .

(7) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص205 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 720/2 .

–ابن عبد الرفيع، إبراهيم بن حسين بن علي بن الرفيع الربعي (ت733هـ)،ولد بتونس في سنة 639هـ، أخذ عن القاضي ابن عبد الجبار الرعيني السوسي، تولى التدريس بالمدرسة الشماعية، وتولى منصب قاضي الجماعة بتونس[1]. كان مداوماً على التدريس والاشتغال بالقضاء،توفى بمدينة تونس في شهر رمضان سنة 733هـ[2]،

– ابن قداح الهواري، عمر بن علي الهواري التونسي، يكنى أبا علي (ت734هـ) من كبار فقهاء القرن الثامن كان فقيهاً حافظاً لمذهب الأمام مالك تولى قضاء الانكحة بتونس، درس بالمدرسة الشماعية، وكان يحضر دروسه خلق كثير بجامع الزيتونة[3]، تولى قضاء الجماعة بتونس سنة 732هـ/1332، توفي بمدينة تونس سنة 734هـ[4].

–ابن عرفه، أبو عبد الله محمد بن عرفة (ت803هـ)، الفقيه الأمام العلامة، المقرئ أحد أعلام المذهب المالكي يسمى شيخ الشيوخ[5]. يكنى ابا عبد الله، ولد في تونس سنة 716هـ/1306م[6]. تلقى مختلف العلوم الشرعية، واللغوية ودرس بجامع الزيتونة بتونس، وانتخب للتدريس فأشتهر بغزارة العلم، وعظمت سمعته وأصبح أشهر عالم في مدينة تونس[7]، وفي سنة 773هـ أصبح مفتيها وذاع صيته وأشتهر علمه شرقاً وغرباً فأليه الرحلة في الفتوى والأشتغال بالعلم والرواية، وكان حافظاً لمذهب

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص70 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 730/2 .

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص70 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص207 .

(3) ابن فرحون، الديباج المذهب، 187/2 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص70 .

(4) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص70 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص207 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 735/2 .

(5) ابن فرحون، الديباج المذهب، 331/2 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص105 ؛ السخاوي، الضوء اللامع، 240/9 .

(6) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت1809هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح محمود الارناؤوط، ط1، دار بن كثير، دمشق– بيروت، 1986، 38/7 .

(7) ابن فرحون، الديباج المذهب، 331/2 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 762/2 .

الأمام مالك. توفى ابن عرفة بمدينة تونس سنة 803هـ/1398م ودفن بمقبرة الزلاج وقبره مشهور، وكان أفقه أهل المغرب، وبرع في الأصول والفروع[1].

وله من الشعر:

بلغت من الثمانين بل جزتها　　　منها على النفس صعب الحمام

واحاد عصري مضوا جملــــة　　　وعادوا خيالاً كطيف المنــــــام[2]

- الشماع، أحمد بن محمد الهنتاتي، شهر الشماع يكنى ابا العباس (ت833هـ) أحد فقهاء مدينة تونس حافظاً للمذهب المالكي أخذ عن ابن عرفة، اتصل بسلاطين بني حفص وتقدم عندهم، ولاه السلطان أبو فارس عبد العزيز الخطابة بجامع القصبة وقضاء المحلة، من مؤلفاته(مطالع التمام ومناجاة الخواص والعوام في رد القول باباحة غرم ذوي الاجرام) له قصائد في مدح السلطان أبو فارس عبد العزيز، وعند وفاة السلطان تولى ابن الشماع غسله وتكفينه وحزن عليه[3].

- القلشاني، عمر بن محمد بن عبد الله القلشاني، أبو حفص (733-847هـ/1333-1446م)، اصله من باجة، بيته مشهور بالعلم والصلاح أخذ عن والده ، والقاضي أبي مهدي عيسى الغبريني، برع في فنون كثيرة أهمها الفقه والمنطق مع معرفة بالحديث، ولي قضاء الانكحة بتونس، عمل بالتدريس والخطابة في عدد من مدارس تونس ومساجدها، إرتقى خطة قضاء الجماعة والأمامة بجامع الزيتونة سنة 846هـ/1445م، توفى سنة 847هـ/1446م ودفن بمقبرة الزلاج[4].

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص120 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص227 .

(2) النيفر، عنوان الاريب، 1/105-107 .

(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص16-18 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص128 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص244 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 2/773 .

(4) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص245-246 ؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، 1/412 .

- محمد بن عقاب، أبي عبد الله (ت851هـ)، الفقيه الأمام المحدث المقرئ العلامة القاضي أبي عبد الله محمد بن عقاب امام في الفقه واصوله وعلم الكلام تولى قضاء الجماعة بتونس، ودرس في مدارسها، وعمل اماماً بجامع الزيتونة[1].

رابعاً : الشعــر.

يقول ابن خلدون[2]: ((أعلم أن لسان لعرب على فنين في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية....فاما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء))، ولم يجد فقهاء مدينة تونس حرجاً من تعليم الشعر، وكان اغلبهم شعراء، ولكنهم يشترطون ان يكون الشعر بعيداً عن الفحش[3]، وهو من الفنون المستحب تعليمها للصبيان في الكتاب، حتى ذكر ((ولا بأس ان يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب واخبارها، وليس ذلك بواجب عليه)) [4].

والشعر هو أدب وفن وله تأثير حسن على النفس ويزيد ثقافة الأنسان، وقد إشتهرت مدينة تونس بنتاجها الثقافي والفكري بفضل مكانة شيوخها وعلمائها وما كانوا يتعاطونه من التعليم ويلقونه من دروس[5]. والشعر فن من فنون كلام العرب، وكان شريفاً عند العرب. لذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ومشاهد صوابهم واخطائهم،

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص142 ؛ القلصادي، رحلة القلصادي، ص118-128؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص246 .

(2) المقدمة، ص603 ؛ ينظر، بونار، رابح ، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر ،1969 ، ص289 .

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص120-121 ؛ التوزري، تاريخ التربية بتونس، 108/1 ؛ النيفر، محمد، عنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم اديب، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1351هـ، 67/1-68 .

(4) ابن سحنون، اداب المعلمين، ص102 .

(5) بو يحيى، الحياة الأدبية بأفريقية ، 472/2 ؛ التوزري، تاريخ التربية بتونس، 108/1 .

واصلاً يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم[1].

وقد ذهب القاضي أبو بكر ابن العربي (ت542هـ) بان يكون تعليم العربية والشعر مقدمةً على سائر العلوم الأخرى، إذ قال : ((لان الشعر ديوان العرب ويدعو على تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة، ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى قوانينه ثم ينتقل إلى درس القرآن فانه يتيسر عليك بهذه المقدمة))[2]، وهذا ما استحسنه ابن خلدون لكنه تحفظ في هذا قائلاً: ((وهو لعمري مذهب حسن الا ان العوائد لا تساعد عليه وهي املك بالأحوال))[3] .

ويذكر لنا ابن خلدون بعض المؤلفات الشعرية التي درسها في مدينة تونس، وقد درس فيها على يد ((امام العربية والأدب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر، لازمت مجلسه، وافدت عليه، وكان بحراً زاخراً باللسان، واشار عليَّ بحفظ الشعر، فحفظت كتاب الاشعار الستة والحماسة للأعلم، وشعر حبيب، وطائفة من شعر المتنبي ومن اشعار كتاب الأغاني))[4]. ومن أبرز شعراء مدينة تونس نذكر:

- علي بن محمد الأيادي، يُعد من الشعراء الذين عمروا طويلاً، نشأ وتربى في مدينة تونس، عاصر الخلفاء الفاطمين الاربعة(296-362هـ)، وقد قام بخدمة الفاطمين من خلال أشعاره، ومن أشعاره حين حصار مدينة المهدية من قبل أبو يزيد مخلد بن كيداد، حيث قال:

جاءتكَ صادقةَ المخائـــــلِ   طوعَ الجنائبِ والخمائلِ

مرهاءَ دانيةَ الربـــــــــاب   تكادُ تلمسُ بالأنامـــــلِ[5]

ويصف اسطول الفاطمين قائلاً:

اعجبُ باسطولِ الأمام محمّد   ولحسنهِ وبزمانهِ المستعذبِ

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص606 .

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص577 ؛ التوزري، تاريخ التربية بتونس، 106/1 .

(3) المقدمة، ص577.

(4) المقدمة، ص38 .

(5) التليسي، الاتجاهات الثقافية، ص305-306 .

لبِستْ به الامواجُ احسنَ منظرِ يبدو لعينِ الناظرِ المتعجبِ[1]

- الفِراسي، عبد الرحمن بن محمد الفِراسي (ت408هـ) من قرية تعرف بني فراس جوار تونس، إليها ينسب، عاش بتونس، وكان شعره ينم عما يتسم به صاحبه من سوء خلق وطابع عدواني[2]. ولم يذكر له من الشعر أي شيء.
- محرز بن خلف (ت413هـ) يسمى مؤدب تونس وسلطان المدينة، نشأ بتونس وعن علمائها أخذ العلم والأدب، كان عالماً فقيهاً غلب عليه الزهد والعبادة، فضلاً عن هذا كان شاعراً، وكان يغلب على شعره الجانب الديني والوعظ. ومن شعره وقد مرّ على مدينة قرطاجنة فرأى من خرابها وخلوها من احبابها فقال واعظاً نفسه:

انظرُ إلى الاطلالِ كيفَ تغّيرتْ من بعد سكانها وكيفَ تنكرتْ
سحبَ البلا إذيالهُ برسومِهـــا فَتَساقطت احجارُها وتكسـُرتْ
ومضَت مجامِعُ أهلها لسبيلهم فتغيّرتْ اخبارُهم وتسكـــــرّتْ[3]

- حازم القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني(ت684هـ)، الشيخ النحوي الشاعر الكاتب، ولد بقرطاجنة الخلفاء، بالأندلس سنة 608هـ/1211م ونشأ بها وأخذ العلم عن الكثير من شيوخها منهم أبو رشيد الفهري، غادر الأندلس إلى مراكش ومن بعدها إلى تونس والتي استوطنها وأستقر بها، عين في ديوان الانشاء، له مؤلفات مثل، كتاب منهاج البلغاء[4]. من أشعاره:

---

(1) ابن الابار، الحلة السيراء، 285/1 .
(2) بو يحيى، الحياة الأدبية بأفريقية ، 133/1-134 .
(3) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 264/7 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص203 ؛ بو يحيى، الحياة الأدبية بأفريقية، 155/1 ؛ النيفر، عنوان الاريب، 35/1-36 .
(4) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(1041هـ)،نفح الطيب من غصن الأندلس

الحمد لله معلي قدرَ من عَلِما وجاعلُ العقلَ في سبيل الهدى علما
ثم الصلاةُ على الهادي لسنتّهِ محمد خيرُ مبعوث به اعتصمـــا[1]

وكذلك له شعر في سنة 665هـ/1265م عندما اكمل الأمير المستنصر(647-675هـ) بناء حنايا ماء زغوان المجلوبة للماء، قسم منها إلى سقاية جامع الزيتونة وقسم منها إلى بستانه أبي فهر، قال حازم القرطاجني في ذلك:

اجريتُ من عين ومن عين بهـا عينين قد عم البرايا والبرى
وانساب في قصرِ أبي فهر الذي بكلّ قصرٍ فالجمالِ قد زرى.[2]

- أبو إبراهيم إسحاق بن حسينه التونسي(ت707هـ) نشأ بتونس وأخذ العلوم والأدب عن علمائها، عمل في سلك كتاب الدولة ذهب مع الأمير أبو يحيى زكريا سنة 706هـ/1306م لفتح جزيرة جربة[3]، ثم أذن له بالرجوع إلى تونس سنة 707هـ/1307م ومن شعره يودع السلطان ويعتذر عن فراقه:

سخا بِنَفسي عن ايثارِ صُحبَتِكم يومَ الوداعِ ومالي منكُم خلــفُ
الاَّ فريداً كطيرٍ حلَّ في قفـــصِ ودمعهُ مثل منهلِ الحياة يكــفُ
اكفّها عَنْ مجاريها فيبعثُهـــــا حادٍ من الوجدِ يحدوها فلا تَقِفُ[4]

- الأمير أبو زكريا يحيى(627-647هـ/1230-1249م) أمير تونس، كان

الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح احسان عباس، ط1، دار صادر بيروت، 1979، 584/2-589 ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 676/7 .

(1) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب(ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح محمود محمد الطناحي، ط2، الناشر هجر للطباعة والتوزيع، 1412هـ، 294/9.

(2) ابن القنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص127-128؛ ابن الشماع، الأدلة البينة،ص68.

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص56 .

(4) النيفر، عنوان الاريب، 92/1-93 .

شاعراً، ومما أشتهر من شعره يرثي ولي عهده بقوله:

الا جازعٌ يبكي لفقد حبيبـــــــهِ	***فاني لعمري قد اضر بي الثكلُ***
لقد كان لي مالٌ وأهل عدمتهـم	***فها انا لا مالٌ لديَّ ولا أهل***
سأبكي وارثي حسرةٌ لفراقهـــــمْ	***بكاءَ قريحٍ لا يملُ لا يسلــــو***
فلهفي ليوم فرقَ الدهرُ بيننـــــا	***الا فرجُ يرجى فينتظم الشمـلُ***
واني لأرضى بالقضاءِ وحكمـــهِ	***وأعلم ربي بانه حاكمٌ عــــدلُ*** [1]

وللأمير المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) اهتمامات بالشعر فنجد انه عندما مرض الفقيه ابن سيد الناس الأشبيلي(ت659هـ) ولمكانته عند الأمير وعلو شأنه، وكان من خواص مجلسه فعندما مرض بعينيه، ولزم داره واحتجب مدة من الزمن فخاطبه الأمير مستفسراً عن حاله قائلاً:

ما حالُ عينيكَ يا عين الزمانِ فقد	***اورثتني حزناً من اجل عينيكـا***
وليس لي حيلةٌ غير الدعاءِ فيـــا	***رب براوي الصحيحين حنانيكا*** [2]

خامساً : النثــر

يذكر ابن خلدون[3] بان: ((النثر وهو الكلام غير الموزون..... ويشتمل على فنون، فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ويلزم في كل كلمتين منه قافية وأحدة يسمى سجعاً، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقاً ولا يقطع اجزاءً بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم)).

ويراد بالنثر الفني، النثر الذي يعنى به الكاتب بترتيب المعاني وتنسيق الافكار وتنميق العبارة ليسديها جمالاً يبعث في نفس قارئه الاعجاب به، والنثر انواع منه النثر

---

(1) النيفر، عنوان الاريب، 64/1 .

(2) عبد الوهاب، كتاب العمر، 305/1 .

(3) المقدمة، ص603 .

الفني الديواني وهو ما يصدر، عن الأمراء والخلفاء حول شؤون الدولة مثل المنشورات والمعاهدات، وولايات العهد، ومراسلات وغيرها من الأمور السياسية والادارية للدولة، وكذلك النثر الاجتماعي مثل الرسائل الاخلاقية، ووصف الجماعات وغيرها، وكذلك النثر السياسي الذي يتعلق بالشؤون السياسية، واخيراً النثر الأدبي وهو ما كتب عليه في الأدبيات كالوصف ونقد الشعر والنثر والقصص والمقامات والأسفار والرسائل الاخوانية وغيرها[1].

وقد ذهب الكُتّاب بصورة تكاد تكون مطلقة إلى فن آخر يختلف عن تلك الفنون الا وهو الترسل الخاص أو العام، وقد ساعد على نشر هذا الفن الأدباء الأندلسيون الذين وفدوا إلى تونس بأعداد كبيرة بل انهم عملوا على انتشار الميل إلى تحرير الرسائل بأسلوب راقٍ، سواء منها الصادرة عن الخواص او الدوائر الرسمية للدولة، وقد كان للكاتب الانيق التعبير، الأديب البلنسي أبو خطاب عمر بن حسن بن دحية الكلبي(ت633هـ)، دور كبير في هذا الجانب حتى ذكر الغبريني، بأني رأيت في كلامه الكثير في رسائل ومخاطبات ((كلها مغلقات مقفلات))[2]. وكذلك كان لابن الآبار (ت658هـ) وأبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي(ت658هـ)من أهل الأندلس، دور كبير في هذا الفن فقد تقلد خطة الكتابة في الأندلس واستدعاه الأمير الحفصي المستنصر بالله (647-675هـ) والحقه بأعضاء حاشيته فصار معروفاً لدى الخاصة والعامة ولقب بتاج الأدباء[3]. فكانت رسائله النثرية ولاسيما منها الموجه إلى الأمراء او المحررة باسمهم ((يضرب بها المثل وقد نشرت مجموعة منها، بعنوان تقيد الرسائل)) وكانت وفاته بتونس[4].

---

(1) بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص287.

(2) عنوان الدراية، ص269-278 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 420/2 .

(3) الغبريني، عنوان الدراية، ص298 .

(4) الغبريني، عنوان الدراية، ص298-301 ؛ التجاني، رحلة التجاني، ص90-91 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 420/2-421 .

وفي هذا المجال نذكر الرسالة التي بعث بها الفقيه محرز بن خلف(ت413هـ)إلى باديس بن المعز (386-406هـ/996-1016م) أمير أفريقية حيث ورد على الفقيه محرز، أحد تلاميذه من طلبة العلم مستجيراً به من مظلمة أصابته من الأمير باديس، فأخذ محرز بن خلف قرطاساً وكتب بسم الله الرحمن الرحيم ((حقق الله الحق في قلوب العارفين من عباده، ونقل المذنبين إلى ما افترض عليهم من طاعته. أنا رجل قد عرف كثير من الناس إسمي، وهذا من البلاء. وأنا أسأل الله أن يتغمدني برحمة منه، وفضل. وربما جاء المضطر يسأل الحاجة، فإن تأخرت خفت، وإن سارعت، فهذا أشرّ. وقد كتبت إليك في مسألة رجل من الطلبة، طولب بدراهم ظلماً، ولا شيء له. وحامل رقعتي يشرح لك ما جرى، فعامل فيه مما لابد من لقائه، واستح ممن هو وحده. وشاور في أمرك الذين يخافون الله تعالى، وإحذر بطانة السوء. فإنهم إنما يريدون دراهمك ويقرّبون من النار لحمك ودمك، فاحفظ، تحفظ واتق الله، فإن من يتق الله يجعل له من أمره يسرا، ومن يتق الله يجعل له مخرجا، واستعن بالله، فأنه من يتوكل على الله، فهو حسبه، واستكثر من الزّاد، فقد دنا الرحيل والسلام.))[1]

وكذلك وصية الأمير أبو زكريا يحيى (627-647هـ/1230-1249م) إلى ولي عهده المستنصر بالله وهذه الوصية سياسية وأدبية، تصلح لكل الاوقات ((أعلم سدّدك الله وأرشدك، وهداك لما يرضيه وأسعدك، وجعلك محمود السيرة، مأمون السريرة. إن أول ما يجب على من استرعاه الله في خلقه، وجعله مسئولا عن رعيته في جل أمرهم ودقه، أن يقدّم رضي الله عز وجل في كل أمر يحأوله، وأن يكل أمره وحوله وقوّته لله، ويكون عمله وسعيه وذبّه عن المسلمين، وحربه وجهاده للمؤمنين، بعد التوكل عليه، والبراءة من الحول والقوة إليه. ومتى فاجأك أمر مقلق، أو ورد عليك نبأ مرهق، فريّض لبّك، وسكن جأشك، وارع عواقب أمر تأتيه، وحاوله قبل أن ترد عليه وتغشيه. ولا تقدم إقدام الجاهل، ولا تحجم إحجام الأخرق المتكاسل. وأعلم أن الأمر إذا ضاق مجاله، وقصر عن مقاومته رجاله، فمفتاحه الصبر والحزامة والأخذ مع عقلاء الجيش ورؤسائهم، وذي التجارب من نبهائهم. ثم الإقدام عليه، والتوكّل على الله فيما لديه، والإحسان لكبير جيشك وصغيره الكثير على قدره، والصغير على قدره. ولا تلحق الحقير بالكبير فتجري الحقير على نفسك،

---

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 267/7-269 ؛ ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص206 .

وتغلّطه في نفسه وتفسد نيّة الكبير وتؤثره عليك، فيكون إحسانك إليه مفسدة في كلا الوجهين، ويضيع إحسانك وتشتت نفوس من معك.

واتّخذ كبيرهم أبا وصغيرهم ابنا، وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ وَشاوِرْهُمْ في الْأَمْرِ، فَإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله، إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ. واتخذ نفسك صغيرة، وذاتك حقيرة، وحقّر أمورك، ولا تستمع أقوال الغالطين المغلطين، بأنّك أعظم الناس قدرا، وأكثرهم بذلا، وأحسنهم سيرة وأجملهم صبرا، فذاك غرور وبهتان وزور.

وأعلم أنّ من تواضع لله رفعه الله. وعليك بتفقّد أحوال رعيّتك والبحث عن عمّالهم والسؤال عن سير قضاتهم فيهم، ولا تنمّ عن مصالحهم، ولا تسامح أحدا فيهم. ومهما دعيت لكشف ملمّة فاكشفها عنهم، ولا تراع فيهم كبيرا ولا صغيرا إذا عدل عن الحق. ولا تراع في فاجر ولا متصرف إلّا ولا ذمّة، ولا تقتصر على شخص وأحد في رفع مسائل الرعيّة والمتظلمين، ولا تقف عند مراده في أحوالهم.

واتخذ لنفسك ثقات صادقين مصدقين، لهم في جانب الله أوفر نصيب، وفي رفع مسائل خلقه، إليك أسرع مجيب. ... وإذا رفع إليك أحد مظلمة، وأنت على طريق، فأدعه إليك وسله حتى يوضح قصته لك، وجاوبه جواب مشفق مصغ إلى قوله...

وأعلم أن دماء المسلمين وأموالهم حرام على كل مؤمن بالله واليوم الآخر إلّا في حق أوجبه الكتاب والسنّة، وعضّدته أقاويل الشرعية والحجة، ... واجعل الموت نصب عينيك، ولا تغتر بالدنيا وان كانت في يديك، لا تنقلب إلى ربك إلا بما قدمته من عمل صالح ومتجر في مرضاته رابح.

وأعلم أن الإيثار أربح المكاسب وأنجح المطالب، والقناعة مال لا ينفد... وأرجو بك متى جعلت وصيّتي هذه نصب عينيك، لم تعدم من ربّك فتحا ييسّره على يديك، وتأييدا ملازما لا يبرح عنك إلّا إليك، بمنّ الله وحوله وطوله، والله يجعلك ممن سمع فوعى، ولبّى داعي الرشد إذ دعا، أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.))[1]

(1) ابن خلدون، التاريخ، 6/295-297 .

سادساً : التاريخ

يذكر ابن خلدون[1] قائلاً: ((أعلم أن فن التاريخ، فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في اخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا)).

لم يكن لعلم التاريخ ذلك الأهتمام الكبير في بداية نشأة مدينة تونس، لان التركيز كان منصباً على العلوم الشرعية، سواء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه، فضلاً عن أن أغلب العلماء والفقهاء إستقروا في مدينة القيروان التي كانت حاضرة البلاد. فكان ظهور المؤلفات التاريخية في مدينة القيروان، مثل كتاب طبقات علماء أفريقية لأبي العرب تميم(ت333هـ)وتاريخ أفريقية والمغرب للرقيق القيرواني(ت417هـ) وغيرها. وبعد ان أصبحت مدينة تونس حاضرة البلاد نشطت فيها الكتابات التاريخية، وبرز العديد من العلماء والمؤرخين الذين اهتموا بالمؤلفات التاريخية، نذكر منهم:

- ابن نخيل، محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن نخيل الأندلسي (ت618هـ/1222م) نزيل تونس، الأديب، الكاتب، المؤرخ، كان كاتباً عند والي أفريقية من قبل الموحدين، أبو محمد عبد الواحد الحفصي(603-618هـ)، ألفَ كتاباً سماهُ تاريخ ابن نخيل[2]. ودوْنَ فيه أخبار أمراء الطوائف في عهد إنحلال الدولة الصنهاجية، وتحدث فيه عن الدولة الموحدية، وعن الأحداث التي وقعت بتونس عندما كانت تابعة للموحدين إلى عهد المولى أبو محمد عبد الواحد

---

(1) المقدمة، ص21 .

(2) ابن الابار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ)، اعتاب الكتاب، تح صاالح الاشتر ، ط1 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1961، ص235 ؛ التجاني، رحلة التجاني، ص147 ؛ ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص105 ؛ (تاريخ ابن نخيل ، لم نقف على احوال هذا الكتاب) .

الحفصي[1]. وقد نقل عنه عدد من المؤرخين منهم ابن خلدون في كتابه العبر، والزركشي في كتابه تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية[2].

- البياسي، أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت653هـ/1255م) من أهل الأندلس، كان اديباً بارعاً، مؤلف كتاب الحماسة، وله كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل، كتب للأمير أبو زكريا يحيى(627-647هـ) كتاباً سماهُ-الأعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام- ابتدأ فيه من مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية، وتحدث في هذا الكتاب عن الحروب الداخلية في بلاد الإسلام، وهو يتألف من مجلدين[3].
- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت658هـ/1260م) يكنى أبا عبد الله، الحافظ العلامة، الأديب، الكاتب، ولد سنة 595هـ، كان بصيراً بالرجال، عالماً بالتاريخ، إماماً في العربية, فقيهاً[4].

من مؤلفاته التكملة لكتاب الصلة ، والحلة السيراء في تاريخ امراء المغرب والأندلس وعلمائه من القرن الأول الهجري إلى القرن السابع الهجري، وله كتاب تحفة القادم[5].

---

(1) محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 5/30-32 .

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص10 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 5/31 .

(3) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 7/238 ؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح، مجموعة من المؤلفين باشراف شعيب الارناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985، 23/339 ؛ ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص119 ؛ ابن الشماع، الأدلة البينة، ص10 .

(4) ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن(ت764هـ)، فوات الوفيات، تح، احسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1974، 3/404-405 .

(5) الغبريني، عنوان الدراية، ص261 . (وهي كتب مطبوعة ومستخدمه في الاطروحة) .

- ابن الطوّاح، عبد الواحد بن محمد(كان حياً 714هـ/1314م)، يكنى أبو محمد التونسي، من أهل مدينة تونس، له كتاب سبك المقال لفك العقال، يحتوي على تراجم المشاهير من العلماء والأدباء[1].
- ابن عبد البر التنوخي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم (ت737هـ/1337م)، كان اماماً بجامع الزيتونة، وخطيباً بجامع القصبة، له عناية بالتاريخ والرواية، اختصر ذيل السمعاني، واقتضب تاريخ الغرناطي، وألف تاريخاً على طريقة الطبري مرتباً حسب السنين، ابتدأهُ من سنة البعثة النبوية إلى زمنه، ووضعه في ستة أسفار[2].
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي(ت808هـ/1405م)، ولد بمدينة تونس سنة 732هـ/1332م[3]. عكف على التأليف إذ ألفَ كتابه المشهور، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وقدمه للسلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز(796-837هـ)، وله كتاب المقدمة ورحلة ابن خلدون[4].
- ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن القسنطيني(ت810هـ/1407م)، من مؤرخي الدولة الحفصية، من مؤلفاته، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، والذي أهداه إلى السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ)، وهذا

---

(1) محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 283/3 .(وهو كتاب مطبوع ومستخدم في الدراسة).

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص74 ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، 220/1-221 .

(3) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين(ت911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، مصر، 1967، 462/1 .

(4) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص14 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 408/2-410 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 216/2 . (كتب بن خلدون مطبوعة ومستخدمة في الدراسة) .

الكتاب كان خاصاً بالدولة الحفصية. وله مؤلفات أخرى منها، أُنس الفقير وعز الحقير، وكذلك كتاب الوفيات[1].

- ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماع(ت861هـ/1457م)، شغل ابن الشماع خطة قضاء المحلة في عهد السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان(839-893هـ/1435-1488م) وقد ألف كتابه المشهور، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية[2].
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(ت932هـ/1525م)، ألف كتاباً في التاريخ سماهُ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ويعتبر هذا الكتاب تاريخ موجز للمغرب منذ بداية القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري، ويركز الحديث في كتابه هذا على الدولة الموحدية والدولة الحفصية، إذ كان شاهداً على جزء من أحداثها، وتناول في كتابه ذكر أحداث سنة 882هـ/1477م. وهذا الكتاب منظم حسب السنين، فهو من كتب الحوليات[3].

سابعاً : الجغرافية:

إن أبرز من كتب في هذا المجال، أبو محمد عبد الله بن محمد التجاني (ت717هـ/1316م)، الأديب التونسي، صاحب رحلة التجاني، الذي قام برحلته داخل أفريقية، وقد وصف التجاني في رحلته الطرق التي سلكها بكل عناية ودقة، وابدى ملاحظات عديدة سواء حول المواقع والظروف الطبيعية والمنتوجات وحول السكان والقبائل والسكن، ولا تخلو الرحلة من الإشارات التاريخية[4].

---

(1) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص40-41 ؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 414/2 .(وهذه الكتب مطبوعة ومستخدمه في هذه الدراسة).

(2) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص19 ؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 210/3 .

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص1؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 415/2-416.

(4) برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 417/2 .(رحلة التجاني : كتاب مطبوع مستخدم في هذه الدارسة) .

الخاتمة

لقد كشفت الدراسة عن جملة نتائج أهمها :

1- أن بناء المدينة في بداية الأمر، كي تكون محرساً للعرب المسلمين في القيروان(الحاضرة) ولصد هجمات الروم البيزنطين البحرية وابعاد خطرهم، ثم أصبحت المدينة ميناءً بحرياً اسلامياً، تنطلق منها الغزوات .

2- لم تنل مدينة تونس الأهتمام الكافي عندما أصبح الفاطميون أُمراء أفريقية، لان مدينة تونس كان ينظر لها بانها مركز المعارضة للخلفاء الفاطميين، لكن هذا لا يمنع تطور المدينة وازدهارها في الجوانب الأخرى فقد أشاد بها الرحالة الذين زاروها في تلك الحقبة .

3- كما كشفت الدراسة بان مدينة تونس كان يسكنها أجناس بشرية مختلفة سواء عن طريق الحملات الأولى مع العرب المهاجرين من عرب المشرق، وكذلك عرب المغرب (البربر) فضلاً عن أجناس أخرى من الروم البيزنطين والعبيد واليهود والنصارى والأندلسيين، الذين هاجروا واستقروا بها بعد هجرات متتالية اثر سقوط المدن الأندلسية، وشكلوا عناصر بشرية متجانسة فيما بينها ساعدت على تطور المدينة بمختلف المجالات واتسعت المدينة لتشمل هؤلاء جميعاً.

4- تعرض مدينة تونس إلى ثورات وغزوات أدت إلى دمارها لمدة من الزمن لكنها سرعان ما استعادت عافيتها ونهضت من جديد لتواصل دورها السياسي والحضاري. ومن هذه الثورات ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد سنة 333هـ/944م، وكذلك غزو قبائل بني هلال وبني سليم وكذلك ثورة بني غانية 600-602هـ/1023-1025م، وتعرضت إلى الحملة الصليبية الثامنة في سنة 668-669هـ/1270-1271م وبعدها تسلط الدعي ابن مرزوق المسيلي واحتلالها مدة من الزمن 681-683هـ/1283-1285م وتعرضت إلى سيطرة بني مرين 748-750هـ /1347-1349م.

5- أصبحت مدينة تونس إمارة مستقلة في عهد بني خراسان، واخذت بالتطور

والأزدهار بعد أن عانت الحاضرة القيروان من الخراب والدمار نتيجة غزو قبائل بني هلال وبني سليم.

6- أظهرت الدراسة ازدهار مدينة تونس بالجانب الاقتصادي سواء بالزراعة او الصناعة او التجارة، فكانت زراعتها عامرة ومن كل أصناف المزروعات والفواكه، واشتهرت بأنواع معينة من الصناعات منها النسيج وكذلك صناعة الزيوت النباتية والصناعات الخزفية وصناعة العطور، وفي مجال التجارة كانت لتونس علاقات تجارية مع صقلية والمدن الايطالية، ومصر والأندلس. وقد شهدت المدينة رواجاً تجارياً وما تطور الأسواق والفنادق إلاّ دليل على ذلك.

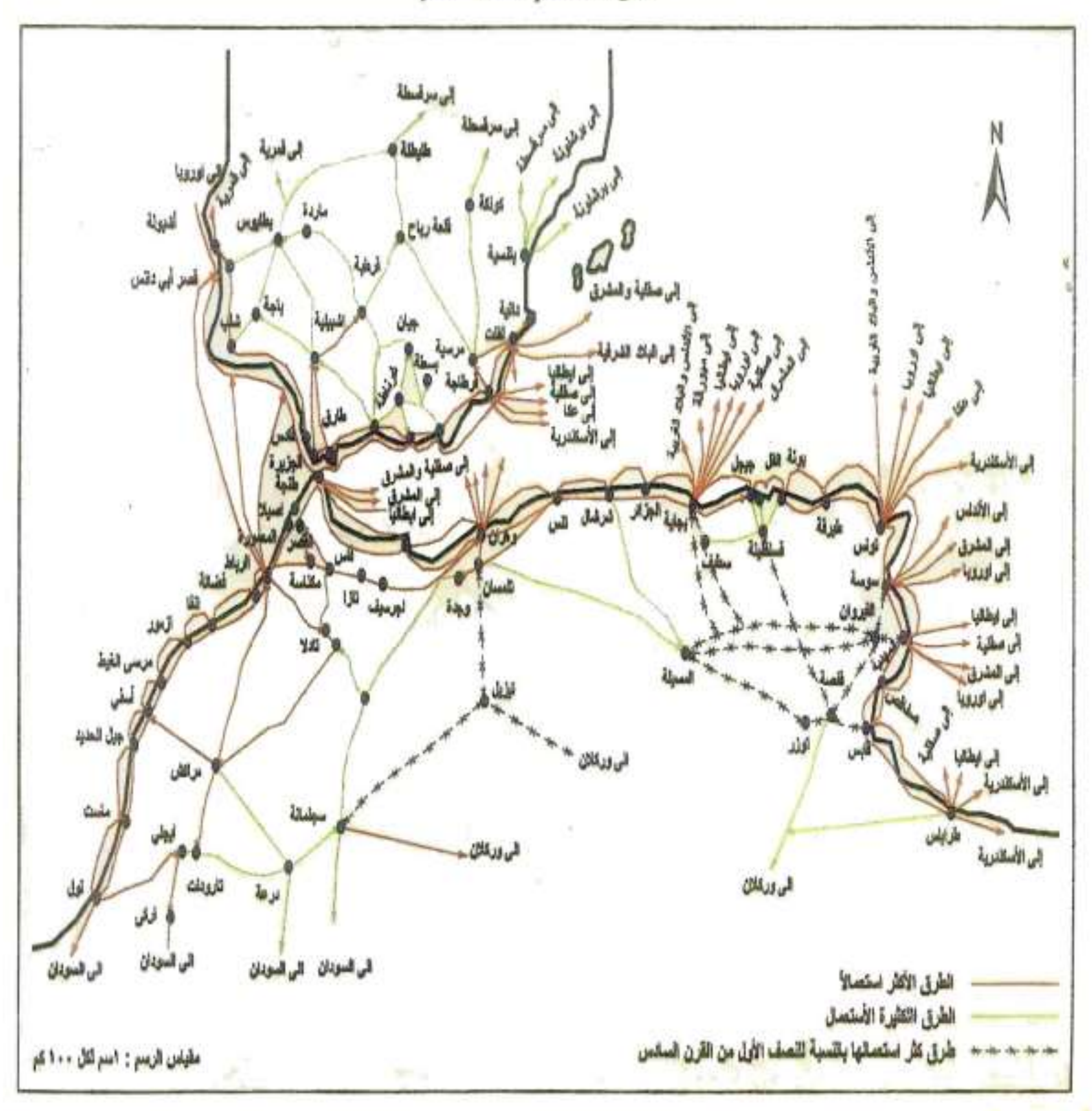
7- كشفت الدراسة بان لمدينة تونس من المظاهر الحضارية والعمرانية ما يدل على ازدهارها فكانت تحتوي على مجموعة من المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات والحمامات وغيرها من المظاهر العمرانية، وهذا له أهمية في حياة المدينة سواء الدينية والفكرية والاجتماعية.

8- وصول عدد كبير من العلماء والفقهاء من أهل الأندلس ومن مدن المغرب الأخرى إلى مدينة تونس لكي يسهموا في بث الوعي الديني والفكري. وقد شهدت المدينة نهضة فكرية وعلمية وقد كان أساسها الدراسات القرآنية والحديث النبوي الشريف، وتطورت وأصبحت تشمل كل العلوم والمعارف.

9- أن مدينة تونس اخذت بالتطور والازدهار بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول سنة 656هـ/1258م، فبعد وصول بيعة أهل الأندلس ومدن المغرب كافة ، وكذلك وصول بيعة مكة، أصبحت مدينة تونس مقراً للخلافة العربية الإسلامية في عهد الخليفة المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م) والذي تلقب بلقب أمير المؤمنين.

الملاحـ
ق

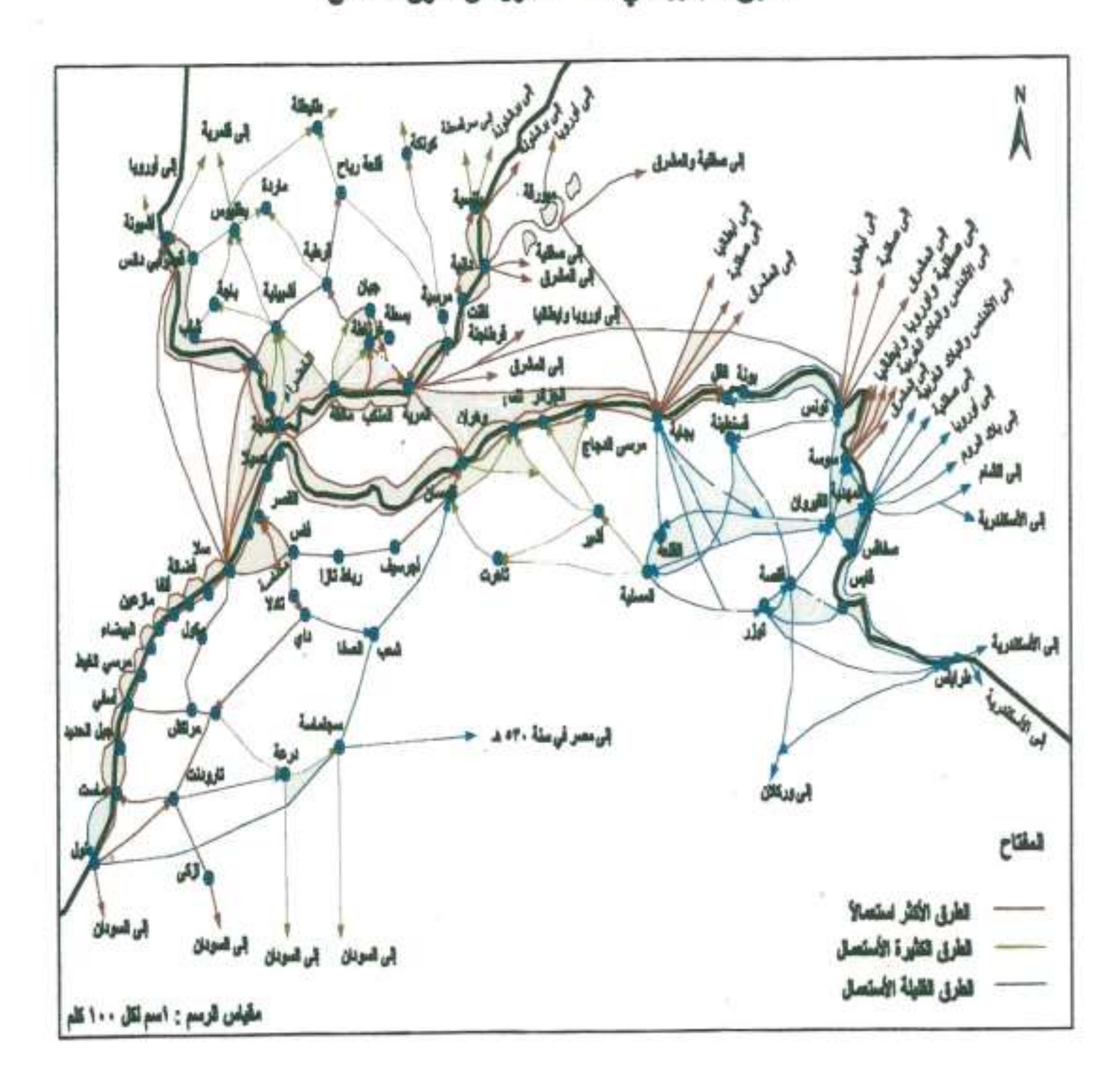
الطرق التجارية في العصر الموحدي



ملحق رقم (1)

موسى، النشاط الأقتصادي، ص310 .

الطرق التجارية في النصف الأول من القرن السادس



ملحق رقم (2)

موسى، النشاط الأقتصادي، ص309 .

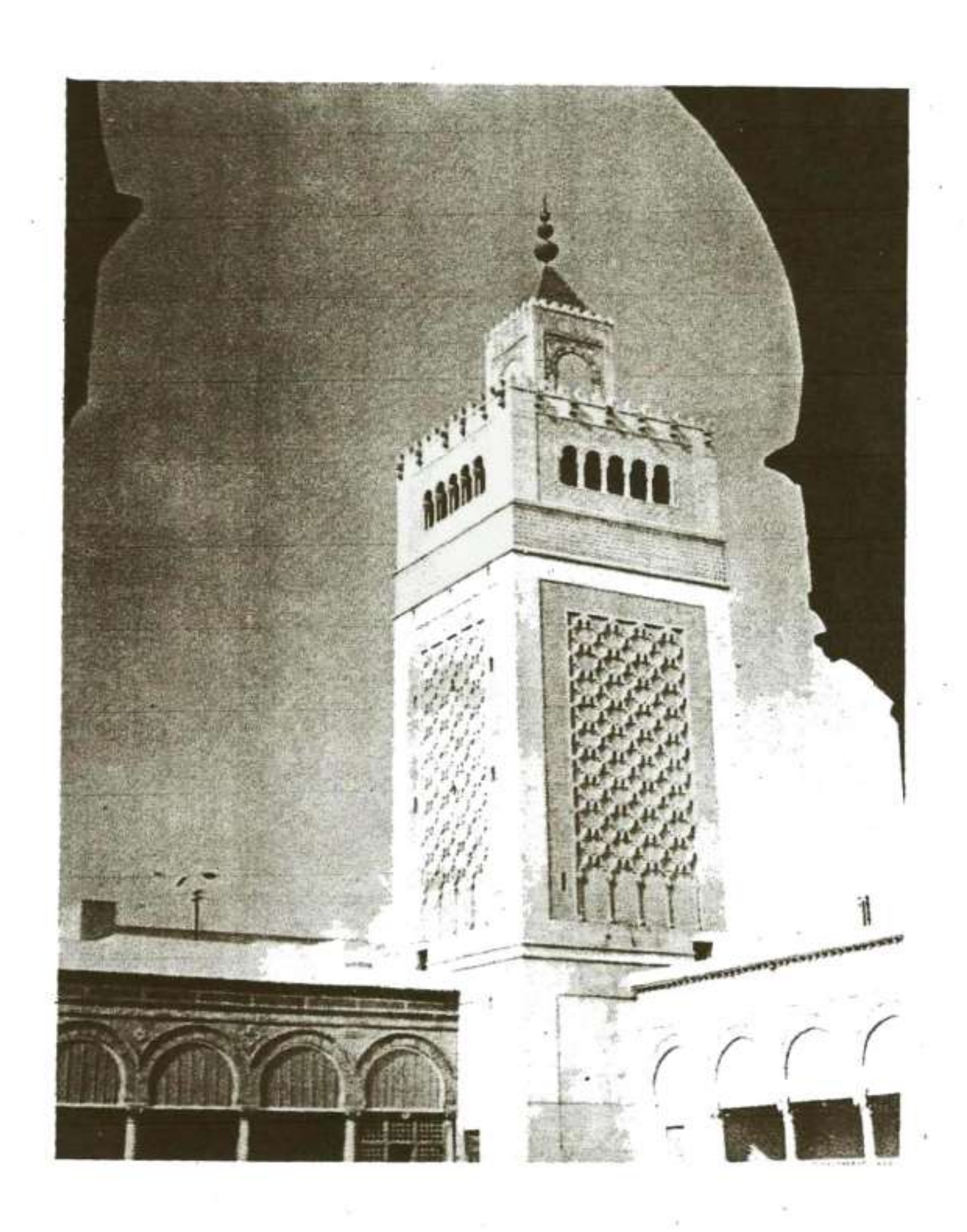
ملحق رقم (3)



المدخل الرئيسي للجامع الأعظم

ملحق رقم (3)

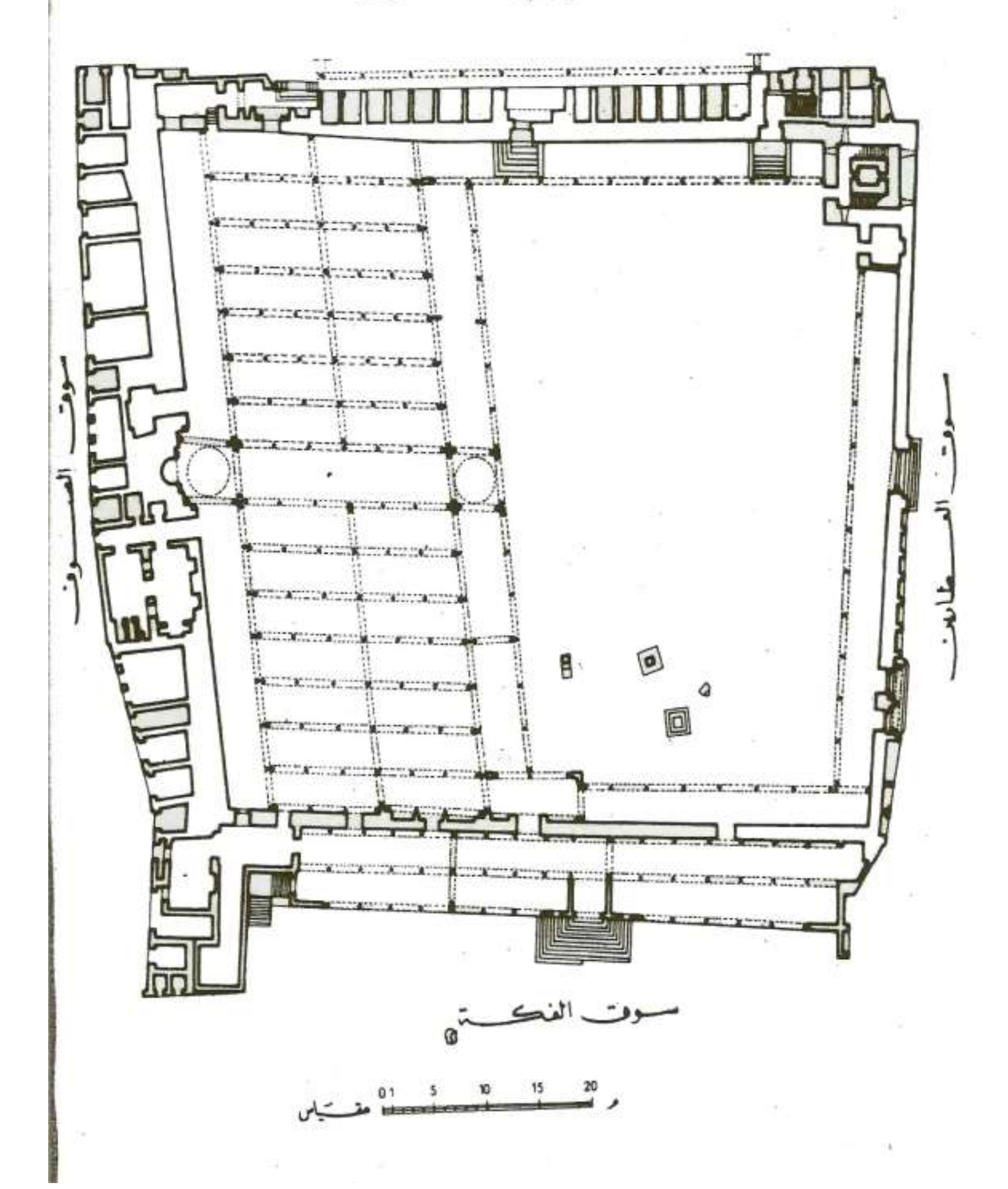
الحشائشي، جامع الزيتونة، ص26 .



صومعة جامع الزيتونة من الداخل

ملحق رقم (4)

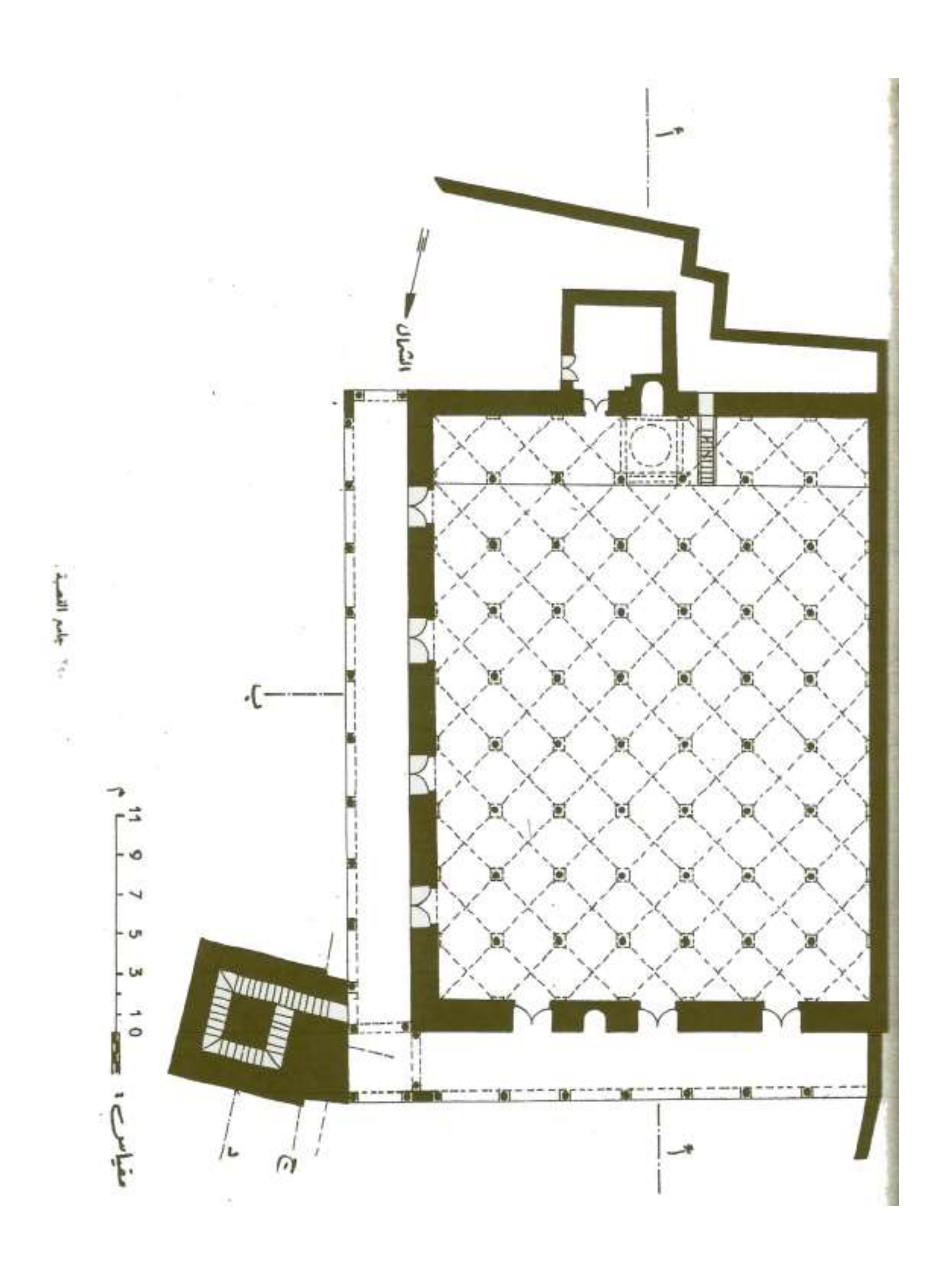
الحشائشي، جامع الزيتونة، ص22 .



مخطط جامع الزيتونة.

ملحق رقم (5)

الحشائشي، جامع االزيتونة، ص14 .

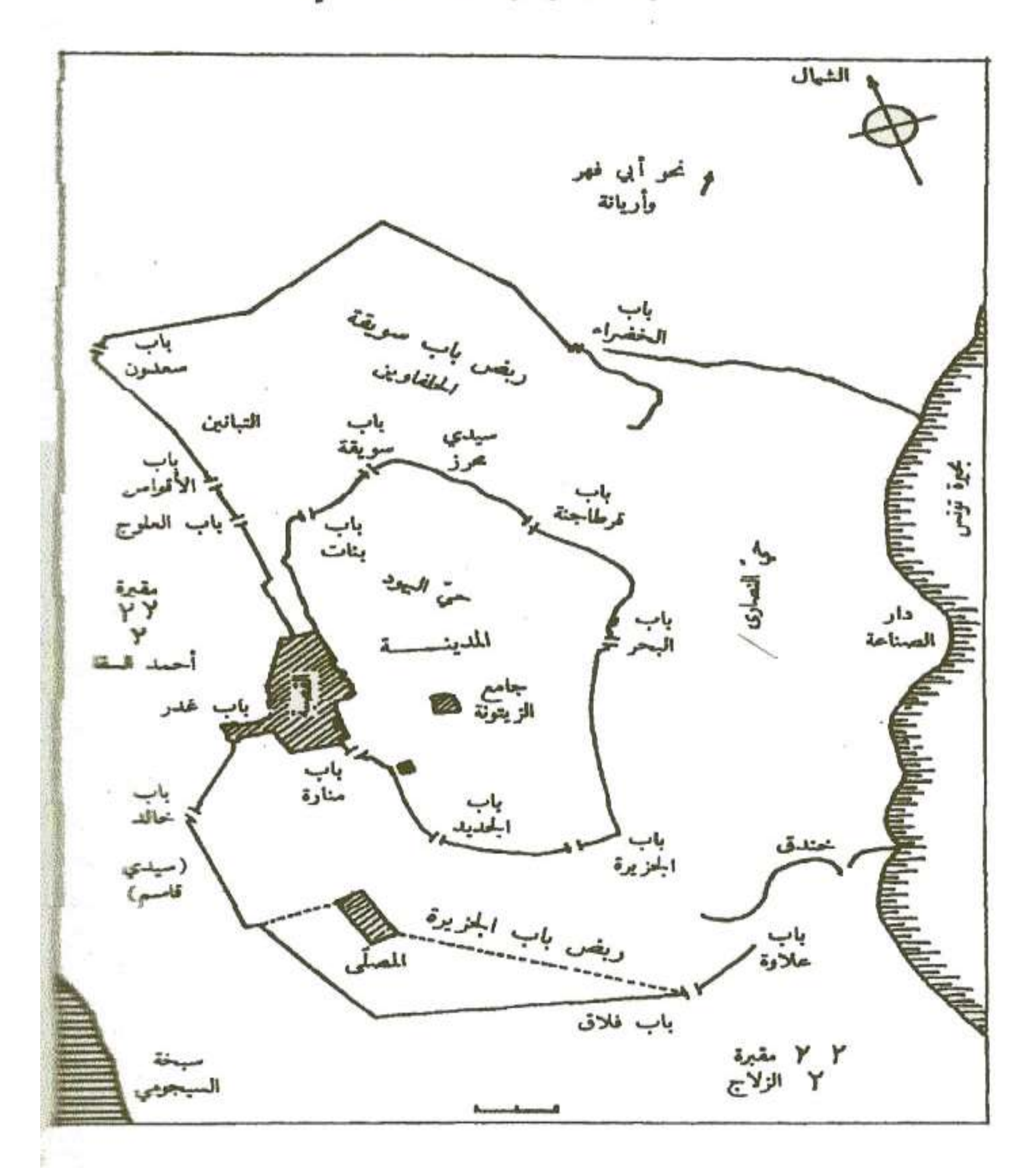


جامع القصبة.

ملحق رقم (6)

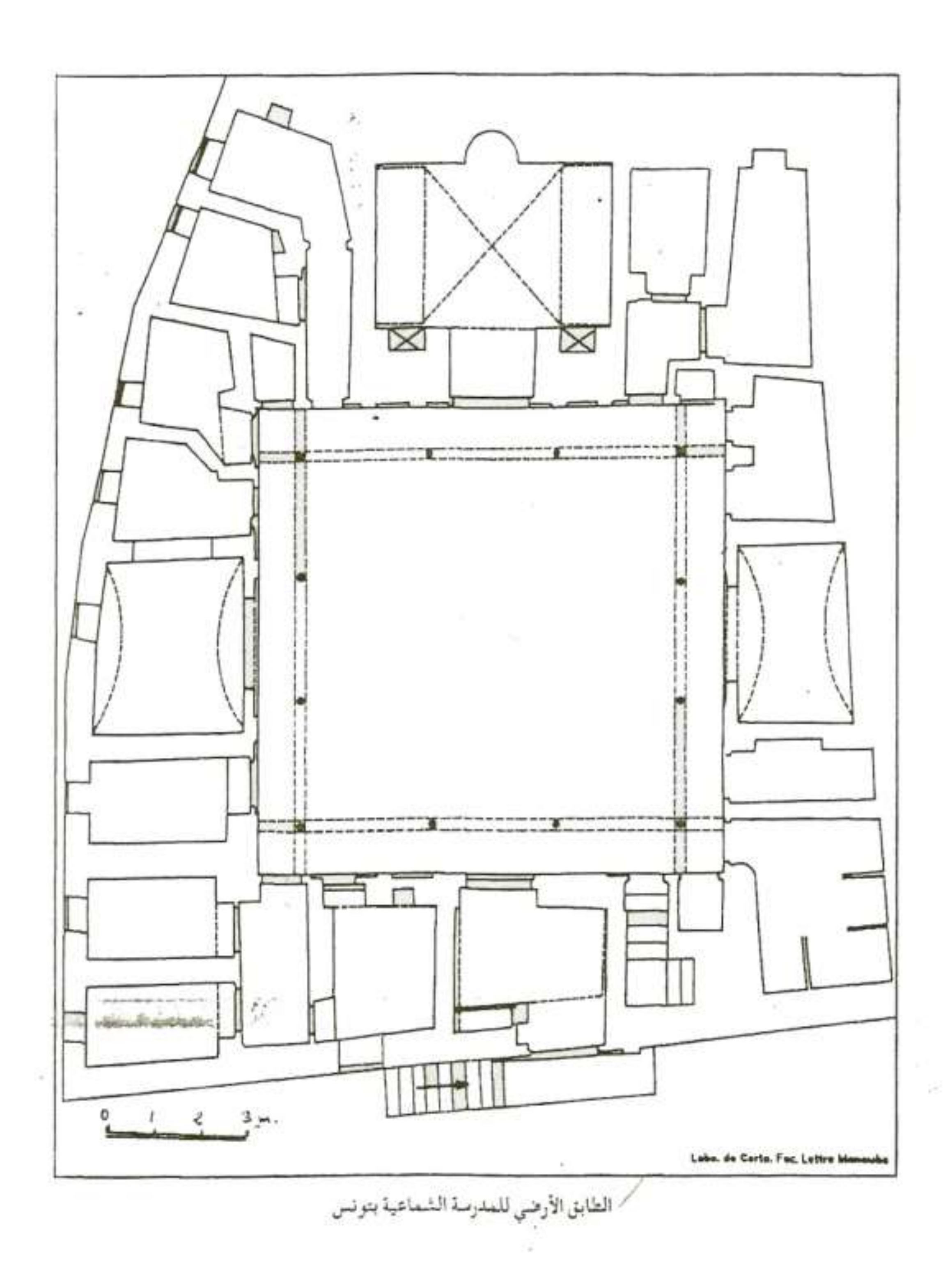
الدولاتلي، مدينة تونس، ص151 .

مدينة تونس في العصر الحفصي



ملحق رقم (7)

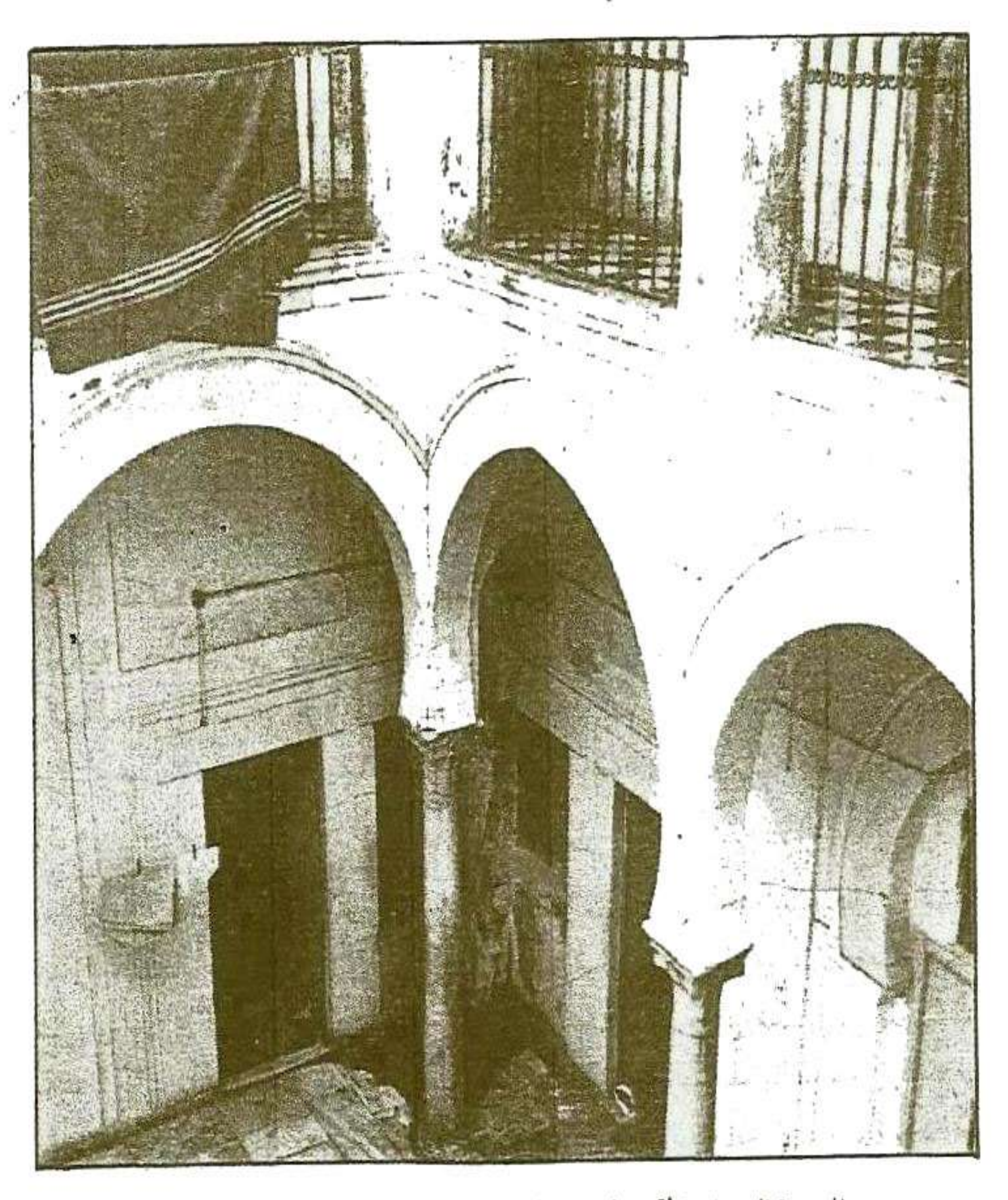
برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، 370/1 .



الطابق الأرضي للمدرسة الشماعية بتونس

ملحق رقم (8)

فنطر واخرون، الحضارة الإسلامية في تونس، ص148 .



المدرسة الشماعية أقدم المدارس التونسية (القرن الثالث عشر الميلادي)

ملحق رقم (9)

فنطر وآخرون، الحضارة الإسلامية في تونس، ص148 .

المصادر والمراجع

اولاً : المصادر

* القرآن الكريم

◈ابن الأبار ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1259م) .

1- اعتابُ الكتاب، تحقيق، صالح الأشتر، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1961 .

2- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان ، 1995 .

3- الحلة السيراء، تحقيق ، حسين مؤنس، ط2، مصر ، 1985.

◈ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم(ت630هـ/1232م)

4- الكامل في التاريخ، تحقيق, خليل مامون شيحا، ط3 ، دار المعرفة، لبنان ، 2011 .

◈الأدريسي ,أبو عبدالله محمد بن محمد المعروف بالشريف (ت نحو548هـ/1154م)

5- نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب بيروت، 1409هـ.

6- وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية ماخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ,تصحيح ونشر هنري بيريس, الجزائر ,1957.

◈الأصطخري ،أبو اسحاق ابراهيم بن محمد(ت360هـ/957م)

7- المسالك والممالك ، تحقيق ، محمد جابر عبد العال الحسيني، مطبعة بريل ليدن، 1889.

◈الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى(ت458هـ/1067م)

8- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، لبنان، 1990.

◈ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري(ت736هـ/1353م)

9- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق ، صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961.

◈ الباجي، أبو عبد الله الشيخ محمد (ت1297هـ)

10- الخلاصة النقية في امراء أفريقية، ط2، تونس، 1323.

◈ البرزلي, أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت841هـ/1440م)

11- فتاوي البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام , تحقيق ، محمد الحبيب الهيلة, ط1, دار الغرب الإسلامي ,لبنان, 2002.

◈ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1194م)

12- الصلة في تاريخ ائمة الأندلس، عني بنشره وتصحيحه عزت العطار الحسينيي، ط2، نشر مكتبة الخانجي، 1955.

◈ ابن بطوطة, شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت779هـ/1378م)

13- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار, تحقيق ، عبدالهادي التازي, المغرب , 1997.

◈ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م)

14- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (بلا. ت).

◈ البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)

15- فتوح البلدان، وضع حواشيه عبد القادر محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت، 2000.

◈ البيذق, أبو بكر بن علي الصنهاجي(ت منتصف القرن السادس الهجري)

16- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

◈ التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد(ت717هـ/1317م)

17- رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس،1981.

◈ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م)

18- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
◈التنبكتي، احمد بابا(ت1036هـ)
19- نيل الأبتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، (بلا. ت) .
◈الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/868م)
20- التبصر بالتجارة، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه حسن حسني عبد الوهاب ، ط2 ، (المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1935) .
◈ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن يوسف(ت833هـ/1429م)
21- غاية النهاية في طبقات القراء، نشر مكتبة ابن تيمة، عني بنشره لاول مرة، ج، برجستراسر (ت1351هـ.)
◈الجوذري, أبو علي منصور (ت اواخر القرن الرابع الهجري)
22- سيرة الأستاذ جوذر, تح محمد كامل حسين ,مط الاعتماد, مصر, 1984.
◈ابن حزم , أبو محمد علي بن سعيد (ت456هـ/1063م)
23- جمهرة أنساب العرب , تحقيق ، ليفي بروفنسال , دار المعارف , مصر ,1948.
◈ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي(ت628هـ/1231م)
24- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ، التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة(بلا. ت).
◈ابن حمديس، أبو محمد عبد الجبار(ت527هـ/1133م)
25- ديوان ابن حمديس، تحقيق، احسان عباس، ط2، دار صادر، لبنان, 2012.
◈الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت732هـ/1331م)
26- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مكتبة
لبنان، بيروت، 1984.
◈الحنفي، أبو المكارم زين الدين عبد الباسط بن خليل الملطي (كان حياً

890هـ/1486م)
27- الرحلة المغربية مأخوذة من كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق عمر عبد السلام تدميري، الجامعة اللبنانية، طرابلس، (بلا. ت) .
◈ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي(ت367هـ/977م)
28- صورة الأرض(بيروت ، لبنان)، 1962.
◈ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد بن عبد الله(ت في حدود 300هـ/912م)
29- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1889.
◈ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت808هـ/1405م)
30- تاريخ ابن خلدون، طبعة جديدة مصححة ومنقحة تصحيح وتعليق تركي فرحان المصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (بلا. ت).
31- رحلة ابن خلدون ، تحقيق، محمد بن تاويت الطنجي، ط2 ، لبنان ،2009.
32- مقدمة ابن خلدون، اعتنى به هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2007 .
◈ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد (ت681هـ/1283م)
33- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت (بلا. ت).
◈الداعي ادريس، عماد الدين(ت872هـ/1488م)
34- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب-القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق ، محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985.

◈الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت696هـ/1196م)
35- معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه ابن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح، ط2 ، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1968.
◈ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني(ت1110هـ)
36- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1289هـ.

◆الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد(ت748هـ/1374م)
37- سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المؤلفين باشراف شعيب الارناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985.
◆ابن الرامي, أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللخمي(ت بعد 733هـ/1332م)
38- الاعلان بأحكام البنيان, تحقيق ، فريد بن سليمان , المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية , 1999.
◆ابن رشيد, أبو عبدالله محمد بن عمر (ت821هـ/1418م)
39- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة, تح، محمد الحبيب ابن الخوجة, الدار التونسية للنشر,تونس, 1982.
◆الرصاع، أبو عبد الله محمد الانصاري(ت894هـ/1489م)
40- شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الامام ابن عرفة الوافية، تحقيق محمد أبو الاجفان والطاهر المعموري، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1993.
◆الرقيق القيرواني، أبو اسحاق بن ابراهيم(ت417هـ/1026م)
41- تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق، محمد زينهم محمد عزب، ط1،القاهرة، 1994.
◆ابن أبي زرع، علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي(ت726هـ/1325م)
42- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972
◆الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله(ت794هـ/1393م)
43- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1957.

◆الزركشي، أبو عبدالله محمد بن ابراهيم(ت932هـ/1525م)
44- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
◆الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت556هـ/1172م)

45- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، دمشق، 1968

◈السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت 771هـ/1369م)

46- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، الناشر هجر للطباعة والتوزيع، ط2، 1412هـ

47- معيد النعم ومبيد النقم، تح علي النجار واخرون، ط1، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1948.

◈ابن سحنون، محمد، (ت 256هـ/817م)

48- كتاب آداب المعلمين، تح حسن حسني عبد الوهاب، ط2 ، تونس، 1972.

◈السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م)

49- الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت(بلا. ت) .

◈السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري(ت 1315هـ/1897م)

50- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق ، جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 .

◈السمعاني،أبوسعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت562هـ/1178م)

51- الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي ,ط1, دار الكتب العلمية , بيروت ,1988.

◈السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن جلال الدين(ت911هـ/1505م)

52- بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (بلا. ت).

53- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر،1967.

◈ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر بن احمد (ت764هـ/1363م).

54- فوات الوفيات، تحقيق،احسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1974.

◈ابن الشماع , أبو عبدالله محمد بن احمد (ت861هـ/1457م)
55- الأدلة البينة في مفاخر الدولة الحفصية , تحقيق الطاهر محمد المعموري , الدار العربي للكتاب, مطبعة الشركة التونسية , تونس , 1984.
◈الشوكاني، محمد بن علي(ت1250هـ)
56- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، تحقيق محمد حسن العلاق، نشر دار ابن كثير، ط2، بيروت- دمشق، 2008.
◈ابن الطواح، عبد الواحد محمد (ت القرن الثامن الهجري)
57- سبك المقال لفك العقال، تحقيق ، محمد مسعود جبران، ط2، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2008 .
◈ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن(ت739هـ/1338م)
58- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1 ، (دار الجيل، بيروت)، 1992.
◈ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله(ت257 هـ/870م)،
59- فتوح أفريقية والأندلس, تحقيق عبدالله أنيس الطباع, دار الكتاب اللبناني , 1964.
60- فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة،1961 .
◈العبدري, أبي عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن مسعود(ت بعد 700هـ/1299م)
61- رحلة العبدري , تحقيق علي إبراهيم كردي, ط2, دار سعد الدين للطباعة, دمشق, 2005.

◈عبد الله الترجمان، أبو محمد عبد الله(ت832هـ/1429م)
62- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق، عمر وفيق الداعوق، ط1، دار البشائر الإسلامية ، لبنان، 1988.
◈ابن عذاري، أبو العباس احمد بن محمد المراكشي(كان حياً سنة 712هـ/1312م)
63- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س كولان و إ. ليفي بروفنسال، (دار الثقافة، بيروت، بلا. ت).

◈أبو العرب, محمد بن أحمد بن تميم(ت333هـ/944م)
64- طبقات علماء أفريقية وتونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (بلا. ت)
65- كتاب المحن, تحقيق يحيى وهيب الجبوري ,ط3, دار الغرب الإسلامي , لبنان , 2006.
◈ابن عظوم، أبو القاسم بن محمد مرزوق(كان حياً عام1009هـ)
66- كتاب الأجوبة، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس،2004.
◈ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد(ت1089هـ)
67- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط1، دار بن كثير، دمشق- بيروت، 1986.
◈الغبريني, أبو العباس (ت714هـ/1314م)
68- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية, تحقيق عادل نويهض, ط2, نشر دار الافاق الجديدة, بيروت, 1979.
◈ابن فرحون, برهان الدين بن ابراهيم بن علي بن محمد (ت799هـ/1396م)
69- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب, تحقيق محمد الأحمدي أبو النور , دار التراث للطبع والنشر, القاهرة, (بلا. ت).
◈ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبي العباس احمد (ت749هـ/1348م)
70- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات واخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001.

◈ابن الفقيه، أبو عبد الله احمد بن محمد الهمداني(ت365هـ/975م)
71- البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996.
◈القابسي، أبو الحسن علي(ت 403هـ/1012م)
72- الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق خالد احمد،ط1، تونس، 1986 .
◈القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي(ت544هـ/1660م)
73- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ضبطه

وصححه محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998. وطبعة ثانية من تحقيق سعيد احمد ، 1981م .

◈القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي (ت363هـ/973م)

74- افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، تونس، 1986.

75- المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي واخرون، ط1، دار المنتظر، بيروت، 1996.

◈ابن قتيبة الدنيوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م)

76- الأمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، تحقيق علي شيري، بيروت، 1990.

◈القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ/1238م)

77- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت(بلا . ت).

◈القفطي , جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت646هـ/1245م)

78- إنباه الرواة على أنباه النحاة , بيروت,1424هـ.

◈القلقشندي , أبو العباس أحمد (ت821هـ/1418م)

79- صبح الاعشى، دار الكتب الخديوية، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1915.

80- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان , تحقيق إبراهيم الأبياري , ط2, دار الكتب الإسلامية , القاهرة ، 1982.

81- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب, تحقيق إبراهيم الأبياري, ط2, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1980.

◈القلصادي ، أبي الحسن علي القلصادي (ت 891هـ/1486م)

82- رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الاجفان ،تونس ،1978.

◈ابن القنفذ, أبو العباس أحمد القسنطيني (ت810هـ/1047م)

83- أُنس الفقير وعزِّ الحقير, اعتنى بنشرة وتصحيحه محمد الفاسي وادولف فور, مطبعة أكدال , الرباط, 1965.

84- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر ، 1968.

85- الوفيات, تحقيق عادل نويهض, ط4, دار الآفاق الجديدة, بيروت, 1983.

◈لسان الدين ابن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت776هـ/1374م)
86- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.
87- رقم الحلل في نظم الدول، طبع المطبعة العمومية تونس، 1316هـ.
◈ليون الافريقي، الحسن بن محمد الوزان(ت بعد 957هـ/1551م)
88- وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.
◈المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد(ت بعد 453هـ/1061م)
89- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم واوصافهم، تحقيق بشير البكوش، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1994.
◈المراكشي ،عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/ 1249م)
90- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2005.
91- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط1،مكتبة الثقافة الدينية، مصر ، 1997.

◈المغراوي، احمد بن أبي جمعة(ت920هـ/1514م)
92- جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر .
◈المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد (ت 380هـ/990م)
93- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 .
◈مقديش ، محمود
94- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق علي الزواوي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1988.

◈المقري ,أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م)

95- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب, تحقيق إحسان عباس, دار صادر , بيروت , 1968.

◈المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت845هـ/1455م)

96- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1916.

97- اغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي فرحان، ط1، عين للدراسات، مصر، 2007.

◈ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت 711هـ/1311م)

98- لسان العرب، بدون طبعة، دار لسان العرب، بيروت، (بلا. ت) .

◈مؤلف مجهول(من أهل القرن الثامن الهجري)

99- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمانه، طبعة دار الرشاد الحديثة، 1979.

◈مؤلف مجهول،(كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري)

100- كتاب الأستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، (بلا. ت).

◈مؤلف مجهول

101- مفاخر البربر, تحقيق عبدالقادر بوباية, ط1, دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ,2005.

◈النويري، شهاب الدين احمد (ت733هـ/1332م)

102- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية ، لبنان، (بلا. ت) .

◈الهروي, أبو الحسن علي بن أبي بكر(ت611هـ/1211م)

103- الاشارات إلى معرفة الزيارات, تحقيق عمر علي , ط1,مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , 2002.

◈ابن وردان ، (عاش في القرن العاشر الهجري)
104- تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988.
◈الوزير السراج، أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي (ت1149هـ/1730م)
105- الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ط1، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1287هـ.
◈الونشريسي، أبو العباس احمد بن يحيى(914هـ/1508م)
106- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل أفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء باشراف محمد الحجي،1981.
◈ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله(ت626هـ/1229م)
107- معجم البلدان،(دار صادر، بيروت، بلا. ت).
◈اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح(ت292هـ/905م)
108- البلدان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ .
109- تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، ط1، مطبعة مهر، 1425هـ.

ثانياً : المراجع الحديثة والمعربة

◈ احمد، حسن خضيري

1- علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط1 ، مكتبة مدبولي، القاهرة، (بلا. ت).

◈ احمد، نهلة شهاب

2- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2009.

◈ ادريس، الهادي روجي

3- الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد بني زيري، نقله الى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

◈ باشا ، نجاة

4- التجارة في المغرب الإسلامي ، تونس ، 1976.

◈ برنشفيك , روبار

5- تاريخ أفريقية في العهد الحفصي , نقله الى العربية حمادي الساحلي , ط1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1988 .

◈ البسام، لطيفة بنت محمد

6- الحياة العلمية في أفريقية في عصر بني زيري، الرياض ،2001.

◈ بشير ، عبدالرحمن

7- اليهود في المغرب العربي, ط1, عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , مصر ,2001.

◈ بل, ألفرد

8- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم, ترجمة عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي ,ط3 , دار الغرب الإسلامي , لبنان ,1987.

◈بونار، رابح
9- المغرب العربي تاريخه وثقافته, الجزائر، 1969.
◈بو يحيى، الشاذلي
10- الحياة الادبية بأفريقية في عهد بني زيري، نقله الى العربية محمد العربي عبد الرزاق، بيت الحكمة، تونس، 1999 .
◈التليسي، بشير رمضان
11- الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، ط1 ، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003 .
◈التوزري، ابراهيم العبيدي
12- تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، (بلا. ت).
◈جمال الدين، عبدالله محمد
13- الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر، دار الثقافة، مصر ، 1991.
◈جوهر، حسن محمد
14- تونس، دار المعارف، مصر، 1961.
◈حسن، حسن ابراهيم
15- تاريخ الدولة الفاطمية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.
16- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت، 1996
◈حسن, حسن علي
17- الحياة الدينية بالمغرب, دار النصر للطباعة, مصر, 1985.
◈حسين , ممدوح
18- الحروب الصليبية في شمال أفريقية واثرها الحضاري , ط1 ,دار عمار للنشر , عمان , 1998.
◈الحشائشي، محمد بن عثمان
19- تاريخ جامع الزيتونة، تح الجيلاني بن الحاج يحيى، ط2 ، تونس (بلا. ت)،

◈ الخربوطلي، علي حسني
20- أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، 1973.
◈ الخزاعي ، كريم عاتي
21- اسواق بلاد المغرب من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، الجامعة المستنصرية ، 2008.
◈ خلف الله , ابتسام مرعي
22- العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي , دار المعارف , مصر , 1985.
◈ ابن الخوجة, محمد
23- تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، تح الجيلاني بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي، ط2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1985 .
24- صفحات من تاريخ تونس , تحقيق حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى ، ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت , 1986.
◈ الدشراوي، فرحات
25- الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله الى العربية حمادي الساحلي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1994.
◈ الدولاتلي , عبدالعزيز
26- مدينة تونس في العهد الحفصي , تعريب محمد الشابي وعبدالعزيز الدولاتلي , دار سراس للنشر , تونس , 1981 .
◈ رزوق, محمد
27- الأندلس وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17, ط3, مطابع أفريقيا الشرق,1988.
◈ الزاوي ,الطاهر أحمد
28- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ,ط4, دار المدار الإسلامي , لبنان ,2004.

◆ زبيس, سليمان مصطفى
29- بين الآثار الإسلامية في تونس, منشورات دار الثقافة , تونس , 1963.
30- حول مدينة تونس العتيقة، وزارة الشؤن الثقافية، تونس، 1981 .
◆ الزركلي. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي
31- الأعلام, ط15, دار العلم للملايين ,2002.
◆ سالم , عبدالعزيز
32- تاريخ المغرب الكبير, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت ,1981.
◆ أبو سماحة، عبد الحميد
33- رحلة بني هلال الى الغرب، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2008.
◆ شلبي , أحمد
34- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ,ط2,مطبعة لجنة التأليف والنشر, القاهرة,1966.
◆ الصالح، صبحي
35- مباحث في علوم القرآن، ط24، دار العلم للملاين، 2000.
◆ ضيف , شوقي
36- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات, ط 2, دار المعارف , القاهرة ,2009.
◆ الطالبي ، محمد
37- تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، نشر الجامعة التونسية ، مطبعة المطبعة الرسمية ، تونس ، 1968.
◆ الطويلي، احمد
38- ابحاث في الادب والتاريخ، تونس، 1979 .
39- تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري، ط1،الشركة التونسية للنشر، 2002.
40- في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، تونس، (بلا.ت)
◆ الطيبي ، امين توفيق

41- دراسات في تاريخ صقلية الإسلامي ، ط1 ، طرابلس، ليبيا ، 1990.
◈طه، عبد الواحد ذنون
42- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004.
43- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.
◈عامر , سامية
44- الصليبيون في شمال أفريقية حملة لويس التاسع على تونس , ط1 , عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , 2002 .
◈ابن عامر ، احمد
45- تونس عبر التاريخ ,ط1, مكتبة النجاح , تونس ,1960.
46- الدولة الحفصية , دار الكتب الشرقية , مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل , تونس, 1974.
◈العبادي، احمد مختار
47- في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية ، بيروت، (بلا.ت).
◈عباس ، احسان
48- العرب في صقلية، ط1 ، دار الثقافة، بيروت ، 1975.
◈عبد الحميد , سعد زغلول
49- تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال , الاسكندرية , 1955.
50- تاريخ المغرب العربي، مطبعة اطلس، القاهرة، 1990 .
◈عبد الرزاق , محمود اسماعيل
51- الخوارج في بلاد المغرب ,ط1, فاس, 1976.
◈عبد الوهاب ,حسن حسني
52- الإمام المازري, دار الكتب الشرقية, تونس, 1955.

53- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق, ط2, مطبعة

المنار, تونس, 1970.
54- خلاصة تاريخ تونس، ط3 ، المطبعة العربية الشرقية، تونس، 1332هـ.
55- شهيرات التونسيات,ط2, مطبعة المنار, تونس, 1966.
56- كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين, مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش,ط1,دار الغرب الإسلامي, لبنان, 1990.
57- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، ط2، مكتبة المنار، تونس ، 1972 .
◈عثمان، محمد عبد الستار
58- المدينة الإسلامية، سلسلة كتب ثقافية تصدر في الكويت، 1988 .
◈عيسى، احمد
59- تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ، 1981.
◈ابن غلبون ،أبي عبد الله محمد بن خليل
60- تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار،عني بنشره الطاهر احمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة،1349هـ.
◈فرغلي، إبراهيم
61- تونس من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة الاغالبة، ط1، العربي للنشر والتوزيع،القاهرة، 2005.
◈فكري، احمد
62- مسجد الزيتونة الجامع في تونس، الاسكندرية، مصر، 1952.
◈فنطر , محمد حسين واخرون
63- الحضارة الإسلامية في تونس , منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة , مطبعة الهلال , الرباط , 1977.

◈فهمي ، نعيم زكي

64- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في اواخر العصور الوسطى , القاهرة، 1973.

◈القاسمي، هاشم العلوي

65- مجتمع المغرب الأقصى، المغرب، 1995 .

◈كربخال, مارمول

66- أفريقيا, ترجمه عن الفرنسية, محمد حجي وآخرون , مطابع المعارف الجديدة , الرباط, المغرب, 1989.

◈الكعاك, عثمان

67- التقاليد والعادات التونسية, مطبعة الشمال, تونس, 1972.

68- الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1965.

◈كونستيل ، اوليفياريمي

69- التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، ط1 ، مكتبة العبيكان ، 2002.

◈لوبون ، غوستاف

70- حضارة العرب, نقله إلى العربية عادل زعيتر, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه,1996.

◈لويس ، ارشيبالد

71- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

◈مارسيه ،جورج

72- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق في العصر الوسيط، تعريب محمود عبد الصمد هيكل ، الإسكندرية ، 1991.

◈متز , آدم

73- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري , ط5, نقله إلى العربية محمد عبدالوهاب أبو زيد, دار الكتاب العربي, بيروت (بلا. ت).

◈محفوظ, محمد

74- تراجم المؤلفين التونسيين, ط2, دار الغرب الإسلامي , بيروت, 1994.

◈مخلوف، محمد بن محمد

75- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة،1249هـ .

◈أبو مصطفى ,كمال السيد

76- جوانب من الحياة الاجتماعية والأقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي, مركز الاسكندرية للكتاب,1996.

◈المطوي , محمد العروسي

77- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي , دار الغرب الإسلامي , لبنان , 1986 .

◈مؤنس, حسين

78- فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، القاهرة، 1947.

79- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الاموية , ط1, دار المناهل للطباعة , لبنان, 2002.

◈موسى ،عز الدين عمر

80- النشاط الأقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2003.

◈موسى، لقبال

81- المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرم حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط1 ، مط البعث، قسنطينة، 1969.

◈الميلي, مبارك بن محمد

82- تاريخ الجزائر في القديم والحديث ,تقديم محمد الميلي , دار الغرب الإسلامي , لبنان, 1986.

◈ ناجي ،عبد الجبار

83- دراسات في المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، 1986 .

◈ النيفر، محمد

84- عنوان الأريب عماً نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1351هـ.

◈ هنتس، فالتر

85- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة الدكتور كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان , 1970.

ثالثاً : الدوريات

الحرير، صالح ادريس

1- الفاطميون في تونس 296-362هـ، مجلة البحوث التاريخية، العدد الاول، السنة العاشرة، جامعة الفاتح، ليبيا، 1988.

الحفناوي، احمد

2- تونس في عصرها الاسلامي ،مجلة الأديب، العدد 7 و 8، بيروت، 1980.

ابن الخوجة، محمد

3- أبواب مدينة تونس2، المجلة الزيتونية، المجلد الرابع، الجزء الثاني ، 1360هـ/1941م

4- تاريخ أبواب تونس، المجلة الزيتونية، المجلد الرابع، الجزء السابع، المطبعة التونسية، 1941.

5- تاريخ أبواب تونس، دائرة المعارف التونسية ، بيت الحكمة، قرطاج، تونس ، الكراس 5 ، لسنة 1995.

الدولاتلي، عبد العزيز

6- أضواء تاريخية على بحيرة تونس، المجلة التاريخية المغربية، (العدد3 ، يناير، 1975 ، تونس).

السامر، فيصل

7- ملاحظات في المكاييل والاوزان الإسلامية وأهميتها، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ، العدد الثاني (1970-1971).

الطويلي , أحمد

8- الحملة الصليبية الثامنة على تونس , بحث منشور في مجلة المورد (عدد خاص – غزو الفرنجة للاراضي العربية) , المجلد 16 , العدد 4 , بغداد , 1987.

عبد الوهاب، حسن حسني

9- جامع الزيتونة يؤدي رسالة الدين الإسلامي، المجلة الزيتونية، مجلد 3 ، جزء 2 ، لسنة 1939 .

عثمان ,سعدي

10- الأصول العربية للبربر , مجلة آفاق عربية ,السنة الخامسة , العدد9 ,آيار ,1980.

◈ القابسي، نجاح

11- المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، تصدرها الأمانة العامة لأتحاد المؤرخين العرب، العدد19 ، لسنة 1981 ، بغداد .

◈ ابن مامي، محمد الباجي

12- جامع الزيتونة أهم معالم مدينة تونس الآثرية والتاريخية، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 16، خريف، 2000.

13- لمحة تاريخية حول تونس ، مجلة التاريخ العربي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الخامس، لسنة 1998.

◈ الياسري، عبد الكريم خيطان

14- بنو غانية مصدر قلق للموحدين دراسة تاريخية، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء، المجلد الثالث، العدد 13، كانون الاول، 2005.

رابعاً : الرسائل والاطاريح الجامعية

◈ جبودة، مريم محمد عبد الله

1- التجارة في أفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي، اطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، 2008 .

◈ الخزاعي ، كريم عاتي

2- النشاط الأقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية الآداب، 1993.

◈ الدليمي، منذر عطا الله شيحان

3- الحياة الأجتماعية والأقتصادية والفكرية في مدينة القيروان حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، 2004 .

◈ عجلان، عامر حسن احمد

4- المساجد الجامعة بمدينة تونس في العصر الحفصي دراسة اثارية معمارية، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة سوهاج، كلية الاداب, 2011 .

◈ الكبيسي، فرات حمدان عبد الحميد

5- وحدات الوزن والكيل والطول والمسافة حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، 1990 .

◈ محمد، عبد النبي

6- مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات العليا، جامعة الملك عبد العزيز ، 1979.

خامساً : المراجع الاجنبية

(1) Amari (Michele): Diplomi Arabi Del-R- Archirio floraantino Testo originate con La Tradeuztion Eillustrezton Fironze , 1863

(2) Mas Latrie, Traites de paix et documents driversconeernant Les rrelat ions des chretieens Les Arabes de 1 Afrique septentrionale au Moyen-age- Paris-1866.